شرح رسالة الشيخ أرسلان

في علوم التوحيد والتصوف

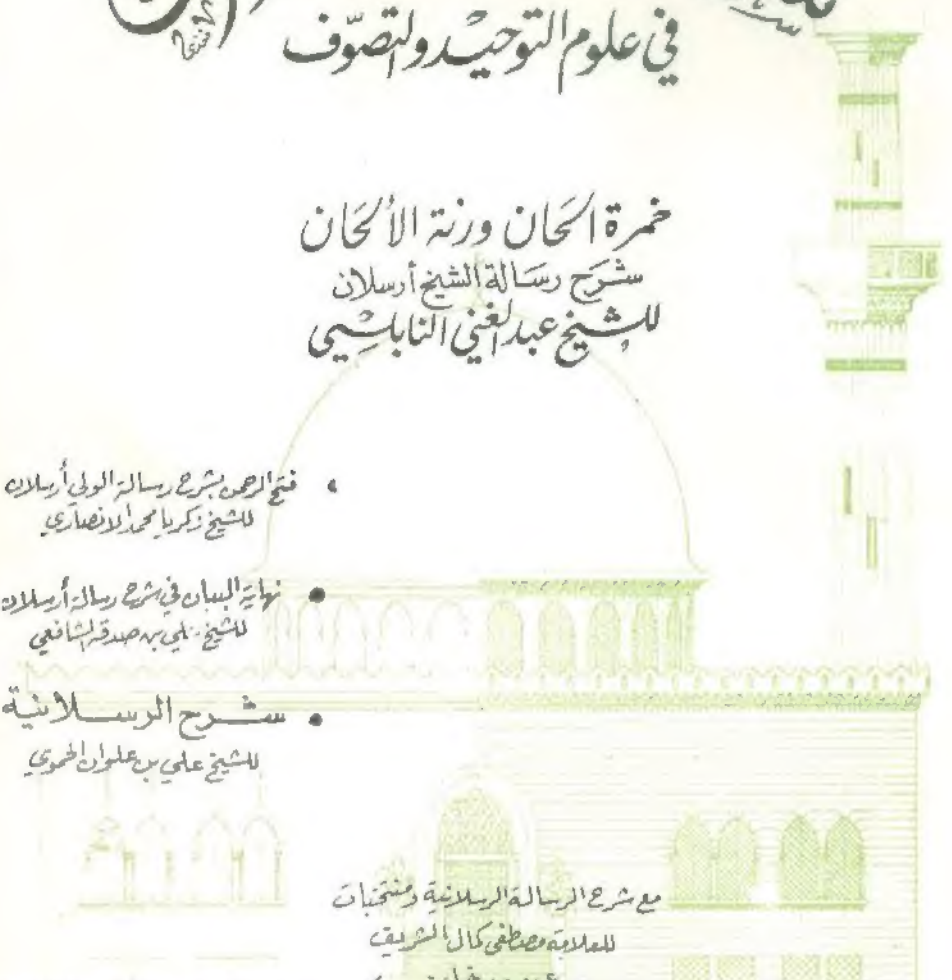

خمرة الحان ورنة الألحان

شرح رسالة الشيخ أرسلان

للشيخ عبد الغني النابلسي

- فتح الرحمن بشرح رسالة الولي أرسلان
  للشيخ زكريا محمد الأنصاري
- نهاية البيان في شرح رسالة أرسلان
  للشيخ علي بن صدقة الشافعي
- **شـــرح الرســـلانية**
  للشيخ علي بن علوان الحموي

مع شرح الرسالة الرسلانية ومنتخبات

للعلامة مصطفى كمال الشريف

عن مدخل :

«فصوص الحكم» وأقوال الشيخ الأكبر

تأليف وتحقيق

عزة حصرية

مطبعة « العلم » دمشق

١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الواحد الاحد ، المنعوت بصفات العظمة والكمال ، والجلال والجمال ، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي فتح الله به مغاليق الابواب والسدود امام كل من اقام الحدود ، واستمسك بالكتاب والسنة ، وهما العروة الوثقى والمقصود •

اما بعد يسرني ان اقول بان الدراسة التي قدمتها عن الشيخ أرسلان الدمشقي في كتابي الاول عنه[1] ، وعن شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ احمد الحارون الحجار العسل ، قد تركت في نفسي شعوراً لا عهد لي بمثله ، لا استطيع ان اصفه ، لانه اعمق من الادراك ، ولا أنساه لانه أوسع واكبر من الذاكرة ، هو شعور النشوة والغبطة وشيء آخر لا أدريه ، ملأت كلها حياتي بالامل الدافع والعمل المثمر ، فتحركت الى دوحات المكتبات من اسلامية وعربية واجنبية ، وفي إهابي انسان آخر يعمل لانه يحب العمل ، وينزهي لانه يسعى الى نبش كنز آخر من كنوز هذه الامة ، ويجاهد لتقديم أرفع الافكار في هذه الحياة ، أودعها الله سبحانه وتعالى في كتاب رسالة التوحيد الشيخ أرسلان الدمشقي ، وفي شارحيها من العارفين بالله تعالى ومن العلماء العاملين •

تحركت الى دوحات المكتبات ، جسماً في بلادنا العزيزة ، ومخاطبة بالرسائل والكتب مع البلاد الاسلامية والعربية والغربية والشرقية ، مستعيداً ما وعاه ذهني من

---

(١) يراجع كتاب الشيخ ارسلان الدمشقي الذي اصدرته عام ١٣٨٥ هـ و ١٩٦٥ م•

ذكريات أنسانيها العمل الصحفي الشاق الذي مارسته سنين طويلة ، وما يضم بين جنباته من متاعب ومشاكل ، وتلك ذكريات يتجسد فيها جانب من جوانب الدراسة والبحث والتمحيص التي أغرمت بها منذ نعومة اظفاري ، بحثا وراء الحقيقة •

وعلى هذا الاساس تحركت ، أملاً في أن اجد في هذه المكتبات ما يشفي الغليل ، وما يحقق ظفراً في ميادين احياء التراث الروحي والفكري والثقافي •

وقضيت أشهراً عديدة في الحصول على بعض شروح رسالة التوحيد للشيخ أرسلان الدمشقي ، بحثاً عن الحقيقة التي اليها اشرت ، وانتقيت في النهاية خمسة شروح من اصل اثني عشر شرحاً ، لكل من العارفين بالله تعالى الشيوخ الاجلاء والأئمة : عبد الغني النابلسي وزكريا الانصاري وعلي بن صدقة الشافعي وعلي بن علوان الحموي ومصطفى كمال الشريف ، وقمت بتحقيقها جميعها ولله الحمد ، وإذا بها مع متن رسالة التوحيد ، سمو روحي تتجلى فيه الاشراقة الالهية ، وتتبدى التنزلات العلوية الرفيعة ، كما وجدت في العمل لذة أسميها لذة المحبين وحيوية اسميها حيوية المشتاقين ، وهما تتعاقبان على صفحة نفسي كما تتعاقب امواج السنين ، لتنفي الخبث وتطرح الغثاء ، ولتلفظ القشر وتحفظ اللباب ، في سطور مستوحاة من قلوب فياضة بالايمان ، مرتقية الى السماء حيث تنقطع المطامع ، وحيث تداس عروش الهوى الشيطاني البغيض ، وماذا بعد القراءة والتحقيق غير التطلع الى ان أكون طائراً الى الخير ؟ خير إظهار المؤلَّف الثاني للشيخ أرسلان الى حيز الوجود ، والى ان أكون نافراً من الشر ؟ شر إبقاء هذه الكنوز بين طيات النسيان •

كما رأيت ان أمهد لهذا التحقيق ، بابحاث عن حقائق علم التوحيد والتصوف والايمان ، والبحث في ذلك عرضة للتشعب والتطويل كيفما تناوله الكاتب ومن أي جانب تحراه ، فوفقني الله وقدمتها بايجاز قبل شروح رسالة التوحيد ، وإني لاهدي كل ذلك إلى القارىء على استحياء ، شاعراً بالعجز ومقراً بالتقصير ، ولا غاية من كل هذا سوى الحقيقة المجردة انشدها أنى وجدت ، وقد أكون مخطئاً في طريق الوصول الى الغاية ، فما كان من صواب فهو من توفيق رب الأرباب ، وما كان من خطأ فهو من نفسي •

بقي علي ان أصدق القول بان منتخبات العلامة مصطفى كمال الشريف ، وفيها الشيء الكثير من الكنوز الدفينة ، قد هيأت لي عرفان ما كنت اجتويه من مسائل التوحيد والتصوف والايمان ، خاصة ما كتبه عن : «العبادة والعبودية والعبودة» و «الارادة الجزئية والاختيار والكسب » ، و « الفهم عن الله » و « اصول السير » وما اليها من ابحاث مهمة جداً ، وكلها معروضة بسياق علمي دقيق ، وفي اسلوب سلس يفهمه القارىء العادي ، فانتقيت منها ما يتعلق بشرح الرسالة الرسلانية ، ونظراً لما يدور من المناقشات حول الشيخ الأكبر وللصلة بينه وبين الشيخ أرسلان ، = وبين الامامين مدة لا تزيد عن عشرين عاما = فقد فرحت عندما وجدت في منتخبات العلامة مصطفى كمال الشريف ، توضيحا علمياً يبين فضل الشيخ الأكبر ، واستمساكه بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت من واجبي ان اضعه مع ملحقات الكتاب حالياً ، على أمل ان يطلع عليه الناس ، ولعل لي عودة على الموضوع إذا أذن الله لي باخراج شيء من كتب الشيخ محي الدين ورسائله او من كتب المرحوم مصطفى كمال الشريف .

وقد قسمت هذا الكتاب الثاني عن الشيخ أرسلان الى أقسام بعد الاهداء والمقدمة أجملها فيما يلي :

القسم الأول : وهو يشتمل على نظرات عامة عن :

١ ـ علم التوحيد ونشأته وتطوراته .

٢ ـ وعن التوحيد والتصوف والايمان في المدرسة المثالية الأرسلانية .

٣ ـ وعن التوحيد في القرآن الكريم .

٤ ـ وعن التوحيد في السنة النبوية الطاهرة .

والقسم الثاني : يتحدث عن مصادر شروح الرسالة الأرسلانية الخمسة ، وعن التوحيد والتصوف كما يظهر في تلك الشروح .

والقسم الثالث : أفردته لعرض الشروح بنصوصها الأصلية بعد تحقيقها .

ثم أتبعت هذه الأقسام بملحقات :

الملحق الأول : نشرت فيه : « مدخل الى فصوص الحكم » و « ذكرى لطالعي فصوص الحكم » مأخوذين مما كتبه (السيد الشريف) •

والملحق الثاني : يحتوي على :

١ ـ فهرس الاعلام وتراجم الرجال الذين ورد ذكرهم في الكتاب •

٢ ـ فهرس الموضوعات •

وقد بقي علي أن أشير الى ناحيتين مهمتين وان أسجل أمرين اثنين :

أما الاول فهو انني عرضت المقدمات التي كتبتها عن حقائق علم التوحيد والتصوف والايمان على علمائنا الاجلاء الاساتذة والسادة مع حفظ الالقاب = وكان العرض على الترتيب التالي = :

السيد مكي الكتاني رئيس رابطة العلماء ، السيد سعيد الحمزاوي نقيب السادة الاشراف ورئيس جمعية الهداية الاسلامية ، بهجة البيطار عضو المجمع العلمي العربي ، صلاح الزعيم ، حسن حبنكة ، ملا رمضان البوطي ، زين العابدين التونسي ، عبد الكريم الرفاعي ، محمد علي المراد استاذ التربية الاسلامية في ثانويات حماه ، احمد الشامي مفتي دوما ، الدكتور محمد خير العرقسوسي ، الدكتور سعيد رمضان البوطي ، عبد الرزاق الحلبي ، احمد الحلبي •

وقد سبق لي أن أطلعت على المشروع فضيلة المرحوم الأستاذ الشيخ سعيدالبرهاني في دمشق وفضيلة المرحوم الفقيد الأستاذ محمد الحامد في حماه ، في إبان حياتهما .

وكان لتشجيع الجميع ولاوجه نظرهم وآرائهم افضل الاثر في نفسي ، مما ساعد في الاسراع باخراج الكتاب ، فاليهم الشكر والامتنان .

واما الامر الثاني ، فان في تسجيله فخاراً لانه عجل في جعل المعرفة في متناول الجميع ، ذلك ان الصديق الوفي الأستاذ الشيخ ياسين عرفة أبى الا ان يقتحم الموضوع رأساً ، فأسهم في نشر هذا السفر ، صادعاً كما صدعت بأمر المحدث الاكبر فقيد الاسلام والعروبة الشيخ بدر الدين الحسني الذي أوصاه في حياته ، بأن يعمل على نشر شرح الرسالة الارسلانية للامام الشيخ عبد الغني النابلسي المعروفة باسم « خمرة الحان ورنة الالحان - شرح رسالة الشيخ أرسلان » ، فللمحدث الاكبر الرحمة والرضوان ، وللصديق العزيز الشكر .

والفضل أولاً واخيراً لله العلي الأعلى الذي استمددت منه الاعانة لتحقيق الابانة واداء المهمة ، فكانت أمامي ارادة النجاح تظللني ، والارادة في الاصل هي ارادة الوسيلة ثم عقد النية على العمل .

والله تعالى اسأل ان ينفع بكتابي هذا ، ويجعله خالصاً لوجهه مقرباً إليه في الدنيا والآخرة ، وهو ولي التوفيق وعلى ما اقول وكيل .

القسم الاول

علم التوحيد ونشأته وتطوراته

نشوء علم التوحيد

لم يعن المسلمون في القرن الاول للهجرة ، بتدوين علم التوحيد ، واقتصروا على ما جاء في القرآن الكريم عن الله تعالى ، ثم ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان المرجع في محو التردد والحيرة ، والنور الوضاح لتبديد ظلمات الشبه ، على اساس كتاب الله الذي يعصم العقول لئلا يأتيها الباطل من بين يديها او من خلفها ، والذي هو الدستور الاساسي في اصول الدين : (فمن اتبع هُداي فلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى ومن اعْرَضَ عن ذِكْرِي فانَّ له معيشةً ضنكاً ، ونحشُرُهُ يوم القيامة أعمى • قال ربِّ لِمَ حشرتني أعْمَى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتْكَ آياتُنا فنَسيتَها وكذلك اليومَ تُنْسَى) •

وقوف الصحابة رضوان الله عليهم بحزم في وجه اعداء الاسلام

وقام الخليفتان رضوان الله عليهما ابو بكر وعمر بالذب عن الحياض ومقارعة الاعداء ، وتثبيت اليقين وتقوية الايمان ، باسلوب يسهل على العامة فهم الدين ، وينقذ الخاصة من التكلف في الاستدلال ، ووقفا بحزم في وجه اعداء الاسلام ، ودفع غائلة الشكوك والريب عن المسلمين ، معتمدين اولا وأخيراً على القرآن الكريم وسنة نبيه العظيم •

وظل الامر كذلك في عهد الخليفتين عثمان وعلي رضي الله عنهما ، ثم توالت الاحداث بعد ذلك على صورة اضطر معها الأئمة والعلماء العاملون الى تدوين التوحيد كعلم له أسسه وقواعده •

علم التوحيد وعلم الكلام

ومن يقرأ التاريخ يسلم بان هذا العلم اخذ طريقه الى حيز الوجود بعد القرن الاول للهجرة ، وبلغ ذروته في القرن الرابع ، ومشى معه « علم الكلام » جنباً الى جنب، وكثر البحث خلال تلك السنين وتشعب ، واتخذ العلمان الواناً لم تكن ايام النبي صلى الله عليه وسلم ولا ايم الاولين من صحابته ، اما العلم الاول وهو علم التوحيد فقد ارتكز على القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، ذلك ان القرآن الكريم بجانب دعوته للتوحيد والنبوة وما اليهما تعرض للاديان التي كانت منتشرة في عهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ورد على اصحابها رداً مفحماً ، وقضى على الاسانيد التي استندوا اليها في خططهم، وقد تكلم القرآن مثلاً عن قوم انكروا جزءاً مما جاء في الاديان والالهيات والنبويات والسمعيات وقالوا : (ما يُهْلِكُنَا الا الدهر) ورد عليهم بانواع من الادلة ، كما تعرض القرآن للمشركين والشرك لما تكلم عن قوم ألهوا الكواكب واتخذوها شريكة لله وحمل على عبدة الاوثان ، كما ان القرآن الكريم ألقم حجراً لمنكري النبوات الذين كانوا يقولون : (أبَعَثَ اللهُ بشراً رسولاً ؟) ، ولمنكري الحشر والنشر ممن اجابهم: (كما بَدَأْنَا أوَّلَ خلْق نُعيدُهُ) ، الى غير ذلك .

تسلل الفلسفة الى البلاد الاسلامية

ومن نافلة القول ان هذا النهج قد توسع بين مد العقول وجزرها ، وظهر للوجود « علم الكلام » في اعقاب تسلل الفلسفة الى البلاد الاسلامية ، وهي التي كانت تستمد الرأي من الفكر ، وتسارع العلماء العاملون الى القيام بفريضة تعليم التوحيد في اطار القرآن الكريم والسنة النبوية ، كما ذهب فريق آخر الى إحاطة العقيدة بالبراهين العقلية ، شريطة ان يكون الكتاب والسنة أصلاً لهذا العلم ، يرشد الى ذلك ما ورد في الصحيح من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر أنه أُسري به[1] في ليلة واحدة من مكة المكرمة الى بيت المقدس ، شكك بعض من آمن به ، وجاءوا ابا بكر الصديق وقالوا

---

(١) من كتاب توضيح العقائد للسيد عبد الرحمن الجزيري ، طبعة : مطبعة الارشاد في مصر .

له : ما تقول في صاحبك وقد ادعى الأسراء ؟ فقال لهم الخليفة الاول : اني اصدقه في ابعد من ذلك ، أصدقه في خبر السماء •••

الحث على التفكر والتدبر والنظر في معاني القرآن الكريم

والمعنى واضح جلي في جواب ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، اذ ان الذي يصدق باتصال النبي صلى الله عليه وسلم بربه بطريق الوحي الذي تنزّل عليه من السماء ، يظل على استعداد لتصديقه في كل ما يقوله ويجيء به ، وان كان فوق ادراكه وفوق امكانيات عقله ، فضلاً عن ان القرآن حث الناس جميعاً على التفكر والتدبر والنظر في المعاني الواردة فيه ، سواء كانت تتعلق بالتوحيد أو غيره ، وهي ما يسمى عند علماء التوحيد بأدلة العناية ، والناظر في كتاب الله عز وجل يرى ان كل ما ورد في هذا الصدد لا يخرج ابداً عن أدلة العناية والحث على اعمال الفكر في الاستدلال على التوحيد من جميع وجوهه ، مثال ذلك ما جاء في سورة الاعراف : (أَوَ لَمْ يَنظُرُوا في ملكوت السموات والأرضِ وما خَلَقَ اللهُ من شيءٍ وأَنْ عسى انْ يكونَ قد اقترَبَ أجلُهُمْ فبأيِّ حديث بَعْدَهُ يؤمنون) •

ودار الزمن دورته ، فاذا بالفلسفة تختلط مع علم الكلام ، وتنتشر خلافات عديدة بعد ان كاد ينقضي العصر الاسلامي الاول في ايمان لا يعتوره أي جدل ، واخذ البعض يخرج بالناس عن القصد ويبعدهم عن الحدود المرسومة ، وعمد اكثر المتكلمين الى التوسع في كتب الجدل ، ظناً منهم بانها تطهر العقائد مما لوثها ، فنجح فريق وفشل فريق آخر ، ومع هذا ظل كتاب الله عز وجل المرجع الاول والاخير في علم التوحيد ، وبقي السبيل الذي يقتضي ان يستمسك به المسلمون على اساس ما جاء في آي الذكر الحكيم: (إنا نحن نزّلنا الذِّكْرَ وإنّا له لحافظون) •

ولا مجال هنا للحديث عن اسباب الخلافات برمتها إلا مجال الاتيان ببعض الامثلة ، ومنها ان بعضاً ممن دخلوا في الاسلام بعد الفتح كانوا من ديانات مختلفة ، نشأوا عليها

وشبوا ، وما ان أسلموا واستقروا على الاسلام وهو الدين الجديد ، حتى اخذوا يفكرون في تعاليم دينهم القديم ، سواء أكانوا من اليهود أو من الزرادشتيين او البراهمة والصابئة والدهريين وما اليهم ، وبدأوا باثارة تعاليم دياناتهم وألبسوها لباس الاسلام ، مما ادى الى مشاكل لم تقف عند حد •

ثلاثة اسماء لعلم التوحيد

واتخذ علم التوحيد ثلاثة اسماء منذ اللحظة الاولى لظهوره الى حيز الوجود :

١ ـ علم التوحيد والعقيدة والصفات •

٢ ـ علم أصول الدين •

٣ ـ علم الكلام •

فتسمية علم التوحيد بعلم التوحيد والعقيدة والصفات قائم على اساس ان اهم ابحاثه مرتكزة على وجود الله وصفاته كالحياة والعلم والقدرة ، كما يتحدث عن احوال الممكنات كالبحث عن الجواهر والاعراض ، والمراد بالتوحيد الاقرار لله تعالى بالوجود والوحدانية وللرسول الاعظم بالرسالة التي امر بتبليغها لما ارسله الله تعالى الى جميع المكلفين على رأس اربعين سنة من ولادته ، داعياً للتوحيد •

وبالاختصار فان علم التوحيد والعقيدة والصفات ، اول واجب على المكلف •

اما التسمية الثانية ، وهي علم أصول الدين الذي يتحدث عن شروط صحة الايمان وعما يجب اعتقاده ، فينقسم الى قسمين : اولهما يَقْدح الجهل به في الايمان كمعرفة الله تعالى وصفاته الثبوتية والسلبية والرسالة والنبوة وامور المعاد ، وثانيهما لا يضر ولا يؤذي ، كتفضيل الانبياء على الملائكة مثلاً ، فقد قال السبكي : لو مكث الانسان مدة عمره ولم يخطر بباله تفضيل النبي على الملك لم يسأله الله تعالى عنه •

واما التسمية الثالثة التي هي علم الكلام فقد اختلف الناس في أسبابها ، وقال بعضهم انه سمي علم الكلام ، لأن اهم مسألة وقع فيها الخلاف في العصور الاولى ،

مسألة كلام الله وهل هو حادث = على رأي المعتزلة = أم قديم = على رأي اهل السنة والجماعة = •

الانقسام في المناهج بين اهل السنة وبين القائلين بالفلسفة

وهذا كله يسلمنا للتعرض مسألة مهمة ، وهي ان المتكلمين انقسموا في مناهجهم الى قسمين : اهل السنة ومنهم الامام ابو الحسن الاشعري والامام الغزالي والامام فخر الدين الرازي وإمام الحرمين الجويني وابو اسحق الشيرازي والاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ، وهم الذين اعتمدوا في دراستهم على الكتاب والسنة اللذين هما الاصل والفرع ومصدر احكام الدين ، والقسم الثاني من جنح الى الفلسفة[1] والنظر العقلي ، ومن خالف نصوص الكتاب والسنة لجأ إلى التأويل ، زعماً منه ان عمله هذا هو في سبيل نصرة الدين ، وهؤلاء هم المعتزلة وهذه فرق كثيرة خرجت بفلسفتها عن الدين خروجاً تاماً •

اذن ! فالقرآن والحديث يجب ان يكونا أصل علم الكلام الى جانب الادلة العقلية ولا بد من الاستناد عليهما في كل جزء من اجزائه ، وكل تجانف عن هذا الطريق يؤدي الى الزيغ والضلالة ، والى الخطأ والزلل ، وكل استمساك بهما يفضي الى اليقين والايمان ، في نور البحث والاستدلال ، وهو الميدان حث القرآن الكريم عليهما ، حين دعانا الله تعالى في كتابه العزيز الى التفكر في خلق السموات والارض وما فيهما ، تثبيتاً لليقين وتقوية للايمان وتبصرة وذكرى لكل عبد منيب •

وما أجمل ما قاله الاعرابي ذو الفطرة السليمة لما سأله الاصمعي : بم عرفت ربك؟ فقال : آثار الاقدام تدل على المسير ، فسماء ذات ابراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات امواج ألا تدل على اللطيف الخبير ؟ •

---

(١) قال سماحة الاستاذ مكي الكتاني رئيس رابطة العلماء إن المرحوم الامام الشيخ أمين سويد امام علم التوحيد كان يؤكد دائمة بان كل المسائل التي في الفلسفة تخالف شيئة من قواعد الاسلام ليست محل اجماع عند الفلاسفة انفسهم ، وقد جنح الى هذا التأكيد سلطان العارفين الشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي •

ومع هذا الذي [illegible] من النشأة في [illegible] على [illegible] واسعة ، عن نشأة هذا العلم الذي [illegible] يتضح علوه قدماً كما انتهى مشوباً [illegible] في الكتاب [illegible] على [illegible] القرآن الكريم ، تحدث فئة اقوى عند علماء الكلام في كلام الله ، على [illegible] من [illegible] في [illegible] العقل ، ومن [illegible] الشرع ، [illegible] كانا متفقين على ان الاحكام [illegible] واجبة الاتباع هي ما تعلق منها بالعبادات والمعاملات .

•

ومن المعلوم ان العقل البشري مهما اوتي من ذكاء فهو عرضة للخطأ والزلل ، اما الانبياء والرسل فهم الذين عصموا من الخطأ ، واخذوا رسالاتهم من لدن عليم خبير لا تخفى عليه خافية في الارض وفي السماء .

الخلاف في علم الكلام بين فرق عديدة

وعلى هذا ظهر الخلاف في علم الكلام على نطاق واسع بين فرق عديدة من ابرزها الأشاعرة[1] والماتريدية[2] والمعتزلة[3] .

---

(١) الاشاعره اتباع ابي الحسن الاشعري ، واسمه علي بن اسماعيل وجده الاعلى عبد الله ابو موسى الاشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد عام ٢٦٠ بالبصرة ودخل بغداد ، واخذ علم الكلام عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزله وقد فارقه وعاد عن الاعتزال في خطبه القاها على المنبر في يوم جمعة ، بسبب سؤال ورد في فكره وسأل عنه شيخه وملخصه انه سأل شيخه ما تقول في ثلاثه اخوه مات احدهم كبيرا طائعاً والآخر كبيرا عاصيا والثالث صغيرا ، فقال الجبائي : الاول يثاب بالجنة والثاني يعاقب بالنار والثالث لا يثاب ولا يعاقب فقال له الاشعري : فان قال الثالث : يارب لم أمتني صغيراً ، وما ابقيتني فاطيعك وادخل الجنه ؟ ماذا يقول الرب ؟ فقال الجبائي : يقول الرب : اني اعلم انك لو كبرت لعصيتني فتدخل النار فكان الاصلح لك ان تموت صغيراً ، فقال الاشعري : فان قال الثاني : يارب لم لم تمتني صغيرا فلا ادخل النار ؟ ماذا يقول الرب ؟ فبهت الجبائي وترك الاشعري مذهبه واشتغل واتباعه بابطال ما ذهبت اليه المعتزلة واثبات ما وردت به السنة ومضى عليه الجماعة ولذلك سموا باهل السنة والجماعة .

(٢) تنسب الماتريديه الى ابي منصور الماتريدي واسمه : محمد بن محمد بن محمود ، وماتريد اسم بلدة في سمرقند ولم يكن الماتريدي من اتباع الأشعري .

(٣) يرأس المعتزله واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري ، ونادى

وقد اتفق الفريقان الاولان على ان الله تعالى متكلم وان القرآن الكريم كلام الله ، واختلفوا مع المعتزلة في كون صفة الكلام معنى قديمة قائمة بذاته تعالى لا حادثة مخلوقة لله تعالى قائمة بغيره ، في حين ان المعتزلة اكدوا ان كلام الله مخلوق ، لانه مؤلف من احرف تنقضي بمجرد النطق بها ، دالة على معان معلومة ، واكدوا يؤكدون انه لا نزاع في ان هذه الالفاظ حادثة .

ورد الاشاعرة والماتريدية ان الكلام ينقسم الى لفظي ونفسي ، فاللفظي هو القرآن المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذا سائر الكتب السماوية السابقة ، وفي رأيهم ان الكلام اللفظي حادث مخلوق لله تعالى ، لانه احرف تنقضي بمجرد النطق بها ، واما النفسي فهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ، ليست بحرف ولا صوت ، يدل عليها الكلام اللفظي ، وهذه الصفة الثابتة تختلف عن العلم وغير الارادة .

وهكذا يمكن القول عن الخلاف في امور كثيرة ، بدأت مع اول مشكلة ظهرت في علم الكلام ، وهي مسألة الاختيار واستقلال الانسان بارادته وافعاله الاختيارية ، ثم مسألة من ارتكب الكبيرة ولم يتب ، وكانت المناظرة بين واصل بن عطاء مع استاذه الحسن البصري ثم امتد الخلاف الى اثبات صفات المعاني للذات الالهية او نفيها عنه ، والى تقرير سلطة العقل في معرفة جميع الاحكام الدينية ، مما ادى الى تفرق المسلمين شيعاً واحزاباً ، كما تنوعت الخلافات افعال العباد وهل هي مترتبة او متولدة من فعل مباشر ، كحركة المفتاح المترتبة على حركة اليد ، وما سوى ذلك من شؤون وشجون تناولت السمعيات – والمراد بالسمع الكتاب والسنة – ، وحقيقة رؤية الله تعالى وهل تصح وقوعها في الآخرة وأمثالها ...

مذهب السلف الصالح يعطي الجواب الكافي

اما مذهب السلف الصالح اهل السنة في هذه المواضيع بأجمعها فيعطي الجواب الشافي الكافي الذي يتلخص فيما يلي :

بان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر . فقال الحسن اعتزل عنا واصل . ولذا سموا بالمعتزله . وقد وجد هؤلاء مقاومة عنيفة من الاشاعرة والماتريدية = من كتاب توضيح العقائد لعبد الرحمن الجزيري ص ١٢ = .

١ ـ الكلام ينقسم الى لفظي ونفسي خلافاً للمعتزلة الحاصرين له في اللفظي، وقد جاءت اللغة العربية بأن الكلام لفظي ونفسي : يشهد بذلك قول الاخطل :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما ‏ ‏ ‏ ‏ جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقول سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه : (زورت في نفسي كلمة) أي لم يقلها بلسانه .

اذن ! فالكلام النفسي ثابت في اللغة وعليه نقول : كلام الله النفسي قديم ، وأما الكلام اللفظي الذي جاء القرآن به فهو كلام الله القديم ، بمعنى انه يدل على ما دلت عليه الصفة النفسية القائمة بذاته تعالى ، وهذا الكلام اللفظي الذي جاء القرآن به يقال له كلام الله القديم ، باعتبار هذه الدلالة ، وجاء هذا القرآن ذو الاعجاز بهذه الالفاظ نتعبد بها تلاوة ، كما جاء بها نستنبط منها الاحكام من عامة وخاصة ومجملة ومفسرة وغير ذلك من اقسام العلوم التي جاء بها القرآن ، وهو في بلاغته وفي علومه وفيما يتناوله من التاريخ الماضي والمستقبل وغير ذلك ، سيبقى اعجازه الكبير .

فعلماء التوحيد يبحثون عن الصفة النفسية القائمة بذاته تعالى المنزهة عن الحروف والاصوات ، وعن التقدم والتأخير ، وعن الصحة والاعلال ، وعلماء الاصول والفقه يبحثون عن هذه الالفاظ التي انزلت على محمد عليه الصلاة والسلام من ناحية الاحكام والادلة وغيرها ، فكل منهما كلام الله القديم الا ان ما بين دفتي المصحف كلام الله القديم ، باعتبار دلالته على ما دلت عليه الصفة القائمة بذات الله .

٢ ـ ان العبد له ارادة ولله ارادة ، فالعبد ارادته انما هي الاختيار لما اراده الله فعليه الخلق والايجاد ، فالعبد اذا اختار الخير خلق الله له الخير ، واذا اراد الشر خلق الله له الشر ، وعلى هذا يبنى تكليف العبد ، واما الاحتجاج بان الله اراد لي كذا واراد لي كذا فهو احتجاج غير صحيح ، لان ذلك مما لم يطلعك الله عليه فكيف تحتج ؟ .

٣ – التوبة من حقوق الله ثلاثة شروط : أولها – أن يقلع الانسان عن الذنب في الحال وثانيها – أن لا يعود مثله في المستقبل وثالثها – أن يندم على ما فرط منه في الماضي ، وهذه هي التوبة النصوح التي يرجى من الله قبولها .

٤ – ان صفات الذات لله تعالى هي كالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام ، واما صفات الافعال فهي كالخلق والرزق والاحياء والاماتة ، وكلها صفات تتعلق بالمخلوقات ومتعددة في كل آن ، وصفات الذات كما يقول اهل السنة انها صفات الوجود قائمة بذات الله تعالى ، واما المعتزلة فهم ينفونها ويكتفون بالصفات المعنوية ، اي كونه قادراً سميعاً بصيراً ! .

ويقولون : انه قادر بلا قدرة ، وعالم بلا علم ، ومريد بلا ارادة ! واما اهل السنة فيقولون : لا يكون المشتق فهو قادر بدون ما منه اشتقاقه وهو القدرة ، واما صفات الافعال ففيها خلاف بين الاشاعرة والماتريدية ، فالاشاعرة يقولون : هي تعلقات القدرة وهي حادثة ، والماتريدية يرجعونها الى صفة التكوين ، ويعدونها من صفات المعاني ، وهي عندهم من الصفات القديمة .

٥ – ان معرفة اسرار الشريعة ومقاصدها وحكم احكامها والتمييز بين محاسن الحلال ومفاسد الحرام ، يدركها الانسان في عقله ، فيرغب في اتباع الاوامر لما فيها من المحاسن ، واجتناب النواهي لما فيها من الاضرار .

٦ – ان الله تعالى تصح رؤيته في الآخرة ، كما في قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة[1]) .

---

(١) يقول الشيخ الاكبر في رسالة الجلال والجمال : واما هذا الجلال فقوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره) فنزل سبحانه في جمال مباسطه معنا الى ان ندركه بابصارنا – النظر بلا كيف ولا انحصار – وينظر الى هذا قوله عليه السلام : « ترون ربكم يوم القيامه كما ترون القمر ليله البدر وكما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب لا تضارون في رؤيته . وقال تعالى في حق اصحاب الجحيم : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) = .

الصلة الوثيقة بين أدلة الإيمان والعقل

أخيراً نعود لنقول إن ما جرى بعد القرن الأول للهجرة ، مما ذكرناه فلا نكاد نحيط بأمة ولا أن نحصي علماء التوحيد ، غير أن الأئمة الأعلام الذين شخصوا الداء ووصفوا الدواء ، والذين علموا أن الذين لم يكن أصدق عقيدة بين أنه كذلك أصدق فلسفة حين قالوا إن الله جل وعلا : (ليس كمثله شيء) ، كما أثبتوا بالأدلة والبراهين أن الصلة تظل وثيقة بين الإيمان والعقل ، إذ إن العقل يفرق بين عقيدة الشرك وعقيدة التوحيد ، كما يستطيع التفرقة بين أدلة التنزيه وأدلة التعطيل ، وبين ضمير مؤمن وضمير بعيد عن الإيمان .

وبعد فهذه خلاصة متواضعة عن نشوء علم التوحيد ، وعن المدارس التي مرّ بها منذ القرن الأول للهجرة ، إلى أن وصلنا إلى النسخة التي نجدها اليوم بين أيدينا ، والله نرجو أن يكلأنا جميعاً بعين رعايته وأن يمنح العون ، إنه على ما يشاء قدير .

علم التوحيد

سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه(١) : بم عرفت ربك ؟ فقال : عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي ، فقيل له : فهل يتأتى لبشر ان يدركه ؟ فقال : العجز عن درك الادراك إدراك(٢) .

وسئل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه(٣) : بم عرفت ربك ؟ فقال : عرفت ربي بما عرفني به نفسه ، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس ، قريب في بعده ، بعيد في قربه ، فوق كل شيء ، ولا يقال تحته شيء ، أمام كل شيء ، ولا يقال امامه شيء ، وهو في كل شيء لا كشيء في شيء(٤) فسبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره .

ولما سئل الامام علي : هل عرفت الله بمحمد أو عرفت محمداً بالله ؟ اجاب : لو عرفت الله بمحمد ما عبدته ولكان اوثق في نفسي من الله ، ولو عرفت محمداً بالله ما احتجت الى رسول الله ، ولكن الله عرفني نفسه بلا كيف كما شاء(٥) وبعث محمداً صلى الله عليه وسلم بتبليغ احكام القرآن وبيان مفصلات الاسلام والايمان وإثبات الحجة وتقويم الناس على منهج الاخلاص ، فصدقت بما جاء به .

وسئل الامام علي عن حقيقة التوحيد فقال : لما ركضت الارواح في ميادين المعرفة ، فسبقت روح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أرواح الانبياء ، فخلع عليها حلة المعراج » . فقيل له : وما غاية المعرفة ؟ فقال : الدهش(٦) في كبرياء الله عز وجل .

---

(١) من كتاب « حل الرموز » للامام الشيخ العز بن عبد السلام « ص ٥٠ » .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما فضلكم ابو بكر بصوم ولا صلاة . ولكن فضلكم بشيء وقر في صدره = اي علم التوحيد = » .

(٣) من كتاب « حل الرموز » للامام الشيخ العز بن عبد السلام « ص ٥١ » .

(٤) أي : (ان الله بكل شيء عليم) .

(٥) أي : (بآثار صنعه ومخلوقاته) .

(٦) الدهش هو الحيرة = كما قال سماحة السيد مكي الكتاني رئيس رابطة العلماء في الجمهورية العربية السورية = .

علم التوحيد يحتوي على معان اربعة

بهذه الاسئلة المخصصة وفي هذه الاجوبة المبنية على حديث صحيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم نحصر علم التوحيد الذي يحتوي على معان اربعة .

احدها : « لغوي » وهو العلم بان الشيء واحد .

ثانيها : « عقلي » بمعنى الفن المدون ، وهو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية مكتسب من أدلتها اليقينية .

ثالثها : « اصطلاحي » لا بمعنى الفن المدون ، وهو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق به ، ذاتا وصفات وافعالا ، واذا قلت لماذا خص التوحيد بالذكر مع ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم جاء بامور كثيرة غير التوحيد جاء الجواب على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خص التوحيد بالذكر من بين سائر ما أتى به ، لان التوحيد اصل العبادات وشرطها ، ومن لم يسلم له العقيدة لا يصلح منه اي عمل ، ثم تليه الصلاة على نحو ما جاء في حديث رسول الله عن ابي سعيد الخدري : « ان الله لم يفرض شيئا افضل من التوحيد والصلاة » .

رابعها : « شرعي » وهو : معنى بفعل المكلفين مما جاء في الكتاب والسنة .

النور والمشكاة والزجاجة والكوكب الدري

وفي نور التوحيد يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم نورا من[1] نوره ، فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ذلك النور ضل » .

فقد اسند الله النور الى نفسه في كتابه العزيز : (الله نور[2] السموات والارض

(١) من : تعني من ابتداء الخلق لا للتبعيض .
(٢) جاء في الحديث الشريف : « اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض » = حديث صحيح = .

مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) .

ويقول العارفون بالله تعالى في تفسير هذا النور[1] : إن الله سبحانه وتعالى خالق النور ، وان الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم نورا ، لأنه يهتدى به حين تلتبس الظلمة والظلمات ، وان المعنى المطلق لمشكاة انها سره ، بسريانه ، انها المؤمن ، والمصباح سره نور التوحيد ، والزجاجة بشرة قلب المؤمن ، ذلك ان القلب المؤمن شفاف تبرز منه اشعة انوار التوحيد الى ما وراءه من الجوارح ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن رجل كان يعبث في صلاته : « لو خشع قلب هذا الرجل لخشعت جوارحه » .

الالهيات والنبوات والسمعيات

في هذا يحسن ان نلم بمعنى التوحيد التي حصرت على الذهن بتلخيص ، ثم ننتقل الى فروع التوحيد الثلاثة التي تستوعب أبواب العقيدة كلها ، وتغنينا عن التطلع الى غيرها ، وزعم ان العقيدة أكبر من ان يحدها اي شيء ، وهي في الحقيقة الرحمن الصحيح للصلة بين الله وبين الانسان ، وهذه هي الفروع الثلاثة :

١ – الالهيات : وهي المسائل التي يبحث فيها عن الله عز وجل ، وبيان ما يجب له سبحانه وتعالى ، لان ذلك أشرف مباحث الالهيات ولأن الوجود أصل ، اما ما عداه فهو فرع له ، وهي على نوعين : احدهما عقائد سمعيات وثانيهما عقائد عقليات[2] .

---

(١) من كتاب « زبدة التصوف » للعز بن عبد السلام .

(٢) يقول فضيلة الاستاذ عبد الكريم الرفاعي : الالهيات : منها ما يستند على دليل عقلي محض كالصفة الانسانية ، وهي الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية ، ومنها القدرة والارادة والعلم والحياة ، وهذه الاشياء لا يقبل فيها الا الدليل العقلي المحض ، واما السمع والبصر والكلام فانها تعتمد على الدليل النقلي .

٢ ـ النبوات وهي المسائل التي يبحث فيها عن النبوة وأحوالها وخصائصها .

٣ ـ السمعيات وهي المسائل التي لا تتلقى أحكامها إلا من السمع ولا توجد إلا من الوحي ، أي الكتاب الذي سمعه النبي الرسول عليه السلام ، وأخبرنا به عن الله تعالى أو أخبرنا الله تعالى بها في كتابه العزيز ، ولا توجد الا من النقل والسمع ، وليس للعقل فيها إلا التجويز والإمكان ، كتجاوز الله تعالى عن بعض الذنوب تفضلاً منه تعالى كما جاء في القرآن الكريم . (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وكالاعتقاد في وجود الملائكة والجن والجنة والنعيم والنار والعذاب الخ ....

العقيدة الصحيحة ترتكز على العقل والنقل

ونحن نقول : ليس للعقل فيها إلا التجويز والإمكان ، يعني أن العقيدة الصحيحة ترتكز دوماً على العقل والنقل كما قال الإمام السنوسي في مختصر ابن الأثير :

العقل هو القوة المهيئة لقبول العلم ، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقلاً ، ولهذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « العقل عقلان : مطبوع ومسموع ، ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع ، كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع » .

وإلى هذا أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى » ، كما أن القرآن الكريم تحدث عن العقل قال : (وما يعقلها الا العالمون) .

الواجب الذاتي والمستحيل الذاتي والجائز الذاتي

وعلى هذا فإن فهم عقائد الإيمان يتوقف على فهم أقسام الحكم العقلي فيها ، وهي : الواجب والمستحيل والجائز ، وكما أن الواجبات والمستحيلات تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، فإن عقود العقائد على أساس الحكم العقلي فيها ثلاثة أقسام أيضاً ، إذ إن الحكم

عقلي محصور في الواجب الذاتي والمستحيل الذاتي والجائز الذاتي ، وذلك للتمييز بين الحكم العقلي وأقسامه وبين الحكم الشرعي وأقسامه ، وأمثال[1] يجب لله الوجود والقدم أي وجوباً عقلياً ، وعلى المكلف معرفة هذه العقائد وجوباً شرعياً ، وكذلك يجب معرفة الحكم العادي ، أي أن العلم الذي نعرف به الوجود والعدم بالمشاهدة الحسية أنه لا بد من مرجح يرجح الوجود على العدم ، ونحن نعلم أنه لا يجوز أن يكون المرجح من العالم لأنه يجوز عليه الوجود والعدم ، ومن يجوز عليه الوجود والعدم لا يصلح أن يرجح ، لذلك لا بد من وجود لا يسبقه عدم ولا يلحقه عدم وهو الله ، والقاعدة تقول : « فاقد الشيء لا يعطيه » أي فاقد الوجود لا يعطيه .

وهنا لا بد من تعريف الأقسام الثلاثة التي ألمحنا إليها :

١ - الواجب[2] وهو لا يتصور في العقل عدمه ضرورة كالتحيز للجرم أو نظراً[3] كوجوب القدم له تعالى .

---

(١) كما يقول فضيلة الاستاذ المعاصر عبد الكريم الرفاعي .

(٢) يطلق الواجب على معنيين : احدهما ما يصح في العقل وجوده ، والقسم الثاني هو الذي يجب على المكلف اعتقاده مثل اعتقاد وجود الله ووحدته وقدرته . والفرق في الواجب بين الفقهاء والمتكلمين ، أن علماء الكلام يقولون : الواجب معرفته بالنسبة لله مخالفه يكون كافرا . اما الفقهاء فيقولون : إن مخالف بعض جزئياته يكون فاسقاً وليس بكافر .

(٣) النظر : هو الاستدلال . وصفات الله تعالى بالنظر الى الاستدلال عليها تنقسم الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : ما لا يصح الاستدلال عليه الا بالدليل العقلي كبعض صفات الله سبحانه . مثل اعتقاد وجود الله وقدمه وبقائه وقيامه بنفسه ومخالفته للحوادث وقدرته وإرادته وعلمه . والقسم الثاني : ما لا يجوز الاستدلال عليه الا بالدليل السمعي مثل : السمع والبصر والكلام . اما القسم الثالث فهو : ما يجوز الاستدلال عليه بكل واحد من الدليلين العقلي والسمعي . وقد اختلف العلماء في الذي يثبت به . وهو الوحدانيه ، والاصح كما يقول الشيخ عبد السلام اللقاني المالكي صاحب كتاب « شرح جوهرة التوحيد » ان دليلها سمعي وعقلي . وذلك من قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله

٢ – المستحيل[1] وهو ما لا يتصور في العقل وجوده ضرورة كعري الجرم عن الحركة والسكون معاً ، او نظراً كالشريك له تعالى .

٣ – الجائز[2] وهو ما يصح في نظر العقل وجوده وعدمه ضرورة كالحركة والسكون للجرم ، أو نظراً كتعذيب المطيع وإثابة العاصي[3] .

ونمثل الاقسام الثلاثة بحركة الجرم وسكونه ، فالواجب : ثبوت احدهما لا بعينه ، والمستحيل : خلوه عنهما جميعا ، والجائز : ثبوت احدهما معينا بدلا من الآخر ، أي ثبوت الحركة بعينها او السكون بعينه بدلا عن الحركة ، وتفصيل ذلك ان يكون الجرم متحركا بدلا عن السكون ، او ان يكون ساكناً بدلا عن الحركة .

صفات الواجب والمستحيل والجائز ودليلها العقلي والنقلي

ونقصد من معرفة كليات الواجب والمستحيل والجائز ، أن نعرف ايضاً الى جزئيات الواجب التي هي عشرون صفة :

لفسدتا) . ويقول فضيلة الاستاذ عبدالكريم الرفاعي : إن الدليل العقلي يرتكز على انه لو كان هناك آلهان اثنان ، فاما ان يتفقا وإما ان يختلفا ، فوجود التوافق ممنوع ، لان الذي يجب ان يتفق مع غيره إنما يكون لعجزه ولنقصه ، والنقص والعجز يستحيلان على الله . فامتنع التوافق . وكذا اذا لم يجب التوافق يجوز التخالف او يجب التخالف ، واذا تخالفا فهما إما ان ينفذ مرادهما بان يريد أحدهما الوجود والآخر العدم او لا ينفذ مرادهما . او ينفذ مراد احدهما ولا ينفذ مراد الاخر . فالذي نفذ مراده هو الاله القادر الفعال لما يريد . والذي لم ينفذ مراده هو العاجز الذي لا يصلح ان يكون إلهاً .

(١) المستحيل : ما لا يقبل الوجود .

(٢) عرف بعض العلماء الجائز بانه ما يقبل الوجود والعدم . حيث ان التعريف = في نظرهم = واضح صريح ليس فيه اي احتمال آخر .

(٣) لا يجوز تعذيب المطيع وإثابة العاصي من الوجهة الشرعية لانه يؤدي الى تخلف الوعد والوعيد . اما من جهة العقل فانه جائز .

ويقول فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الكريم الرفاعي : والذي يرجح احد الطرفين اما الشرع مثلما جاء في القرآن بوجود الجنة والنار مثلا فهذا مرجح ، واما الشرعي فلا يمكن خلافه . وهناك مرجح الواقع ، مثال ذلك : الذهاب الى القمر والنزول عليه ، فان الشارع لم يثبته ولم ينفه . ورجح الذهاب للقمر كأمر واقع .

ووجوده وقدمه وبقاؤه ومخالفته للحوادث في الذات والصفات والأفعال وغناه عن المحل والمخصص ، ووحدانيته في الذات والصفات والأفعال ، والقدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وكونه تعالى قادرا ، مريدا ، عالما ، حيا ، سميعا ، بصيرا ، متكلما •

ودليل صفات السمع والبصر والكلام نقلي على الصحيح ، وما في الصفات فدليله عقلي ولا يقبل النقل فيه •

ويستحيل في حقه تعالى كل نقص ، ويستحيل اضداد الصفات الواجبة ، وهي التي لم يذكرها ... مع انه تعالى ، وعددها عشرون صفة •

واما الجائز في حقه تعالى ، فلا ينحصر افراده ، واشهرها ان الجائز هو فعل كل ممكن او تركه ، ومنه : ارسال الرسل وجواز الصلاح والاصلح على الله وانه ليس بواجب على الله ، ورزقه للمخلوق ، ومنه ما هو ضروري شرعا كاثابة الطائع وتعذيب العاصي ، وضروري عقلا لانه المعطي والمانع ، ويستحيل في حقه تعالى اضداد هذه الصفات •

ومعرفة(١) هذه الصفات تفصيلا لا تكفي ، بل اجمالا فقاعدة الله او قانون كلي ، بحيث كان نقول يجب لله تعالى اجمالا كل كمال يليق بذاته ، ويستحيل عليه تعالى اجمالا كل نقص ، ويجوز في حقه تعالى اجمالا فعل كل ممكن او تركه ، وعلى هذا يجب شرعا على كل مكلف ان يعرف ما يجب لله تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز ، ويجب للرسل وما يستحيل عليهم ، وان يجد بحكم التوحيد والعقائد الاسلامية كما جاء من عند الله في قرآنه العظيم ، وفي الاحاديث الشريفة على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم •

الصفات النفسيه والسلبية والمعنويه

ونتقل الآن الى الصفات الواجبه وهي اربعة :

---

(١) المعرفة : هي الامر المطابق للواقع عن دليل •

الأولى : (الصفة النفسية) : وهي التي لا تعقل الذات إلا بها ، وسميت نفسية ، لأنه لو وصف بها على نفس الذات ، بمعنى ان الله وجد بذاته لا لعلة ، فلا تقبل العدم والمحال كذلك .

الثانية : (الصفة السلبية) : وسميت سلبية لانها تسلب ، أي تسلب ما لا يليق بالله تعالى ، وتلحق على خمس صفات سلبية وهي : القدم ، البقاء ، القيام بالذات ، المخالفة للحوادث ، الوحدانية .

فالقدم يسلب اولية الوجود ، والبقاء يسلب آخرية الوجود ، والمخالفة للحوادث تسلب المماثلة : (ليس كمثله شيء) ، والقيام بالذات هي عدم احتياجه الى محل كالصفة التي تحتاج الى محل ولا تحتاج الى مخصص كذواتنا التي وان كانت قامت بنفسه ولكن تحتاج الى مخصص يخصصها بالوجود بدلا عن العدم ، والله سبحانه وتعالى متصف بصفة القدرة والارادة والعلم والحياة ، وهي واجبة الوجود كذاته ، وهي تسلب عنه ان يكون محتاجا في ذاته الى من يخصصه بالوجود بدلا عن العدم كذواتنا فانها تحتاج الى من يخصصها بالوجود ، والوحدانية تسلب عنه التعدد سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته وافعالـه .

الثالثة : (صفات المعاني) : وسميت صفات الذات وهي سبع : القدرة ، الارادة ، العلم ، الحياة ، السمع ، البصر ، الكلام .

الرابعة : (الصفات المعنوية) : وهي قيام المعاني بالذات ، اذ ان القادر بلازم القدرة ، والمريد بلازم الارادة ، والعالم بلازم العلم ، وما اليها ، وعددها سبع : كونه تعالى : عالماً ، مريداً ، حياً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلما .

خمسون صفة في قول : (لا اله الا الله)

وتجمع معاني الخمسين صفة من واجب ومستحيل وجائز قول : (لا اله الا الله)، فمن معاني لا اله الا الله ، اي لا مستغني عن كل ما سواه الا الله ، وتدخل في جـزء الاستغناء احـدى عشرة عقيـدة وهي : انه موجـود وقـديم وباق ومخـالف

الحوادث والغنى عن المحل والمخصص ، والمعاني هي : السمع والبصر والكلام ، وكونه : سميعاً وبصيراً ومتكلماً .

ومفتقر اليه كل ما عداه ، إله واحد وله قدرة وإرادة وعلم وحياة ، وكونه تعالى : قادراً ومريداً وعالماً وحياً .

وقد ورد في الحديث الشريف : « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » ، وقيل يا رسول الله ما الإخلاص قال : « أن تحجزه عن محارم الله تعالى » .

ويروى عن سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال تقول لا إله إلا الله ترفع سخط الله عن العباد حتى إذا نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم إذا سلمت دنياهم وقالوا قولة عند ذلك قال الله لهم : كذبتم .. كذبتم .... »

وورد في القرآن الكريم : (إن الله غني عن العالمين) .

أما الألوهية فهي استغناء الإله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه ، وقد وصفها الله تعالى في كتابه العزيز : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) .

وجملة : « محمد رسول الله » وهي الشطر الثاني من التوحيد تدخل فيها معنى الإيمان بسائر الأنبياء والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر ، فقد أوحى الله للنبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم الذي ينص على تصديق كل ما تقدم والإيمان به لقوله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) .

وقد اجمل الشاعر العربي لبيد التوحيد في بيت من الشعر :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة زائل

وأثنى على هذا الشعر الرسول صلى الله عليه وسلم حين سمعه قائلاً : « إنه أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد » « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » ، أما الشطر الثاني من الشعر فقد أوضحه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : « إن نعيم الجنة لا يزول » .

الواجب والمستحيل والجائز في حق الرسل

وبعد ان فرغ منه عن الالهيات شرع في الحديث عن النبوات فيقول ان النبي من اوحى الله اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، اما اذا امر بتبليغ الشرع فهو نبي رسول .

واول الواجبات في حق الرسل اربع صفات هي : الصدق والامانة والتبليغ والفطانة ، فالاول : الايمان بالله تعالى ، والثاني الايمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام .

ويستحيل في حق الرسل : الكذب والخيانة والكتمان والبلادة ، ويجوز في حقهم الاعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية كالمرض غير المنفر ونحوه ، وما شاع عن سيدنا ايوب عليه السلام انه اصيب بأمراض منفرة فهي من الاسرائيليات الباطلة .

ومن الجائز العقلي : ارسال الله تعالى جميع الرسل من آدم عليه السلام الى محمد عليه الصلاة والسلام الى المكلفين لتبليغ الاوامر والنواهي والوعد والوعيد ، وتفهيم الناس ما يحتاجون اليه من امر الدين والدنيا ، مصداقاً لقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) و (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) .

وافضل المخلوقات على الاطلاق الشاملة للعلوية والسفلية من الملك والبشر والجن في الدنيا والآخرة في سائر صفات الخير ونعوت الكمال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) وقوله عليه الصلاة والسلام : « انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر » ، كما ان حديث الشفاعة يشير ايضاً الى هذه الناحية(1) .

---

(١) = حديث الشفاعة = عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ، ولا يعرفه منا احد ، حتى جلس

وقد اكد العلماء بان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجب ان يعتقد انهم مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي يتبعونه في التفصيل ، فمرسيهم بعد مرسيه ، وبذلك فالسمعيات في علم التوحيد هو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاحكام ، وراية كانت او سنّيّة ، كلا او بعضا ، وقد اخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه •

السمعيات مؤيدة بالعقل والحس والمشاهدة

واما السمعيات فتشمل اموراً كثيرة ، مؤيدة بالعقل والحس والمشاهدة ومنها : الملائكة ، الرسل ، الكتب المنزلة ، اليوم الآخر ، القضاء ، القدر ، الرحمة ، العذاب ، الجنة ، النار ، الميزان ، الصراط ، الحياة ، الموت ، سؤال منكر ونكير ، الحساب ، اللوح ، القلم وما اليها من المغيبات •

وهذا التفصيل الذي ذكرناه عن علم التوحيد غيض من فيض ، وهو شكل فسمّ

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه فقال يا محمد اخبرني عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الاسلام : ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلاً ، قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فاخبرني عن الايمان . قال : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت . قال : فاخبرني عن الاحسان ، قال الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الساعه ، قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن اماراتها ، قال : ان تلد الأمة ربتها وان ترى الحفاة العراة العاله رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، ثم انطلق •

فلبثت ملياً ثم قال : يا عمر اتدري من السائل ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : هذا جبريل اتاكم يعلمكم دينكم = رواه مسلم = . •

من اقسام الدين الذي يتفرع الى فروع ثلاثة[1] :

١ ــ اســلام •

٢ ــ ايمــان •

٣ ــ إحســان •

والاسلام : هو الانقياد والاذعان العملي من الصلاة[2] والصيام والزكاة والحج ونحوها من واجبات الاسلام ، يدعن بها من الله سبحانه وتعالى ، واما العمل بها في مذهب الجمهور فانه شرط كمال ، فمن آمن بها وهو مذعن انها فرض فهو مسلم عند الجمهور ولكنه مقصر في واجبه ، ومن لم يؤمن بها ولم يذعن فهو كافر ومنافق •

اما حقيقة الاسلام فهي ان لا تفتر عن العمل •

والايمان : هو التصديق بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء ما جاء في القرآن الكريم او في السنة المطهرة ، ومحله القلب وحقيقته لا تنفك عن الاسلام •

والاحسان : ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك كما في محصل قوله تعالى •

وهكذا ، فان اسلوب علم التوحيد الشرعي يختلف عن الفكر والفلسفة والاستدلال الفكري العقلي المبني على مقدمات ونتائج وبراهين وحجج عقلية فكرية تستند اوسع الاستناد على نصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ونتائج هذا الاسلوب ونتائج

---

(١) يراجع حديث الشفاعه

(٢) قال ابو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تعالى لم يفرض شيئا افضل من التوحيد والصلاة •

هذه المعرفة من الصحة بالفكر بها اثرها الكبير في ايمان المرء واخلاقه ومعاملاته وسلوكه مع الله •

وبعد ••• هذا بعض ما استطعنا تقديمه ملخصاً عن علم التوحيد ، آملين من اولئك الذين يحبون ان يتعمقوا اكثر فاكثر ان يعودوا الى مؤلفاته الكثيرة الغزيرة التي حفلت بها المكتبة الاسلامية منذ قرون ، والله الهادي الى الصراط الحميد •

التوحيد والتصوف والايمان

في مدرسة المثالية الإسلامية

وعد الله سبحانه وتعالى بتجديد أمر دينه على رأس كل مئة سنة[1] وأكد ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى : (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وقد بعث نعمت أمتنا في القرون التي تلت القرن الذي عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعدد من كبار العارفين بالله تعالى[2] ، وفي طليعتهم الشيخ أرسلان الدمشقي ، وهو من

(١) جاء في الحديث الشريف : ان الله يبعث لهذه الأمة على راس كل مئه سنة من يجدد لها امر دينها = رواه ابو داود والحاكم والبيهقي في « باب المعرفة » .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث عن عائشه رضي الله عنها : إن دعامه الدين المعرفه بالله واليقين والعقل النافع . فقلت : يا رسول الله : بابي أنت وأمي ما العقل النافع ؟ فقال : الكف عن معاصي الله والحرص على طاعة الله .

وذكر القشيري : المعرفة في اللغة العلم ، وكل علم معرفه ، وكل عالم بالله عارف ، وكل عارف بالله عالم ، وقال ابو يزيد البسطامي : المعرفه توجب الحياء والتعظيم . كما ان التوحيد يوجب الرضا والتسليم .

وقال الامام ابو القاسم الجنيد : المعرفة صفة من عرف الحق باسمائه وصفاته ثم صدق الله في معاملاته ، ثم تنقى من اخلاقه الرديئه وآفاته . ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه . فحظي من الله بجميل إقباله وصدق الله في جميع احواله . وقطع عنه هواجس نفسه ، ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره ، فصار عن الخلق اجنبيا . ومن آفات نفسه بريئا . ومن المساكنات والملاحظات نقيا ، داوم في السر مع الله في مناجاته . وحقق في كل لحظه ازلية رجوعه = كتاب روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين الخطيب ص ٤١٨ = .

وقال الشيخ زروق ان اصل التصوف مقام الاحسان وهو متنوع الى نوعين احدهما بدل من الآخر ، هما ان تعبد الله كأنك تراه والا فانه يراك ، فالاول رتبة العارف والثاني رتبة من دونه . وعلى الاول يحوم الامام الغزالي ومن نحا نحوه . والاول اقرب لان غرس شجرتها مشير لقصد ثمرتها ، ومبناها على الاصول التي يحصل لكل مؤمن وجودها فالطباع مساعدة لها والشريعة قائمة فيها . اذ مطلوبها تقويه اليقين وتحقيقه باعمال المتيقن .

ويمثل هذه [illegible] التي كان عليها السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، حتى [illegible] في [illegible] التصوف ، [illegible] من فقهاء [illegible] في القرن السادس الهجري [illegible] في دمشق [illegible] جامع مسجد [illegible] في [illegible] الشرقي .

لا تصوف الا بفقه ولا فقه الا بتصوف

وهذه المدرسة السنية في التوحيد بين الفقه والتصوف والاحسان هي التي تحدث عنها الامام مالك رحمه الله(١) فقال : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق . وقد شرح الشيخ زروق امام اهل الحقيقة هذه الجملة بقوله : تزندق الاول لانه قال بالجبر الموجب لنفي الحكمة والاحكام . وتفسق الثاني لخلو عمله من التوجه الحاجب له عن معصية الله ومن الاخلاص المشروط في العمل لله ، وتحقق الثالث لقيامه في عين الحقيقة في عين التمسك بالحق ، ذلك ان صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما يرضاه ، ولا يصح مشروط بدون شرطه (ولا يرضى لعباده الكفر) فلزم تحقيق الايمان (وان تشكروا يرضه لكم) فلزم العمل بالاسلام ، فلا تصوف الا بفقه اذ لا تعرف احكام الله الظاهرة الا منه ، ولا فقه الا بتصوف اذ لا عمل الا بصدق وتوجه ، ولا هما الا بايمان اذ لا يصح واحد منهما دونه ، فلزم الجميع لتلازمهما في الحكم كتلازم الارواح للاجساد ، ولا وجود لها الا فيها كما لا حياة لها الا بها .

مقام الاحسان : اصل التصوف

فاصل التصوف مقام الاحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك كما ان الفقه على مقام الاسلام والاصول على مقام الايمان ، فالتصوف احد اجزاء الدين الذي علمه عليه السلام جبريل ليعلمه الصحابة

---

(١) كتاب قواعد التصوف للامام ابي العباس احمد بن احمد بن محمد الشهير بزروق رضي الله عنه .

رضي الله عنهم ، وهو مع أنه منتسب [illegible] على [illegible] ويخوفه ، فلهم [illegible] الأسس [illegible] الآخر في [illegible] .

وقد ورد [illegible] في [illegible] (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) .

رجال الشريعة : اربعة اقسام

وتنقسم رجال الشريعة الى اربعة اقسام :

ومنهم : من يحصل علم الرسوم وعلم التفسير أي تفسير حدود الشريعة الظاهرة ، ويكشف عن الحلال والحرام ، وهذا العلم لا يدرك الا بالتعلم والدراسة والبحث ، وعلم الرسوم علم محفوظ ومسموع على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو : الاسلام[1] .

ومنهم : من يحصل بعلم الباطن أو العلوم الغيبية[2] ، شريطة ان يحصل على علم الظاهر ، ويدعى علم التأويل[3] أي علم [illegible] هذا العلم

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : راس الأمر الاسلام .

(٢) ان علم الباطن هو علم التصوف بعينه وقد اشرنا اليه قبلا . تأكيدا لما قاله الامام الغزالي : ان العالم ينقسم الى قسمين : عالم الشهود وهو عبارة عن المعاملات الظاهرة كالصلاة والزكاة وما اليهما وعالم الملكوت . وهو الذي يخفى عنا من احوال القلب الذي يحتوي على المتناقضات . كالوجد والرياء والكبر والعجب والاخلاص والصدق . وكلها امور باطنه ، وهذا هو عالم الملكوت الذي يقابله عالم الشهود .

(٣) يقول فضيلة الاستاذ ملا رمضان البوطي : ان التأويل يأتي بعد الايمان وبعد الاسلام اللذين استمد فيهما من ظاهر الآيات والاحاديث . طبقا لما قاله الامام الغزالي : ان فعل العبد مركب من قدرتين : احدهما قدرة الخالق . وثانيهما قدرة المخلوق ، فمعنى قدرة الخالق خلق الفعل ومعنى قدرة المخلوق كسب العمل . ففعل العبد مشترك بين قدرة الله التي بمعنى الخلق وبين قدرة العبد التي بمعنى الكسب . وهذا هو مذهب اهل السنة والجماعة .

وقد قال اهل التصوف : انه لا يجوز تأويل الآيات والاحاديث الا بعد تفسير معانيها عند اهل الظاهر .

بدرس وتعليم ، وإنما بهداية الله ، وهؤلاء هم الذين تعرضوا لنفحات الحق طبقاً لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها[1] » .

وهذه الفئة تحررت من الحظوظ الأولى ، وهي طهارة الظاهر والتمسك بآداب الشريعة وامتثال الأوامر واجتناب النواهي أي الحظوظ الثانية ، وهي طهارة القلب ، فتقربت إلى الله بالنوافل[2] حتى أحبها الله ، وعند هذا الحد تعلم الإحسان[3] الذي هو نتيجة من نتائج التقوى ، وهذا هو ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « الإسلام علانية والإيمان في القلب » رواه أحمد في مسنده .

وثالثهم : خاصة الخاصة ، وهم الذين من الله عليهم بالعلم اللدني والوهبي والإلهي الذي يؤتيه من يشاء ، فتمكن لهم أن يصلوا إلى مرتبة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وإلى أن يكونوا جميعاً كتلة واحدة في المدرسة المثالية التي إليها أشرنا والتي يعتقد أن شيخنا الشيخ [illegible] الدمشقي أحد أفرادها ، وهؤلاء جميعاً يجمعون بين الشريعة والحقيقة المعنى فيهما أساس واحد وشيء واحد .

ورابعهم : خواص الله في أرضه ، وهم الأبدال والأنجاب والنقباء وسائر المراتب الموجودة في كتب القوم وهم ورثة الأنبياء بجميع صفاتهم ، ومخصوصون بعلم الرسالة ، مستمدين رتبة خواص الله في أرضه من آي الذكر الحكيم التي تقول : « واتقوا الله

---

(١) رواه الترمذي والطبراني من حديث محمد بن مسلمة .

(٢) روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى : من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة . وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه . ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به . ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بها . بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي . ولئن سألني لأعطينه . ولئن استعاذني لأعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره » .

(٣) يقول الإمام النووي : اجمع العلماء الأخيار على أن ترك أدب من آداب الإسلام يؤدي إلى سلب الإيمان . وهذا هو المعنى الذي يتجلى في أن الشريعة والحقيقة شيء واحد .

وعلماء الله ، ومشرقين في امراض من فريضة العبادة ، (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) . ومن الحديث الشريف : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم »(١) . ويمنحهم الله ويفيض عليهم بالايمان والعقل والهداية والتقوى ... ويترقون من مرتبة العمل في التحقق بصفات الله بهم نفسه ، ومن العمل في الحب حتى يكون العارف بالله ... الا الوصول الى الله ، فلا يجد سواه ولا غيره ، ولا شيء غير نفسه ووجوده فقد وصل ، طبقاً للحديث الشريف القائل : « كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان » ، وبذا يكون خواص الله في الأمة مع الله ... فضلاً من الله ونعمة ، ويقيمون رسوم الشريعة ويتخلقون بأخلاق الله ، محفوظين في النفس والحس ... من الله من امره .

وفي عقيدة الشيخ أرسلان الدمشقي ... من عقيدة الصوفية كما قد جمع الدكتور ... الاربعة التي لابد من اجتيازها ... هي ذات صفات العارف ... الرجوع عن سوى الله ... والذهاب الى الله ... في هذا ... الوصول الى معرفة الله ... في هذه ... عارفاً بالله .

رفع منار الشريعة وصد الصليبيين

ومن ... التوحيد التي وضعها الشيخ أرسلان الدمشقي ، وهي لا تزيد عن اربع صفحات من ... موجزة ... ويتحقق من انه كان من اوائل الذين خطوا في التوحيد خطوة عملية ... أسس معهد مدرسة التوحيد في الباب الشرقي من دمشق ، ... من رجال الأسرار ، أسهموا في الدفاع عن دمشق ، في وجه غزوة الصليبيين ... كما اسهموا في رفع منار الشريعة ،

---

(١) رواه ابو نعيم .

الجوهرة منظومة ، شرحوا ونصها ، وللعلي في رسالة التوحيد » ان عدد من أهل
العراقين شرحوها بعشرات ومئات الصفحات ، خلال قرون طويلة وعديدة ، وأربى هذا
العدد على اثني عشر شرحا ، كما وجدت في علماء حتى الجوهرة ، وقد تكون أكثر بكثير .

الاستدلال النظري والفكري في فن التوحيد

وقد ابتدأ الاستدلال في التوحيد ، لكن مدونة في القرن الأول للهجرة ، لأنه قرن الرسول الأعظم ، وقرن أصحابه رضوان الله عليهم ، ثم تطورت الأحداث واقتضى وجاء علماء تسميته علما ، وزعم انه علم بحدوده ، وبمنعه مثل من آي الذكر الحكيم ومثل من الأحاديث الشريفة ، واتفقت الأئمة على وضع هذا العلم في قوالب ... منهج حفظ عقائد أهل السنة ، وحراستها من شوائب أهل البدعة ، فحشوا ... عند حد في القرآن الكريم ، ومعالجة الأفكار عن طريق الاقناع والاستدلال بالأدلة العقلية والحجج المنطقية حتى ... فيه ، فالكلام مرتب لكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة ، مما ... في العقيدة والحدث بالأقوال أولا ، ثم الافعال والسيعة النظر - وهي الكلام - في العلم كما ترى ، وطريق الاستدلال النظري والفكري ، يعتبر منهجا مستقيما وطريقة قويمة لعقائد الايمان (1) ، ومع هذا فإنه مبني على العقل ، وبما

---

(1) قلنا ان الاستدلال النظري والفكري يعتبر منهجا مستقيما ، تأكيدا لما قاله العلامه ابن خلدون في مقدمته : « ان الائمة من اهل السنـه كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا عن علم التوحيد ، والادله العقلية انما احتاجوا اليها حين دافعوا ونصروا ، واما الان فلم يبق منها الا كلام تنزه الباري عن كثير من ابهاماته واطلاقه .

ولقد سئل الامام الجنيد رحمه الله عن قوم مر بهم من المتكلمين يفيضون فيه فقال: ما هؤلاء ؟ فقيل : قوم ينزهون الله بالادلة عن صفات الحدوث وسمات النقص فقال : « نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب » لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة ، اذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها .

وقد سبق الامام ابو جعفر : احمد بن محمد بن سلامه الازدي الطحاوي الذي ولد عام ٢٣٩ وتوفي عام ٣٢١ ، ابن خلدون فاشار في طبعة صاحب العقيدة الطحاوية التي طبعت في المطبعة السلفية الى ان عامة من ضل في باب التوحيد او عجز فيه عن

[illegible] العقول [illegible] على مستوى واحد [illegible] ، على

[illegible] وهذا العقل [illegible] والمعتقدات ، ويحصل

[illegible] في الافكار [illegible] في صعيد الاسس [illegible]

[illegible] مدارس للتوحيد ، [illegible] على القواعد

[illegible] في القرن السادس للهجرة ،

على [illegible] من الاكدار ، ومعالجة(١) القلوب والصدور

والنفوس [illegible] الشريعة والحقيقة [illegible] واحد [illegible]

الاول والأخير من القرن [illegible] والسنة ، وذلك على طريقة تجعل الفرد اقرب الى الفائدة

[illegible] في [illegible] للتوحيد [illegible] ، و[illegible]

المحدود على الدين الخالص .

معرفة الحق فانما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول وترك النظر والاستدلال الموصل الى معرفته ، ذلك انهم اعرضوا وكذلك عن كتاب الله واضاف عن ابن عباس رضي الله عنه : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، ثم قرأ الآية : « فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا » كما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن علي رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انها ستكون فتن ، قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره اضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسن ، ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به) ، من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم » اخرجه الترمذي » .

(١) المعالجة عند السادة الصوفية — كما سمعت من فضيلة الاستاذ ملا رمضان البوطي — : هي مداواة القلوب بأدوية خصصوها ، وهي خمس : خلاء البطن ، قراءة القرآن بالتدبر ، قيام الليل ، البكاء ، التضرع عند السحر ، مجالسة الصالحين ، وبعد ان يكون هذا هو المقصود من هذه المعالجة ، فلا يتطرق الى هذا القلب الذي صفا الا التسليم للحق .

وهذا الأسلوب يفتح للنفس كما قلنا طريق محادثة الارواح والضمائر ، الى جانب مصافحة الظاهر ، ولا شك ان النفس في الواقع تمليه عليهم ضمائرهم الحية وقلوبهم الصافية حتى تجعلها الاسلام صورة واسمه القيادة وسلمها ، لأن الضمير يظل حاكماً على صاحبه لا يستطيع مخالفته ، بهذا المستند يعملون المأمون على الله بلسان الحال والمقال بهذا الاسلوب من التوجيه والتثبيت والتفقه(1) والايمان الحقيقي ، بعد ان استيقن لهم ان الشارع معنى خلوا من الشكوك والاوهام .

شروط الايمان الحقيقي

ومن شروط الايمان الحقيقي ان يعتقد اعتقادا جازما كل كمال لله ، منزهاً عن كل نقص حتى عن كل ما يلزمه نقص كما قال تعالى (ليس كمثله شيء) منزهه عن كل ما يلزمه احتياج او مكان او زمان او تشبيه .

وبهذه المثابة سئل الامام احمد بن حنبل عن الاستواء(2) في قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) فقال : « استوى كما اخبر لا كما يخطر للبشر » ، واضاف جواباً على سؤال : « من قال لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الارض فقد كفر ، لان هذا القول يوهم ان له مكاناً ومن توهم ان له مكاناً فهو مشبه » .

---

(1) الفقه معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهه والاباحه وهي متلقاة من الكتاب والسنه ومانصبه الشارع لمعرفتها من الادلة فاذا استخرجت الاحكام من تلك الادلة قيل لها فقه = مقدمة ابن خلدون صفحة ٤٤٥ = .

(2) من كتاب حل الرموز للعز بن عبد السلام ، ص ٤٧ . وفيه ايضا انه لما سئل ابو المعالي عما قاله الامام احمد في الاستوا قال : ان احمد ضرب بالسياط ولم يزغ عن سواء الصراط . غسل وجه اهل السنة من غبار اهل البدعة وكشف الغمة عن عقيدة هذه الامــة .

وسئل الامام الشافعي[1] عن الاستواء فقال : « آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الادراك ، وأمسكت عن الخوض فيه كل الامساك » .

وسأل رجل الامام مالك عن آية : (الرحمن على العرش استوى) فطرق رأسه مليا ثم قال : « الاستواء مجهول ، والكيف معقول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أظنك إلا ضالاً فأمر به وأخرج[2] » .

عجز العقل

وسأل الزمخشري[3] عن الامام الغزالي عن قوله : الرحمن على العرش استوى فاجابه بقوله : « اذا استحال ان تعرف نفسك بكيفية او أينية فكيف يليق بعبوديتك ان تصفه تعالى بأين او كيف وهو مقدس عن ذلك ؟ ثم جعل يقول :

قل لمن يفهم عني ما أقول ... قصّر القول فذا شرح يطول
ثَمَّ سرٌ غامض من دونه ... قصرت والله اعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولم ... تدرِ من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات ركبت ... فيك حارت في خفاياها العقول
أين منك الروح في جوهرها ؟ ... هل تراها فترى كيف تجول ؟
وكذا الانفاس هل تحصرها ... لا ولا تدري متى عنك تزول
اين منك العقل والفهم اذا ... غلب النوم فقل لي : يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجري منك ام كيف تبول ؟

---

(١) لما سئل الامام احمد بن حنبل عن الامام الشافعي رضي الله عنهما قال : ما الذي اقول فيه : وهو الذي أخرج من قشور التشبيه لبابها واطلع على معارفها أربابها ، وجمع بمذهبه أكنافها وأطنابها ، فالمحدثون صيادلة والشافعي طبيبهم والفقهاء أكابر والشافعي كبيرهم .

(٢) شرح الباجوري لجوهرة التوحيد .

(٣) نقلاً عن الباجوري .

فإذا كانت طواياك التي ... بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدري من على العرش استوى؟ ... لا تقل كيف استوى كيف النزول؟
كيف يحكي الرب أم كيف يرى؟ ... فلعمري ليس ذا إلا فضول
فهو لا أين ولا كيف له ... وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له ... وهو في كل النواحي لا يزول
جل ذاتاً وصفاتاً وسما ... وتعالى قدره عما يقول

وقد أحسن العز بن عبد السلام في جمعه بين وحدة الشريعة والحقيقة(١) وعلم السلوك(٢) لما قال :

يا أيها المدعي فيه معرفة ... وقد تفرد بالتوحيد إعلانا
وتعلم الحق بالعقل ضعيف و... ... من الحس والرأي حسبانا وبهتانا
ضلت جهالاً بدون الله تدركه ... وقبل التفكر أو تدبره إيقانا
أو عقول أحاطته بما تشبهه ... أو هل قامت به إيماناً وبرهانا
أو هل تراه بما تصوره في كتب ... هل هي إلا على المحسوس عميانا
الله أعظم شأناً أن يحيط به ... عقل وعقل ورأي ما حوى سلطانا

وأصدق العز بن عبد السلام رضي الله عنه قائلا : بل إن الله سبحانه وتعالى منزه عن كيف وأين وكم ومتى ، فقد حيرت العقول فيه ، فما المعرفة إلا العجز كما قال

(١) من كتاب « حل الرموز » للعز بن عبد السلام .

(٢) يقول الامام احمد بن تيميه في مجموعه فتاواه الجزء ١٠ ص ٥٤ عن علم السلوك : ان (قل يا ايها الكافرون) وتضمن التوحيد العملي والارادي وهو اخلاص الدين لله بالقصد الاراده ، وهو الذي يتكلم به مشائخ الصوفية غالبا ، وأما سوره (قل هو الله أحد) فمتضمنه التوحيد القولي العملي كما ثبت في الصحيحين عن عائشه : ان رجلا كان يقرأ (قل هو الله احد) في صلاته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سلوه لم يفعل ذلك ؟ فقال : لانها صفه الرحمن فانا أحب ان اقرأ بها » فقال : « اخبروه إن الله يحبه » .

الصديق ابو بكر رضي الله عنه وجزاه الله عنا كل خير « العجز عن درك الادراك إدراك » .

من عرف نفسه فقد عرف ربه

وقد سمعت عن التوحيد العملي والارادي ، وهو اخلاص الدين لله بالقصد والارادة(1) في مجلس ضمني مع شيخي العارف بالله تعالى الشيخ احمد الحارون الحجار الدمشقي ، انه حدث تلميذ من دمشق ، يدرس في احدى الاعدادية وقال : إنه غاضب جداً ومنزعج ، لأن استاذه ينكر وجود الاله في كل درس من دروسه ، وانه يحار بماذا يجيبه ، ليلقمه حجراً ....

سكت الشيخ احمد هنيهة ثم قال له : يا بني .. انك حين تعود الى المايا وتعاود الدرس ، لا بد وان تلتقي بهذا الاستاذ من جديد ، وعندئذ ليس عليك إلا ان تستأذنه بالكلام ، حين يكرر عدم وجود الاله ، وتقول له : يا استاذ ! احب ان اسألك سؤالاً ارجو ان لا تتحرج منه .

وفي جملة الجواب ولا بد تقول له : يا استاذ هل تعتقدون انكم من العقلاء ام من غير ذلك ؟ .

ويجيب الأستاذ : انني من العقلاء .

وتسألونه : اين هو العقل ؟

ويجيب : إنه في الرأس .

وتسألونه : ما هو حجمه ؟ وأين حيزه ؟ وما هو شكله ؟ وما هو لونه وما هو قياسه وما الى ذلك ؟ .

ويجيب : لا أعرف ! .

---

(1) كما يقول الامام احمد بن تيميه في « علم السلوك » ج ١ ص ٥٤ .

وعندما نقول هذا : ان حضور الاسد ... كما لا يستطيعون الاجابة على هذه الاسئلة عن العقل وهو جزء اصغر في جزء صغير ، فكيف يمكن القول بعدم وجود إله قادر مقتدر لا حول بهذا الكون لا من العالم بكل ما في الارض والسماء كيف لنفس جرد نفسه من اسباب الانكار والاصرار •

وعاد التلميذ الى امر الاجداد ، وجرت المحاورة بينه وبين استاذه على النحو الذي حدده الشيخ حمد الحدون ، وقد نجح التلميذ وأسقط في يد الاستاذ وفشل •

وعاد التلميذ الى وجهه على اسس الحقيقة التي تعلمها ، ودل فعلها على رفاقه •

ختام نقول : ان علم التوحيد الذي تحدث عنه بين الحديث ، لانه منصوص في القران الكريم وفي الحديث الشريف ، من قبل ان تظهر اي خير الوجود في قالبه العلمي كعلم ، على يد علماء يسبق ذلك وعلى يد العلماء ، سواء أكانوا من العاملين في دور الحقول في التوحيد والاعتقاد به ام من المتكلمين ، دون ان يتركوا أي مجال للجدل والنقاش حول امور مسلم بها في الاصل •

بل ان التوحيد المنصوص في القران ، قرآن المسلمين ، جاء به كل نبي من ادم عليه السلام او محمد صلى الله عليه وسلم ، ومع ان الاحكام قد اختلفت الا ان التوحيد ظل على أصل واحد وفروع واحدة ، لا تبدل ولا تتغير •

والشيخ الرسلان الذي قدم ... علم التوحيد ... قام التوحيد في نفسه • عملا وتحليلا وتحقيقا واعتقادا ، ان ... في مدرسته الثانية التي تكلمنا عنها ان تصدر الاحكام الشرعية عن علم وابصار لا حسب الحسن والبصر ، ومراده في هذا تربية النشء تربية ايمانية صحيحة ، حتى يتغرس التوحيد في القلوب ، ويتسرب الى كل مظهر من مظاهر النفوس ، ... كما فعل الائمة الاربعة ومن جاءوا قبلهم وبعدهم من العارفين بالله تعالى والعلماء العاملين •

[illegible] في [illegible] ليوموا ل
[illegible] انه هو [illegible] في [illegible] والارشاد والتوجيه الصالح ،
[illegible] الشيخ [illegible] وعوض عليه [illegible] ،
عرفون كيف يخدمون أمتهم باخلاص وتفان وبطولة .

---

(١) يقول الامام احمد بن تيمية في رسالته « الصوفية والفقراء » طبعة المنار بمصر « ص ١٦ » : اذا عرف ان منشأ التصوف كان من البصرة وانه كان فيها من يسلك من طريق العبادة والزهد ماله فيه اجتهاد كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ماله فيه اجتهاد . ثم التصوف عندهم له حقائق واحوال معروفة قد تكلموا في حدوده وسيرته واخلاقه كقول بعضهم : الصوفي من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، واستوى عنده الذهب والحجر . التصوف كتمان المعاني . وترك الدعاوي . واشباه ذلك. وهم يسيرون بالصوفي الى معنى الصديق • وافضل الخلق بعد الانبياء الصديقون كما قال تعالى : (فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً) ولهذا ليس عندهم بعد الانبياء افضل من الصوفي . لكن هو في الحقيقة نوع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصديق من اهل هذه الطريق . كما يقال : صديقو العلماء وصديقو الامرا . فهو اخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم •

فاذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين انهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من اهل الكوفة انهم صديقون ايضاً . كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده . وقد يكونون من اجل الصديقين بحسب زمانهم . فهم من اكمل صديقي زمانهم وان الصديق في العصر الاول أكمل منهم •

والصديقون درجات وانواع . ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الاحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه وان كان غيره في غير ذلك الصنف اكمل منه وافضل منه •

والصواب انهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله . ففيهم السابق السابق المقرب بحسب اجتهاده . وفيهم المقتصد الذي هو من اهل اليمين •

التوحيد في القرآن الكريم

يعد كتاب الله تعالى أصلا لعلم التوحيد ، ما بقيت السموات والأرض ، يؤخذ منه العقائد ، فهو معصومة من الخطأ ، محفوظة من الزيغ ، لأنها كلام الله تعالى .

ويشتمل القرآن الكريم على مئات من آي الذكر الحكيم في التوحيد ، منها : عن وجود الله « ٢٣ » آية ، ووحدانيته « ١٧٨ آية » وصفات ذاته وصفات أفعاله « ٢٥٢ آية» وقدرته « ٣٠٨ آيات » واليوم الآخر « ١٧ آية » وأوامره « ٢٧ آية » وحبه « ٤ آيات » والتوكل عليه « ٧ آيات » وخشيته « ٢٧ آية » وملائكته « ٢٣ آية » وجبريل « ٣ آيات » وميكال « آية واحدة » والشيطان « ٤٣ آية » وإبليس « ١١ آية » والسحر « ٢ آية » وأذى السحر « ٢ آية » والجن « ٤٨ آية » والخلق والخليقة «٢٩ آية» والعدم « آية » ونكتفي هنا ببعض الآيات أمثلة في التوحيد الذي جاء في كتاب الله العظيم :

الوحدانية

« وهُوَ اللهُ لا إلهَ إلاّ هُوَ ، لهُ الحَمْدُ في الأولى والآخرة ، ولهُ الحكمُ وإليه تُرْجَعُونَ » .

(القصص : آية ٧٠)

صفات الافعال

« وكأيِّنْ مِنْ دابّةٍ لا تحمِلُ رِزْقَها اللهُ يَرْزُقُها وإيّاكُمْ ، وهُوَ السَّميعُ العليمُ » .

(العنكبوت : آية ٦٠)

صفات الذات

« قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » .

(الملك : آية ٢٩)

علم الله

« إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ » .

(آل عمران : آية ٥)

قدرة الله

« للهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ، واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

(المائدة : ١٢٣)

اليوم الآخر

« وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ » .

(الزخرف : آية ١٤)

« وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » .

(الزخرف : آية ٨٥)

أوامر الله تعالى

« قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ،

وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » .

(الانعام : آية ١٥١)

« وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

(الانعام : آية ١٥٣)

حب الله

« ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله » .

(البقرة : آية ١٦٥)

التوكل على الله تعالى

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

(الطلاق : آية ٣)

« وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

(التغابن : آية ١٣)

خشية الله

« ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة ... أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله » .

(البقرة : آية ٧٤)

« ... إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون » .

(البقرة : آية ١٥٠)

الملائكة وجبريل وميكال

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » .

(البقرة : آية ١٧٧)

« من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين » .

(البقرة : آية ٩٨)

الشياطين

« وحفظناها من كل شيطان رجيم » .

(الحجر : آية ١٧)

« إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » .

(الحجر : آية ١٨)

ابليس

« واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان »

(البقرة : آية ١٦٨)

« ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً » .

(النساء : آية ١١٩)

السحر

« واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » .

(البقرة : آية ١٠٢)

الجـن

« وخلق الجان من مارج من نار » .

(الرحمن : آية ١٥)

« لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » .

(هود : آية ١١٩)

البعث

« قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشئ النَّشْأَةَ الآخرة » .

(العنكبوت : آية ٢٠)

« وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » .

(الحج : آية ٥)

العـدم

« كما بدأكم تعودون » .

(الاعراف : آية ٢٩)

« الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر ، كل يجري لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم تؤمنون » .

(الرعد : آية ٢)

دليل الاحتياج الى الله من كل الخليقة

« ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس » .

(الحج : آية ١٨)

وحدانية الله تعالى

« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

(الاخلاص : آية ١ و ٢ و ٣ و ٤)

« وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ، بل له ما في السموات والأرض ، كل له قانتون » .

(البقرة : آية ١١٧)

التوحيد في الأحاديث النبوية

التوحيد والسمعيات

- ١ -

عن عبادة بن الصامت الأنصاري رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله ، وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل .

« اخرجه الشيخان والترمذي »

الايمـــان

- ٢ -

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ، قال ابو سعيد : فمن شك فليقرأ : (إنَّ الله لا يظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّة) .

« اخرجه الترمذي وصححه »

التوحيد

- ٣ -

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله من أسعدُ الناس بشفاعتك

قال : فقد حسب ان لا يسألني عن هذا الحديث احد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا اله الا الله خالصا من قلبه .

« اخرجه البخاري »

الاسلام والتوحيد

- ٤ -

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال له رجل : ألا تغزو ، فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الاسلام بني على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان .

« اخرجه الخمسة الا ابا داوود »

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا .

« اخرجه مسلم والترمذي »

شعب الايمان

- ٥ -

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الايمان بضع وسبعون ، وفي رواية بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الايمان .

« اخرجه الخمسة »

وزاد في رواية . فأفضلها قول . لا اله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .

الايمان بالكتاب والسنة

- ٦ -

عن مالك انه بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : تركت فيكم أمرين لن

تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر ، وهو كتاب الله تعالى ، حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهم .

« أخرجه الترمذي »

التمسك بالسنة

- ٧ -

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى الله تعالى والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

« أخرجه أبو داوود والترمذي »

عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله تعالى ، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ، وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرمه الله .

« أخرجه أبو داوود والترمذي »

القسم الثاني

مصادر شروح الرسالة الأرسلانية ونوعيتها وتحليلها

الشريعة والحقيقة في شروح رسالة التوحيد

لقيت رسالة التوحيد التي كتبها الشيخ أرسلان الدمشقي ، عناية كبيرة من العارفين بالله والعلماء العاملين ، خلال قرون عديدة ، حتى أربى عدد شارحيها الذين وصلنا علم عن شروحهم على الاثني عشر وقد حاولت أن أحصل عليها لأجمعها فلم أفلح ، لأن يد البلى والاهمال امتدت الى جزء من هذه الشروح ، فجعلته أثرا بعد عين .

لذلك اكتفيت بما وصلت اليه بعد جهد وتعب ونصب ، وهو خمسة شروح قدمتها في مؤتمري الثاني عن الشيخ ارسلان الدمشقي ، وما اردت من عملي هذا الا ان يكون تكملة للخطوة التي خطت في المؤتمر الأول ، والا ان تكون حافزا لمن يقع بصره على شرح آخر جديد ، فنستكمل ما بدأت ، ونتمم ما نقصت ونقتبس ما افتقدت ، حتى نستقصي جميع تلك المشكاة الدالة على الصراط القويم المستقيم .

وتمس الشروح رسالة التوحيد ، حسب العقول والمشاعر ، (قناع المحاسن ووجوه السعادة ، وهي تمنح رفيع المقام كل من اراد التعمق في التوحيد بلغة القرآن الكريم الذي خاطب الاحياء بلغة الحياة ، كما خاطب العقلاء بلغة العقل ، مكررا براهين الحياة والتسلسل لاثبات الوحدانية ووجود الخالق الحكيم : (ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) و (جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا) و (انبت من كل زوج بهيج) ، وما الزوج الا البرهان الأعظم ، برهان الوحدانية الذي جاء في القرآن ، برهان الدين والعقيدة ، وبرهان الحكمة والعقل .

العلم علمان : علم باللسان وعلم بالقلب

وحين الكلام عن علم التوحيد أعني الشريعة والحقيقة ، وهما علمان : علم الظاهر

للشريعة وعلم الباطن للحقيقة ، في ضوء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « العلم علمان : علم باللسان وعلم بالقلب » . وقد شرح العلمين العز بن عبد السلام[1] فقال

ان علم اللسان هو حجة الله على العباد ، وان علم القلب فهو علم اللدني الذي لم يسطر في الطروس ولم يحفظ في الدروس ، بل هو إلهام من الله بغير وساطة ملك ولا مشاهدة رسول ، كما ان الخضر عليه السلام علم بعلم اللدني ما لم يعلمه موسى عليه السلام بعلم الوحي ، فقتل تلك النفس الزكية ، وهذا على ظاهر الشرع عدوان محض ، لكن ظهر تحقق فعله بعلم آخر لدني لم ينقل من الكتب والاوراق وانما جاء وحياً من الخلاق ، فوجب على موسى عليه السلام إنكار ذلك واستقباحه قياما بالحدود وعملا بالشريعة ، اذ هو مشرع ، ولو سكت عن الانكار لاستحق الانكار ، لذلك تأدب الخضر معه بقوله : (إنك لن تستطيع معي صبرا) . وهذا عليه الأدب من الخضر عليه السلام ، لأنه علم أنه بدا منه ما لا تعرفه الشريعة فقال : (إنك لن تستطيع معي صبراً) على من يحفظ الشريعة ، ثم ما اعلمه الخضر به لم يدخل في علم الشريعة علم موسى عليه السلام ان الشريعة جسد والحقيقة روحها ، واذا لم يكن للشريعة حقيقة عرف ملاحها .

فالشريعة محمودة والحقيقة مشاهدة ، ولا تباين بينهما ، اذ هما متلازمان ، والطريق الى الله تعالى له ظاهر وباطن ، فظاهره الشريعة وباطنه الحقيقة ، فبطون الحقيقة في الشريعة كبطون الزبد في لبنه والكنز في معدنه .

المراد من الحقيقة والشريعة

والمراد من الحقيقة والشريعة إقامة العبودية على الوجه المراد منك ، وكل شريعة ليست لها حقيقة ، فهي عاطلة ، وكل حقيقة لا شريعة معها فهي باطلة ، ومصداق ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لحارثة : يا حارثة .. كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت

---

(1) في كتابه « زبدة خلاصة التصوف » ص ١٦ .

مؤمنا حقا .. فقال : إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وإلى أهل الجنة يتزاورون وإلى أهل النار يتعاوون ، فقال عليه السلام : عبد نور الله الإيمان في قلبه فالزم ... .

فالشريعة حق والحقيقة حقيقتها ، والشريعة قيام بالأوامر والحقيقة مشاهدة الأمر ، ويجمعهما كلمتان وهو قول ربنا : (إياك نعبد وإياك نستعين) فإياك نعبد : « شريعة » ، وإياك نستعين : « حقيقة » .

وكما قال شيخي المرحوم العارف بالله على الشيخ احمد الحارون حجر العسل : الشريعة والحقيقة توأمان ، وهما كالعين ونورها ، فالعين هي الشريعة ونورها هي الحقيقة ، وهل للعين ان ترى بدون نور ؟ .

معالجة سر هذا الكون الكبير

وجملة ما يقال في متن رسالة التوحيد اثني عشر من مطلب بحث وفي شروحها ، أننا نعالج سر هذا الكون الكبير ، وذلك مطلب أشق من مطلب حقيقة الأشياء المتفرقة التي يعالجها العلم الذي يعالجه الصانعة صورة أخرى ، والعقيدة في الفرد تعظم على قدر إحساسه بحقيقة سر هذا الكون وعظمته وخلوده ، والرسالة والشروح ضرب من ضروب الاستدلال والهداية ، توقظ الفرد ، وتحيي جوانبه من ذهنية ونفسية وروحية ، فيعرف ربه معرفة اليقين ، وما يجب نحو الله من إنابة وعبادة ، مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية العظمى ، وهما في الحقيقة الطريق القويم ، يرد إلى المرء عبيره المفقود ، ويصبح المسلم المسلم مؤمناً مستقيماً : (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) ، وإلى القرآن والسنة يرجع مرجع المعرفة على حقيقة توحيد الأئمة والجمع بين التمني والعمل على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل » .

والأمر الواضح مما ادى بسيدنا الشيخ أرسلان الدمشقي ، قولا في رسالته وفعلا في عمله وجهاده المتواصل ، اعداد الامة في ارض الشام وجمع ابنائه بل الناس ، ومن اجل ذلك كان تجمعته حلقة تبلا ، كدعاة الى الله ، فكر به ان ينقض على الصليبيين في يوم جمعة على رأس اهل دمشق ، فمنعهم من دخولها ، وزعم انهم كانوا حاصرين على مقربة منها في موقع معروف بدمشق الربوة الحاجي ، يقودهم القائد الالماني كونراد ، كما انه لم يكتف بذلك بل عمل على دعوات الامة على الاعداء بهم حتى هامدة في الميدان ، [illegible] على الاعداء [illegible] بدمشق معسكرين ، ويتعاون مع السلطان نور الدين محمود بن زنكي ، كما انه [illegible] على الحق ومجاهديه ، وإبراز شاراته في المجتمع [illegible] وحين ، فقد كان انه [illegible] جوهر عقيدته التي استمدت منه [illegible] منهم العشر في كل معركة خاضها في [illegible] الشام ، على يد الشيخ أرسلان في [illegible] على كل ذلك قوله تعالى : (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) .

وحسب القارئ [illegible] ان [illegible] الموحد الشيخ أرسلان الدمشقي ، وقد شرح رسالته [illegible] العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي ، [illegible] والشروح ، [illegible] في التوحيد [illegible] الى عالم النور .

كيف تم تحقيق الشروح الخمسة لرسالة التوحيد؟

رأيت لزاماً علي أن ابدأ قبل نشر شروح الرسالة الارسلانية في التوحيد ، بتقديم لمامة مبسطة عن توثيقها وتحليلها ، ثم أن أتحدث عن السبل التي سلكتها في عملية تجميعها . خلال عدة أشهر ، لم أدرك فيها أية فترة للراحة حتى أمكن لي الوصول الى هذه الأمنية الغالية على نفسي : أمنية القيام بدراسة شاملة عن حياة الشيخ ارسلان ، وعن أعماله وعلمه وفلسفته وجهاده ، ثم عن رسالته في التوحيد مع الشروح .

وقبل أن أبدأ بالدراسة المطلوبة ، أعود للتأكيد بأن التحقيق لشروح رسالة التوحيد كانت شاقة ومضنية الى الحد الذي وجدت فيه فروقاً كبيرة جداً بين النصوص الصحيحة وبين النصوص المطبوعة او المخطوطة . ولا أغالي اذا قلت مثلاً بأن ما من صفحة من صفحات شرح العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي ، طبعة مطبعة التضامن بمصر عام ١٣٥١ هـ و ١٩٣٢ م ، الا وفيها أخطاء كثيرة وعديدة ، حتى ان هناك جملاً قد سقطت وجملاً قد بدلت ، فغرب المعنى والمبنى للبحث .

وسعياً وراء الايجاز ، اكتفيت بنشر ما ترجحت عندي صحته من النصوص في المتن ، مع الاشارة الى الاختلافات الواردة في طبعة التضامن او غيرها من الطبعات او المخطوطات حسب اللزوم وذلك في حاشية الصفحات ، وقد أشرت الى الرموز بين المتن والشرح في مقدمة الشروح ، حتى لا تختلط الأمر على القارئ .

١ ــ شرح عبد الغني النابلسي :

بدأت محاولاتي الأولى بتحقيق الشرح الذي وضعه العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه ، فما أشهر من صدور الكتاب ، وهو تحت عنوان « خرقة الحان وزينة الأكوان » شرح رسالة الشيخ ارسلان ، وقد طبع طبعته الأولى عام ١٣٥١ هـ

و ١٩٣٢ ، في مطبعة النصر الاخوي في مصر ، وقد تكون قد نسخت خطاً مرات عديدة قبل ذلك ، غير ان التفتيش عن طبعة أخرى كان عبثاً .

وهذا الشرح الذي طبع في مصر ، أسهم إسهاماً كلياً في تقريب الشيخ أرسلان الدمشقي الى الجمهور ، بصورة علمية ، بعد مرور قرون على وفاته ، شأنه شأن شروح رسالة التوحيد التي سبق ان وضعها العارفون بالله والمتصوفة من قبل ، على ان الشيخ أرسلان ، لم يكن فقط وقف في وجه غزو الصليبيين ومنعهم من احتلال دمشق فحسب ، بل انه قدم لنا في التوحيد أروع رسالة في اول عهدها ، وكل ما فيها يدل على ما أودعه الحق في صاحبها وفي كاتبها ، من لباب التوحيد .

وقد عثرت في المكتبة الظاهرية على خمسة مخطوطات تحت الارقام التالية : ٨٢٨٣ و ٤٩٠٠ و ٦٠١٢ و ٥١١٩ و ٨٣٦٤ ، وبعضها خطه حسن والبعض الآخر رديء وناقص .

وتقع المخطوطة الاولى تحت رقم ٨٢٨٣ ، وهي وقف نقيب السادة الاشراف سماحة الاستاذ محمد سعيد الحمزاوي ، وقد سطر في آخرها ما يلي :

« ان الفراغ من كتابه هذه النسخة الشريفه المنقوله من مسودة المؤلف الشيخ عبد الغني قدس الله سره العزيز ونور ضريحه نهار الاحد الحادي عشر من شهر ربيع الاول سنه ١١٥٩ على يد السيد الفقير اسماعيل بن خليفة الحموي . غفر الله له ولوالديه وللمسلمين » .

وقد بلغ عدد صفحاتها ٧٣ ، وهي على ورق من القطع الكبير ، وخطها حسن .

والمخطوطة الثانية ذات الرقم ٤٩٠٠ جاء في نهايتها :

« ان الفراغ من نسخها قد تم على يد الحقير محمد سعد الدين ابن الشارح عفي عنهما » .

ولم استطع معرفة سنة كتابتها ، وتقع في [illegible] صفحاتها ٥٨ من قطع المتوسط ، وكتبت بخط يميل نحو الحسن .

والمخطوطة الثالثة هي كتاب محمد حسين ذات الرقم ٦٠٢١ ، جاءت مع ثلاث رسائل للشيخ عبد الغني النابلسي ، ولم يثبت في نهايتها اية معلومات عن سنة كتابتها او اهلها وما اليهما .

والمخطوطة الرابعة ذات الرقم ٥١١٩ ، مؤلفة من ٦٣ صفحة منها ٥٨ صفحة من القطع المتوسط وقد سطر في نهايتها ما يلي :

« تمت كتابتها على يد الفقير محمد بن حسن البيطار عفي عنه الثاني عشر من جمادى الثانية سنة الف ومئتين واربعة وخمسين . احسن الله ختامنا آمين » .

والمخطوطة الخامسة تحت رقم ٨٣٤٦ ، تتألف من ٧٢ صفحة من الخط الوسط والحجم الوسط وقد كتب عليها ما يلي :

« نقلت هذه النسخة من مسوده شيخنا المؤلف قدس الله سره العزيز واطال عمره ، وقوبلت عليها وقرئت عليه . حفظه الله تعالى وادام النفع به للانام بجاه محمد عليه السلام . وذلك في مجالس عديدة . آخرها في أواخر احدى وثلاثين ومائة والف . وكتبه الحقير خادم نعال المؤلف ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الدكدكجي . لطف الله بهم جميعا والمسلمين .

ثم قوبل المؤلف ثانية على أصل مؤلفه قدس الله سره العزيز وأدام وجوده ، فصح بعون الله تعالى . وذلك في منتصف جمادى الاولى سنة ١١٣٢ على يد الفقير ابراهيم بن المرحوم محمد الدكدكجي ، غفر الله له .

كما ورد في آخر المخطوطة الأصلية ما يأتي : قال مؤلفه ومن خطه نقلت :

« كتبه الفقير الحقير مصنفه عبد الغني بن النابلسي ، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين » .

ثم ثبتت في مكان آخر من المخطوطة ما يؤكد مراجعة الشرح من جديد ، بعد ان قرىء على المؤلف بالذات إبان حياته ، وهذا ما ورد بحرفه الواحد :

« انتهت مقابلتها على خط مؤلفها ، قدس الله سره العزيز ونفعنا به وبعلومه . وغفر لنا قصور ما فهمناه على غير موارده . ورزقنا الفقه في دينه الحق القويم . والهمنا رشدنا آمين . في الروضة المشرفة من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بطيبة المشرفة في مجالس . آخرها يوم الجمعة آخر جمادى الثانية سنة ثلاث ومائتين . وحرره قاسم بن علي بن محمد التونسي الاندلسي . عامله الله بلطفه في الدارين . بجاه سيد الكونين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين .

وسطر بالخط الاحمر بعد ذلك :

« انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى في سنة ١١٤٣ . ومولده المبارك في سنة الف وخمسين ، فيكون مدة بقائه في الدنيا الى وفاته ثلاث وتسعون سنة » .

وقد قمت بمراجعة النسخ بأجمعها لتحقيق شرح الرسالة ، واعتمدت في النهاية ، النسخة الاخيرة التي قرئت عليه في حياته ثم قرئت ثانية على نسخه الاصلية ، وأظهرت الفروق بينها وبين الطبعة المصرية في مطبعة التضامن التي اشرت اليها ، واكتفيت في التحقيق بنشر الاصول الصحيحة في المتن ، اما الاخطاء ففي الحاشية .

هذا وعالج الشيخ عبد الغني النابلسي رسالة التوحيد وشرح معانيها بسلوك اهل الحقيقة ، كشخصية كان لها الحظ الكبير من التصوف ، علما ومصطلحات ومناهج ،

حرص على التقيد به في شرحه ، ويعتبر أهم المقاطع من مقدمة [illegible] شرح [illegible] واضحة الى اللغة التي كتب بها :

« يا لها من رسالة مشموله بالانظار الالهيه . معطره بالانفاس الطيبة والنفحات القدسيه . تشرق بروق المعارف من مطالع افلاكها . وتتناثر درر اللطائف من قلائد اسلاكها . تنفح في رياضها كمائم القبول . فليس من العجائب أني انشد في وصفها واقول » :

عن ارسلان جاء علم الحقائق	حيث اهدى رسالة للخلائق
وسقانا بكاسه منه صرفا	فسكرنا بسائغ الشرب رائق
كل حرف منها يشير لمعنى	سائق نحو ذروة المجد شائق
وعليها طلاوة وبهاء	حيث حازت اسرار كل الطرائق

٢ ـ فتح الرحمن :

وقمت بتحقيق الشرح الثاني لشيخ الاسلام زكريا الانصاري ، واعتمدت على نسخة عثرت عليها في المكتبة الظاهرية ، ووجدت فيها ما يصحح كثيراً من الاخطاء التي وردت في النسخة المطبوعة سابقاً وقد جاء في آخر صفحة منها :

تمت الرسالة بحمد الله تعالى وحسن توفيقه المسماه . فتح الرحمن شرح رسالة الولي ارسلان . للشيخ الامام والبحر الهمام ابي يحيى زكريا الانصاري الخزرجي الشافعي . اعاد الله علينا من بركاته بمنه ويمنه آمين آمين •

اما الخط فقد استبان لي انه من خطوط القرن الثاني عشر ، ولم يذكر فيه اسم الكاتب كما لم يذكر سنة الكتابة ، وانما اكتفى بتذييل الشرح بما يلي :

تم الشرح المبارك بعونه وحسن توفيقه والحمد لله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم •

والشرح مع المتن عدده في ١٧ صفحة ، يحوي كل منها ٢٣ سطراً ، قياس
٢٤ × ١٧ .

وقد اعتمد الشيخ الأنصاري في شرحه على الشريعة أكثر من الاعتماد على الطريقة والحقيقة ، شأنه في ذلك شأن الرسالة القشيرية التي وضعت فيها جوانب الشريعة في كل موضع من مواضع التصوف أو البحث في التصوف ، والذي يظهر أن شيخ الإسلام مدرس وضع مثل هذه الشروح ، بدلالة أنه نشر شرحه للرسالة القشيرية أيضاً ، وحين نقوى القدرة على إنجاز مثل هذا الشرح ، فإن ذلك يدل على باع طويل في مثل هذه المحاولات ، وقد غلب على الشارح ثقافته الفقهية في الشرح ، وحاول التوفيق بين الاتجاه الفقهي والصوفي ، مما يدل على عقلية متفتحة وأسلوب يوائم بين وضوح وتفسيرات الفقهاء وبين تجليات الصوفية ، كما ركز على الكشف باستخلاص أهدافهم الرئيسية للمتصوفة ، وأكد على وجوب إقامة الحدود بوظائف العبودية على الوجه المراد من كل مكلف .

٣ ـ غاية البيان :

والشرح الثالث للعالم الصوفي والشاعر علي بن صدقة الشافعي تحت عنوان «غاية البيان في شرح رسالة أرسلان» ، وللشرح قصة ترتكز على أنني بينما كنت أقوم بتأليف الكتاب الأول للشيخ أرسلان الدمشقي ، إذ جاءني صاحب مكتبة في سوق المسكية يسألني جداً ، وقد سألني عما أفعل والكتب الكثيرة مكدسة فوق طاولتي ، فأجبته : هذه هي مراجع أعود إليها ، في أثناء دراسة موضوعي الأول عن الشيخ أرسلان ، وما علم صاحب المكتبة بذلك ، فاجأني بقوله : إن لدي مخطوطاً عثرت عليه في مكتبة رجل من حي الأكراد وفي حوزتنا ، وفيه بحث عن الشيخ أرسلان ، واسمه صالح الكردي ، فرجوته أن يبيعني المخطوط ، وجاء به في اليوم التالي ، وقد أثنى عثر على ثلاثة أشياء كنت أتوق إليها في دراستي ، وهي : أن الشيخ أرسلان عاش واحداً وتسعين عاماً ومذهبه شافعي ، وأنه يعقب ، وقد نقلت هذه الدراسة من المخطوط ، كما عثرت في الوقت نفسه على شرح رسالة الشيخ أرسلان علي بن صدقة الشافعي ، وهو شرح لم أجد مثله في

في مكان حر ، وبعد الشرح على بن علوان الحموي الذي لم يوجد نسخه الا في توبنغن بالمانيا الاتحادية •

وقد كتب الشرح بخط حسن ، واختصره صاحبه على خلاف ما فعله العارف بالله عبد الغني النابلسي الذي اسهب في الحديث عن التوحيد العلمي ، ويعتبر الشرح وسطا بين الشرعة والحقيقة في كل مقطع من مقاطعه •

٤ ـ شرح الرسالة الرسلانية :

اما الشرح الرابع فهو للشيخ علي بن علوان الحموي ، وقد فتشت عليه ، ورجوت فضيلة الفقيد المرحوم الاستاذ الشيخ محمد الحامد في حال حياته ، كما رجوت تلميذه الاول الاستاذ الشيخ محمد علي المراد ، عملا مع اصدقائه واحبابنا الاعزاء في مدينة ابي الفداء ، للعثور على نسخة من هذا الشرح ، لان صاحبه من ابناء حماه ، فكان الجواب ان الشرح غير موجود لدى عائلة المؤلف ، رغم ما بذل من مجهود في هذا السبيل •

وفي اثناء عملية التحقيق للشروح ، علمت ان نسخة وحيدة للشرح له مخطوطة في المانيا الاتحادية ، وبعد ان اتصلت مع المختصين من العلماء والقائمين على المكتبات هناك ، وانتهت المخابرات الى ان الشرح كان بين جنبات مكتبة برلين التي بعثرت الى ثلاثة اقسام في الحرب العالمية الثانية ، احداها في فرنكفورت على الماين ، وثانيها في ماربرغ ، وثالثها في توبنغن •

وكانت البداية الى النهاية ، مخابرة المكتبات الثلاث ، وتوصلت بعد اتصالات دامت اربعة اشهر ، الى الحصول على المخطوطين من مكتبة توبنغن ، وهما تحت رقم ٢٤٢٩ و ٢٤٣٠ ، واحدهما ينقص عدة صفحات ، وقد ارسلت لي المكتبة الالمانية الميكروفيلم للشرح ، وظهرتهما ، ونقلتهما ، وحضرت احدى الصفحات على الزنكوغراف ، كما ارسلت هدية

بمناسبة ، وهو المؤلف الاول من كتبي ارسلان الدمشقي الذي صدر له عام ١٩٦٥ ، وهنا يجدر بي الشكر والثناء على دقة المكتبة وفائدته الكبيرة ، وتأثيره على التاريخين العربي والاسلامي ، من تكريس روحي ، ولي مكتبة ولي مديرها الشكر والامتنان ، على الاسهام في اظهار هذا المخطوط الى حيز الوجود .

وقد لاحظت ان المؤلف رحمه الله على الاخذ بجانب الشريعة اكثر من الحقيقة في عنده من رسالة التوحيد ، وتعبير الشرح في الدرجة الثانية من حيث الربط بظاهر الشريعة اولا ، وهو يبين سر معتقداته وعبارته دون المتن ، ويبسط فكرة التصوف على صورة قريبة من الاذهان ، مستخدما اسلوب التصوف والرقائق ، دون ان يتعمق في مصطلحات الصوفية الغامضة ، وهي جزء من قدرته لا يفهمها غير دارسها .

د ـ التعليقات الكمالية :

ان التعليقات الكمالية على الرسالة الارسلانية بعد شرحها العالم الفقيه مصطفى كمال الشريف ، وهي حديث شرح ، عثرت عليها مخطوطة لدى حفيده الاخ بالله تعالى السيد كمال الشريف ، وقد سمح لي بنقلها وتصويرها ، وهي في اربع صفحات ، والظاهر ان المؤلف لم يكمل شرحها في وقته ، [illegible] ، حيث اختار الشارح اسلوب الشرح على طريقة المقطع ، فكان كلما اقتطع وسمه بالشرح ، وعمد الى اظهار تطور النظرة الى علم التوحيد في هذا العصر ، وفي عصر الشيخ أرسلان الدمشقي .

وقد اوضح الكاتب الشريف الحقيقي الذي تحدث عنه الشيخ أرسلان ومراتب الاحسان الثلاثة ، كما تحدث عن العقبات السبع التي لا بد للسالك من قطعها ليتخلص من شرك [illegible] ، وكل [illegible] لمتقي مع [illegible] والافكار والاتجاهات عن الحقيقة .

التوحيد جاء على لسان الرسل منذ آدم عليه السلام

والذي نهتم به هنا [illegible] الارسالات [illegible] عليهم وسلامه

منذ آدم عليه السلام جاءوا بالتوحيد لله عز وجل : (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) .

وقد نشروا التوحيد بين الامم بوسائل وأساليب مختلفة . وقام الصحابة والتابعون وتابعوهم رضوان الله عليهم بدورهم في نشر هذه الناحية العظيمة من الدين ، وما يزال العارفون بالله تعالى والعلماء في كل زمان ومكان يحرصون على نشر هذه العقيدة ، الى ان جاء دور الشيخ ارسلان الدمشقي الذي اسهم في ذلك بنصيب وافر في رسالته بنشر علم التوحيد ، وهي التي ما زالت منذ ذلك العصر ، مصدراً للانتفاع بها ، متناً وشرحاً ، على يد العارفين والعلماء .

ونحن الآن ، وفي هذا العصر الذي طغت فيه المادية على كل شيء ، بحاجة ماسة الى مثل هذه الرسالة والى مثل تلك الشروح ، نستمد منها الطريق القويم ، كما نستمد العون من الله العلي القدير في نشرها وتعميمها .

وحسب القارئ ان يعلم ان الشيخ بوضعه رسالة الشيخ أرسلان هو امام المجاهدين والسالكين ، يتعشق الى ان يرى بين جنباتها كل ما يحتاجه من علم التوحيد ، كما يتعشق الى ان يرى بين جنبات شروحها فيض الهام لا يوصف ، سواء الشريعة والحقيقة ، على يد عدد من أكابر العلماء في مختلف العصور التي عاشوها ، فلهم من الله الرحمة والرضوان ، ولهم من الله خير الجزاء .

هذا وقد عثرت لدى الاخ الوفي السيد رياض المالح على نسختين مخطوطتين من فتح الرحمن ، وبحوزة حضرة الحاج ، فقابلتهما على ما لدي من نسخ ، واحداهما شرح شيخ الاسلام زكريا الانصاري الذي ولد عام ٨٢٣ هـ وتوفي عام ٩١٥ هـ وهي بخط جميل جداً ، كما ان الشرح الذي بحوزة الحاج قد قوبل على نسخة المؤلف بالذات ، فاليه الشكر .

١٢ شرحاً لرسالة التوحيد

وفيما يلي اسماء من قاموا بشرح رسالة التوحيد :

١ ـ شرح الشيخ حسن بن موسى الباني الكردي المتوفى بدمشق سنة ١١٨٤ ، انظر الأعلام ، ج ٢ ص ٢٣٩ ومعجم المؤلفين ج ٣ ص ٢٩٧ وسلك الدرر ج ٢ ص ٣٥ وهدية العارفين ج ١ ص ٩٨ •

٢ ـ شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري « ٨٢٣ ـ ٩١٥ هـ » المسمى فتح الرحمن شرح رسالة الولي ارسلان ، انظر كشف الظنون ج ١ ص ٤٢٢ وخديوية ج ٧ ص ٧ و ج ٧ ص ١٠٣ •

٣ ـ شرح الشيخ عبد الغني النابلسي « ١٠٥٠ ـ ١١٤٣ هـ » المسمى بـ « خمرة الحان » نسخه مخطوطه محفوظه ومقابلة على نسخه المؤلف •

٤ ـ شرح رسالة الشيخ أرسلان للشيخ مصطفى بن كمال الدين البكري المتوفى سنة ١١٦٢ ، انظر هدية العارفين ج ٢ ص ٤٥٠ •

٥ ـ شرح محمد بن سعيد الكشف وسماه « الوجد في خالص التوحيد » ، انظر كشف الظنون ص ٤٢٢ •

٦ ـ الفتوحات الربانية في شرح الرسالة الرسلانية للشيخ محمد الشهير بمحصب الوزيري المالكي ، انظر كشف الظنون ج ١ ص ٤٢٢ •

٧ ـ فيض الرحمن على رسالة الولي أرسلان لعارف بالله علي بن حجازي البيومي الشافعي المتوفى عام ١١٨٣ ـ الخديوية ج ٧ ص ٩١ •

٨ ـ فتح البرهان المرشد في شرح كلام الولي أرسلان في علم التوحيد تأليف ابي الصفاء بن أبي الوفاء العراقي الحسيني ـ خديوية ج ٧ ص ٩٣ •

٩ ـ مواقع الالهام من محاسن الفضل والإنعام ، وهو شرح رسالة التوحيد للشيخ أرسلان وقد بدىء الشرح بـ « الحمد لله الذي خلق آدم أبا البشر » ـ خديوية جزء ٧ ص ٧ •

١٠ – شرح الرسالة الرسلانية للشيخ علي بن عطية علوان الحموي المتوفى سنة ٩٣٦ هـ ، ترجمته في معجم المؤلفين ج ٧ ص ١٥٠ ، نسخة هذا الكتاب في المكتبة الوطنية بتوبنغن في المانيا الاتحادية ، وعنى بها الشيخ في تراجم «الاعلام» ، تحت رقم ٢٤٢٩ وقد كانت هذه النسخة في برلين قبل نشوب الحرب العالمية الثانية ، ولما ان اشتد أوارها، نقل الجزء الشرقي من المخطوطات في المكتبة الى توبنغن ، حفاظاً عليه من غدرات الحرب.

١١ – شرح الرسالة للشيخ شهاب الدين احمد بن محمد بن بدر الدين الحلبي الدمشقي المتوفى سنة ٩٧٩ هـ ترجمته في معجم المؤلفين ج ١ ص ١٢٦ ، نسخة من الكتاب في المكتبة الوطنية ببرلين تحت رقم ٢٣ – ٢٤٣٢[1] .

١٢ شرح رسالة الرسلان للشيخ عبد الرحمن الكردي ، نسخة مخطوطة من هذا الكتاب في المكتبة الظاهرية تحت رقم ٥٥٦٣ عام .

---

(١) المؤلف = لم نعثر على هذا المخطوط في مكتبة توبنغن التي حلت محل مكتبة برلن في اقتناء الكتب الاسلامية والشرقية المخطوطة والمطبوعة .

القسم الثالث

عرض شروح الرسالة الارسلانية الخمسة

بنصوصها الاصلية بعد تحقيقها

خمرة الحان ورنة الألحان
شرح رسالة الشيخ ارسلان
للشيخ عبد الغني النابلسي

ىرتكز القواعد العلميه في تحقيق المخطوطات على ما يلي :

١ ـ احسن نسخه يعتمد للنشر نسخه كتبها المؤلف ·

٢ ـ عند العثور على مثل هذه النسخه ، يقتضي التاكد بانها اخر صوره كتبها المؤلف قبل وفاته ·

٣ ـ اذا لم يعثر على نسخه المؤلف ، يصار الى البحث عن نسخه قراها او قرئت عليه ، واثبت بخطه انه قراها او قرئت عليه ·

٤ ـ ثم نسخه نقلت عن نسخة المصنف ·

٥ ـ ثم نسخة كتبت في عصره ·

واعتمادا على هذه النظريه العلميه سنثبت فيما بعد ، نص شرح رسالـه الشيـخ ارسلان المسماه ، خمره الحان ورنه الالحان شرح رسالة الشيخ أرسلان ، للعارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي ، وقد اثبت في المتن النسخة الاصليه الصحيحة التي

قرئت عليه ابان حياته . ثم قوبلت على نسخة المصنف في [illegible] عارف حكمت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رمزت للنسخة الاصلية بحرف (أ) ، اما النسخة التي طبعت في مطبعة الصدق بمصر عام ١٣٥١ هـ و ١٩٣٢ م ، وقابلتها على النسخة المعتمدة ، فقد رمزت اليها بحرف ب ، واكتفيت بنشر المهم من الاخطاء الواردة فيها ، تحقيقا لمبدأ الايجاز .

نص محتويات الصفحة الاخيرة من شرح النابلسي

وفي الصفحة [illegible] في الصفحة الاخيرة من شرح الشيخ عبد الغني النابلسي [illegible] الدمشقي في [illegible] فيها :

وكانت مدة التصنيف ما ينوف على شهر . فالغين المعجمة الف والزاي سبعة واللام ثلاثون والالف واحد والنون خمسون . وجملة ذلك الف وثمانية وثمانون . وقد فرغنا من تصنيفه نهار الخميس الرابع والعشرين من شهر رجب المبارك من السنة المذكورة ، والحمد لله وحده ، تم .

نسخة المصنف قرئت على النابلسي ابان حياته

وفي القسم اليمني من الصفحة ورد ما نصه :

وقد نقلت هذه النسخة من مسودة شيخنا المؤلف قدس الله سره العزيز واطال عمره وقوبلت عليها وقرئت عليه حفظه الله تعالى وادام النفع به للانام بجاه محمد عليه السلام وذلك في مجالس عديدة اخرها في اواخر سنة ١١٣١ احدى وثلاثين ومائة والف، وكتبه الحقير خادم نعال المؤلف ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الدكدكجي لطف الله بهم جميعا والمسلمين .

وفي الصفحة التي [illegible] النسخة [illegible] على [illegible] الشرح الذي وضعه [illegible] نص مخصوص :

ثم قوبل ثانيا على أصل مؤلفه قدس الله سره وادام وجوده ، فصح بعون الله تعالى وذلك في منتصف جمادى الاولى سنه ١١٣٢ اثنين وثلاثين ومائة والف وكتبه الفقير اليه ابراهيم بن المرحوم محمد الدكدكجي غفر الله له .

وذيل الشرح بما يلي :

انتقل بالوفاة الى رحمه الله تعالى في سنه الف ومايه وثلاث واربعين ، ومولده المبارك في سنه الف وخمسين . ويكون مدة بقائه في الدنيا الى وفاته ثلاث وتسعون سنه وأجرى الكاتب العمليه الحسابيه لعمر المؤلف كما في الصورة الزنكوغرافيه .

خمرة الحان ورنة الألحان

شرح رسالة الشيخ أرسلان للشيخ عبد الغني النابلسي

وبـــه نستعين

الحمد لله الذي طهر قلوب أوليائه بماء اليقين من دنس الأغيار ، ورفع عن وجوه عقولهم قناع الغفلة والاغترار ، وألبسهم حلل المعرفة والاعتبار ، وما ألْبَسَ عليهم آياته البينات في الليل والنهار ، والصلاة والسلام على مفتاح خزانة الغيب المطلـق ، وكاشف أسرار العلم المغلق ، نبي ورسول حضرة(1) الحق محمد المختار ، قطب حركة الأدوار ، وعلى آله الهداة ، وأصحابه والتابعين الى يوم الدين .

أما بعد ، فيقول أسير الذنوب وإلف النقائص والعيوب ، عبد الغني بن اسماعيل بن النابلسي القادري طريقة ، النقشبندي حقيقة ، غلب الله تعالى على ذاته بذاته ، وعوضه عن صفاته بصفاته .

هذا شرح أمطرته سموات إلهامي ، وفاضت به علي في حضرة فتحي بحار التجلي السامي ، وضعته لرسالة الشريعة بل الجوهرة المنيفـة ، التي قذف بهـا بحر الفيض الأقدس ، في العالم الأنفس على لسان الأمجد الأفخم ، والضرغام الأعظم ، زبدة الاولياء ، وخلاصة الأصفياء ، بركة الإنس والجان ، سيدي الشيخ أرسلان ، المنسوب الى دمشق الشام ، لكونه نشأ فيها ومات بها ، عليه رحمة الملك العلام .

فيا لها من رسالة مشمولة بالأنظار الالهية ، معطرة بالأنفـاس الطيبـة والنفحـات

---

(1) « ب » من حضرة الحق .

[illegible]
[illegible] كتاب التوبة ، فإني من أحوج الناس إلى [illegible] وصفها وأقول :

[illegible]

فقد [illegible] شرحت [illegible] بعونه تعالى [illegible] على أبواب [illegible] بعد [illegible] في شرح [illegible] وهو حسبي ونعم الوكيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

مقدمة الكتاب

[illegible] الموت [illegible] الله تعالى [illegible] من المعاصي [illegible] .

قال الله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى : ([illegible]) [illegible] عليه السلام أنه قال [illegible] : ([illegible]

---

(١) في النسخة ب : تقديم وتأخير في بيتي الشعر .

لا يشرك به إن الشرك لظلم عظيم) ، وقال تعالى : (إنه من يشرك[1] بالله فقد حرم الله عليه الجنة ... الآية) ، وهذا الشرك المذكور في هذه الآيات مطلق من غير تقييد بشرك دون شرك ، فيشمل الشرك الجلي والشرك الخفي ، إذ النوعان شرك محقق سواء كان جليا واضحاً او خفيا مكتوما ، فإنا ان اعتبرنا[2] في الشرك الجلي ظهوره لصاحبه وفي الخفي خفاءه عن صاحبه فليس كل شرك في الارض كذلك ، لأن المشركين لا يعلمون أنهم مشركون في الله تعالى وإن عبدوا معه آلهة أخرى لظنهم انهم وحدوا على ذلك بزعمهم او قصدهم أن تقربهم تلك الآلهة الى الله زلفى ، كما حكى الله تعالى عنهم ذلك في القرآن فبعضهم فهم مشركون ولا يعلمون أنهم مشركون ، وإن اعتبرنا في الشرك الخفي ظهوره عند غير صاحبه وفي الخفي خفاءه عن صاحبه فلا فرق حينئذ بين الجلي والخفي لأن الخفي ظاهر عند غير صاحبه ايضاً .

والشرك عند الله تعالى قسم واحد وإن انقسم الى نوعين عند المتكلمين[3] ، قال الله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ، والعبادة اعتقاد وقول وعمل واحد ، نكرة وقعت في سياق النهي ، فتعم كل معقول ومحسوس ، فتشمل الشرك الجلي والخفي .

واعلم أن الشرك الجلي هو أن يظهر للعبد او لغيره منه اعتقاد[4] ان مع الله تعالى رب آخر يستحق العبادة من الخلق او مع الله تعالى غيره موصوف بصفة مثل صفاته تعالى، أو له فعل كأفعاله تعالى ، أو إسم كأسمائه ، او حكم كأحكامه .

والشرك الخفي هو خفاء شيء من ذلك عن العبد ، وهو فيه بسبب استيلاء الغفلة على قلبه فيرى الغافل عن معرفة نفسه جازماً انه مشارك لله تعالى في الوجود وفي جميع

---

(١) « ب » ومن يشرك .
(٢) « ب » فان اعتبرنا .
(٣) « أ » المكلفين .
(٤) او لغيره اعتقاد .

الصفات التي منها السميع البصير والعليم والحي والقادر والإرادة وغير ذلك وفي جميع الأسماء التي منها الحليم والكريم واللطيف والعليم إلى آخره ، وفي جميع الأفعال كالإيجاد والإعدام والإمداد للمخلوقات ونحو ذلك ، وفي جميع الأحكام كتحريم الحرام والإحلال على الأمور بحسبه بشرائطه وتشخصها تحت أحكام القرآن والسنة ، ومع ذلك هو غائب عن شهود غير نفسه لأمر قطع بأنه موجود آخر مع الله تعالى موصوف بأوصاف مسمى بأسامي ، له أفعال وأحكام تصدر منه بحيث أنه إذا نبه على ذلك وذكر به فيه واعترف في غفلة نفسه استبعد ذلك ونسي ما فيه مما ذكر به لله تعالى بطريق الإحسان ، وهو مصر في نفسه على عدم ذلك جهلاً منه بكيفية وقوع النسبة ، بمنزلة من حبس من عدوه في مكان فجاءه عدوه عنده فلم يجده فخاف أن يجده فقال له أنا في غير هذا المكان فسمع بكلامه العدو فوجده وهو لا يشعر بأنه يعلمه بكلامه .

وكذلك هذا الذي غلبت به الغفلة وسخطه في نفسه عن غفلة بنفسه فينبه في حالة تنبيه ولا يشعر حتى يسلم لله رب العالمين ، ولو شعر وأسلم لله رب العالمين فقد أشرك الشرك الخفي وهو لا يشعر حتى يسلم لله رب العالمين ، وهكذا دائماً أبداً حتى يشعره الله تعالى لا هو يشعر بنفسه ، وحتى يسلمه الله تعالى له لا هو يسلم لله تعالى بنفسه ، وحتى يحصل فيه ذلك من الله[1] تعالى لا هو يحصل ذلك من نفسه بنفسه ، وحتى يجد ذلك في نفسه لا يوجده هو بنفسه .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تعرضوا لنفحات الحق فإن لله في أيام دهركم نفحات » ، والتعرض إنما يكون بالتهيؤ وإزالة الموانع ، وأصل ذلك الإيمان بالغيب عن العقل والحس ، والاستسلام لذلك باطناً وظاهراً حتى لا يبقى في العبد خاطر ينازعه في شيء من ذلك ، ثم الأدب في معاملة الحق والتخلق بالآداب الشرعية أمراً ونهياً ، حتى يجد الجذب من قلبه إلى حضرة ربه من غير تكلف ، ويدخل في مقام الجذبة لأنه كما قال عليه الصلاة والسلام : « جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين » .

---

(١) « ب » وحتى يحصل فيه ذلك في نفسه من الله .

فعند ذلك يدخل في ظرف الحق تعالى ويغرق عينه في الغرق فيه فيسلم(١) من الشرك الخفي والجلي ويدخل في دائرة أهل التوحيد ، فعند ذلك يصير في يد الجذبة مسلوب الاختيار في حالة الحس ، مطلعاً على سر الكون فيصير انه يعلم ولا يعلم وهو موجود وليس بموجود وفاعل وليس بفاعل ، فحينئذ جميع احواله منقوضة وفي هذا المقام ينقص عن الوفق .

قال تعالى : (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) فتعين رمى وما رمى كما انه موجود وما هو موجود ، ففهم ان كنت من أهل العلم واحترز من تلبيسات الوهم .

واول قول الشيخ أرسلان قدس الله سره العزيز في هذا الشأن (كلك) (شرك) أي ذو شرك متابعة كرجل عدل (خفي) عند غير الظاهر لكن في قلب هذا الخطاب يشمل الأنبياء عليهم السلام ومن عداهم ، والشرك متسع في حقهم ولو كان خفياً قلت إنه يشمل كل مستقل بوجود دون ربه فإنه في هذه الفرق ، والواقف فيه دون الجمع على ربه ، والأنبياء عليهم السلام منزهون عن ذلك ، وإن كانوا في الفرق الثاني فإن الفرق الثاني جمع وزيادة فلا يشبه الفرق الأول الا في تعين(٢) الحضرات فقط .

والدليل على وجود هذا الشرك الخفي من الكتاب والسنة : أما الكتاب فقوله تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) فقد أثبت لهم الشرك في حال إيمانهم بالله تعالى فيكون شركاً خفياً عليهم وهم لا يشعرون به وهذا في الأكثر ، وأما في الأقل فهم يؤمنون بالله وهم موحدون . وأما السنة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا » وهو صريح في الشرك الخفي ، ومنشأ هذا الشرك الخفي الوهم والخيال الفاسدان بتوهم شيئاً موجوداً بوجود مستقل غير وجود الله تعالى ، ولا شيء موجود غير وجود الله تعالى ، قال الله تعالى : (كل شيء هالك الا وجهه) وقال تعالى : (كل من عليها فان

---

(١) « ب » فيسلم .
(٢) « ب » نعين .

ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ، ومن حقق بقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) من غير تشبيه ولا تأويل فهو ذو تحقيق الفهم ، ومثل هذا الوهم ان الانسان اذا ارتفع عن قلبه قناع الطفولية وبدأ إدراكه في عالم الحس تكون عقله قصيراً ومعرفته ناقصة فعند ذلك تنطبع في مرآة خياله صور الأشياء بسبب كثرة ورودها على حضرته حتى تعادها عقله ويضبطها حسه ويحققها وهمه ، فاذا كبر وبلغ لا يكاد يصدق بوجود شيء مما رواه ذلك على غير حسن ما علمه ، وهو لا يدري ان هذه الاشياء التي ادركها كلها آثار الحقائق العلمية وظلال الوجودات الأزلية بمنزلة السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، او بمنزلة الخيالات المنطبعة في المرآة يظنها الطفل الصغير حقائق موجودة ، وانما الحقائق الموجودة ما يقابلها : (واللهُ بصيرٌ بالعباد) •

فان قلت ان هذا الكلام يقتضي ان وجود الاشياء كلها اوهام وخيالات ، وهو مذهب باطل ، قلت : مرادنا ان وجود الاشياء اوهام وخيالات بالنسبة الى تسميتها أشياء حقيقية مستقلة كما قال النبي عليه السلام : « اصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » يعني باطل بالنسبة الى الله ، والله هو الحق بالنسبة الى كل شيء ، ومع قطع النظر عن الله تعالى فكل شيء حق ، لانه خلق بالحق •

قال تعالى : (خلق السموات والارض بالحق) والمذهب الباطل كون وجود الاشياء اوهاماً وخيالات بالنسبة الى الاشياء في نفسها[1] فانه جحود وجود الحق تعالى الذي قامت به الاشياء وهو مذهب قوم من الضالين[2] المضلين •

ثم ان الشيخ رضي الله تعالى عنه حيث ذكر الداء احتاج ان يذكر الدواء لأنه طبيب الارواح فهو مثل طبيب الاشباح فقال[3] (ولا تبين) اي لا تظهر (لك)

(١) « ب » في انفسها •
(٢) « ب » مذهب القوم الضالين •
(٣) « ب » لانه طبيب الارواح فقال •

انه اشترط [illegible] (بوحدة) [illegible] في جميع
الله وهو التوحيد الحقيقي [illegible] حقيقة [illegible]
ومع هذا فكلهم موحدون كاملون [illegible] كاملون مثله ، ولكن
علمهم بنفسهم ومعرفتهم [illegible] فمنهم من عرف نفسه وعرف معرفة ربه ، فهو الذي
بالكلية [illegible] ومنهم من عرف نفسه وعرف [illegible] وهو اخص [illegible]
ادنى من ذلك [illegible] ومنهم من لا عرف نفسه ولا عرف ابدا وهم
المحجوبون الغافلون [illegible] يعرفون [illegible] معرفتهم معرفة حقيقية
لا حقيقة لانه [illegible] مقتضى قوى حواسهم(1) [illegible] على ما هي عليه
ومعرفتهم على ما هو عليه ، وكلهم من [illegible] علمهم [illegible] ومعرفتهم .
قال تعالى : (لا يكلف الله نفسا) [illegible]
(إلاَّ وُسْعَها) .

(فإذا خرجت) اي [illegible] ([illegible]) اي عن ذاتك وصفاتك وافعالك
واسمائك واحكامك بحيث تحققت بتوحيده الذاتي والصفاتي والافعالي والاسمائي
والاحكامي(2) وترجع ذاتك الى [illegible](3) [illegible]
الاطلاق [illegible] وترجع صفاتك الى صفاته [illegible] وافعالك الى افعاله واسمائك الى
اسمائه واحكامك الى احكامه ، فانت هو انت في حضرة [illegible] على ذاتك
[illegible] في حضرة [illegible] (ففروا
الى الله) وقوله تعالى ([illegible]) . وفي
الحديث : « موتوا قبل ان تموتوا » .

---

(١) « ب » لمقتضى حواسهم .
(٢) « ب » بحيث تحققت بتوحيده تعالى الذاتي والصفاتي والاسمائي والاحكامي .
(٣) « ب » غير مقيد .

فان قلت : الشيخ رضي الله عنه قيد الخروج بقوله عنك ولم يذكر الخروج عن بقية الاغيار مع انه شرط في ذلك ايضاً ، قلت : الخروج عن الاغيار سابق على الخروج عن النفس بحسب ضرورة الوجدان ، كما ان زمن الشباب سابق على زمن الكهولة فاذا قلت للغلام حتى تصير كهلا ، معناه حتى تصير شاباً ثم تصير كهلا ، وههنا الخروج عن الاغيار رتبة اولى ، والخروج عن النفس رتبة ثانية ، فاذا ذكرت الثانية كانت الاولى مفهومة في ضمنها فلا حاجة الى ذكرها •

وبيان هذا ان نفس الانسان محجوبة عنه بالاغيار ، فاذا خرج عن الاغيار ارتفع الحجاب عن نفسه فعرف نفسه ، واذا عرفها خرج عنها فعرف ربه ، كما سيشير اليه الشيخ رضي الله تعالى عنه في آخر الرسالة بافصح مقاله •

ثم لما كان ظهور التوحيد الفطري الذي ثبت لك موقوفاً على خروجك عنك كما ذكرنا ، كان دوام هذا الظهور لك موقوفاً على اخلاصك في هذا الخروج ، ولهذا قال رضي الله تعالى عنه : (فكلَّما أخلصتَ) اي في خروجك عنك بان خرجت عن هذا الخروج ايضاً لانه عندك انه منك ، وان كان في الحقيقة ليس منك بل انت ، وما منك من الله تعالى •

قال تعالى : (قُلْ كلٌّ من عِنْدِ الله) ، والية الاشارة بقوله تعالى : « واسْجُدْ واقْتَرِبْ » ، فالسجود هو لحوق نفسك بارضها التي خلقت منها وهي العدم ، والاقتراب هو السجود الثاني ، وهو لحوق هذا اللحوق الذي ظهر لك بالعدم ايضاً (يُكْشَفْ) = بالبناء للمفعول = اي يكشف الله تعالى (لك) بان نظهر فيك وتجده في نفسك المعدومة ، وهذا الانكشاف ليس كانكشاف الاشياء المغطاة •

قال العفيف التلمساني رضي الله عنه من ابيات :

جميع خطاب اهل الله معنى بلا حرف وكشف دون كشف

وقال بعض العارفين :

وقال احد العارفين :

توهمت قدماً أن ليلى تبرقعت ... وأن حجاباً دونها يمنع اللثما

فلاحت فلا والله ما ثم حاجب ... سوى أن طرفي كان عن حسنها أعمى[1]

اي هو كشف لك عنه بمعنى كشف الغطاء عن الآية او الستر عن الشيء بل هو امر اذا ظهر ترى انه لم يزل ثابتاً لم يكن مستترا بشيء ، وانما الادراك كان ضعيفاً عن الوصول اليه فتقوى حتى ادركه ما كان ظاهراً (انه) اي الشأن او الذي انكشف لك (هو) اي الله سبحانه وتعالى الموجود وحده فقط بالوجود القديم المختص به (لا انت) اي لا وجود لك لكنك من انت عدم محض حينئذ ، وان كنت عند ذلك[2] على ما كنت عليه قبل ذلك من غير تغيير الا ان بصيرتك قويت فادركت ما لم تكن تدرك من قبل ، كمن رأى شبحاً من بعد وامعن النظر فيه فتحقق انه انسان ثم امعن النظر فتحقق انه فلان حتى شرع في تدبير كلمات يقولها عند اجتماعه به ثم سار الى نحوه واشرف عليه فاذا هو صخر من الحجر ، فان الانسان الذي في تصوره قد زال ولم يكن قبل ذلك مع انه كان محققا له فقد فني الانسان الذي هو فلان وبطلت العبارات التي دبرها له وظهر الصخر من الحجر الذي لم يكن ، وهذا معنى قولهم حتى يفنى ما لم يكن ويبقى ما لم يزل .

وقال تعالى : (ما زاغ البصر وما طغى) ، وهذا في نبينا صلى الله عليه وسلم حيث رأى ربه وقد زاغ بصر غيره وطغى فلم ير ربه حتى يذهب الزيغ والطغيان فيراه المؤمنون في دار الجنان ، واذا انجلى غبار الاغيار ظهر لك نور جميع الانوار وهو الله الواحد القهار[3] .

قال تعالى : (فأثرن به نقعا) ، فقد اشار تعالى الى ان العاديات ، وهي

---

(١) « ب » هذان البيتان من الشعر محذوفان .

(٢) « ب » وان عند ذلك .

(٣) : وللمؤلف نفعنا الله به قصيده في هذا المعنى مطلعها :

لو انجلي عن ناظريك الغبار ... لرأيت الكؤوس كيف تدار

اذ اردتها فارجع لديوانه : « الحقيقه » .

او رجوت امو الله بتصور الحسيات فهو حق عند و . . . ، ولان . . . لاجسام
والصور بقرآن العدم ، وهو الذكر الحكيم ، وهو النور لا انه الا هو العلي العظيم .

واعلم ان كل مثال من هذه الحوادث متصف بالوجود ، كما ان الحق تعالى
متصف بالوجود ، ومفهوم الوجود واحد لا يختلف الا بالوجوه والاعتبارات ، فهو في
القديم قديم وفي الحادث حادث ، كما انه في لا . . . . وفي المحدث محدث ، والوجود
من الماهية الموصوفة به على التحقيق ، فهو في القديم مطلق وفي الحادث مقيد ،
ولا كلام لنا في المطلق ، لان الكلام فيه محدود ، وكلامنا في المقيد ، من قوله عنه انه
مطلق قيد به ، فهو مطلق عن الاطلاق ، . . . في الوجود المقيد . . . هذه
اعراض فيه او هو عرض فيها . . . . . . الحال لا يخرج عن كونه
عينها لا زائد عليه وان كثر وتعدد ، فتعدد الاعراض ، والوجود عرض ، واي قدم
بالاجزاء فيه العرض بالعرض ، وليس يمتنع في العقول الالهية ، ولزوم التسلسل
هنالك امكان لا يقتضي وجود عين ، ولا . . . ان العرض يتجدد في كل زمان ، ويتبدل
في كل اوان ، والوجود الحادث العرض . . . . الوجود القديم ، وقائم بوجود
القديم ، ولكن ليس مثل هذه العرض الحادث بحيث يحل فيه كالعلم بالعالم والبياض
بالقرطاس ، وان خلق الله تعالى ذلك مثلا . . مضروبا لعدم الحادث به مثلى ، قال
تعالى : (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) فان
كنت من العالمين فاعقل المثال .

واعلم انه من اي وجه ضرب مثلا ولا تقسه على المثل به ، ومثل الانوار المنتشرة
في زوايا البيت ليلا فانها اثار نور المصباح المتقد فيه وليس حقيقة الانوار المنتشرة مثل
قوة نور اللهبة في المصباح . . . . . النور الذي هو اثر والنور[2] الذي هو مؤثر ،
واياك ان تفهم من هذا المثال انه مثل القديم والحادث في نور اللهبة والانوار المنتشرة
ليلا في البيت ، فجميع ذلك حادث والقديم منزه عن مشابهة ذلك ، ولكن جميع العلوم
الحادثة اعتبارات لاولي الالباب تعرف بها . . . من اي وجه الباب[3] (تستغفر)

---

(١) « ب » وقد خلق .
(٢) « ب » والنور .
(٣) « ب » من وجه الباب .

أي تطلب مغفرة الله ومسامحته (منه) من الذنب العظيم الذي هو من قبيل قول الشاعر :

وإن قلت ما ذنبي أجابت بحسبي وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

وليس هذا الاستغفار عنه بسبب عدة من بعض الأوزار ، وفي الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة » وفي رواية مائة مرة •

واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم ليس من غين الأغيار بل من غين الأنوار لأنه دائم الترقي ، فكلما رقي إلى رتبة في القرب الإلهي وجد الرتبة التي كان فيها قبل ذلك غينا وحجاباً فيستغفر منها •

قال الله تعالى له : (وقل ربِّ زدني علماً) والوارثون له عليه السلام لهم نصيب من ذلك كما هو مأخوذ من إشارة قوله تعالى : (يا أهلَ يثربَ لا مُقامَ لكم فارجعُوا) فإن قلت : قول الشيخ رضي الله عنه لا ثبات ، معناه التحقق بعدم الوجود ، وقوله : فتستغفر منك صريح في الوجود ثبوت المستغفر ، قلت : والأمر كذلك ، لأن هذه رتبة الكاملين الذين ينظرون بعينين لا بعين واحدة ، فإن من تحقق بعدم وجوده مع الله تعالى فقط فهو ناقص المعرفة ، ومن تحقق بوجوده مع الله تعالى فقط فهو أنقص منه ، والكامل في المعرفة من جمع بين الأمرين ووقف في الحقيقة البرزخية ، وذلك لأنه لا بد من حق وخلق ، إذ لولا الحق ما عرف الخلق ، ولولا الخلق ما عرف الحق ، ومن أنكر واحداً منهما فهو جاهل ومع جهله كافر ، والكامل متحقق بعدم وجوده مع الله تعالى إعطاءً للربوبية حقها ، ومتحقق بوجوده مع الله تعالى إعطاء للعبودية حقها ، فيعد وجوده ذنبا في تحققه الأول ويستغفر[1] منه في تحققه الثاني ، ويلزم من استغفاره منه عوده اليه فيستغفر منه وهكذا •

قال تعالى : (إن الله يُحبُّ التوابين) ، والذنب دائم والتوبة دائمة ، والعبودية موضع الذنب والربوبية موضع التوبة ، ومراعاة الطرفين مطلوب ، والخلق[2]

---

(١) « ب » ويستغفر •
(٢) « ب » مطلوب الخلق •

في حضرة علم الحق ، والحق في حضرة علم الخلق ، فالحق حق ، والخلق خلق وحق ، والحق الحق فيه نص ، والخلق فيه ظاهر ، والخلق الخلق فيه ظاهر ، والحق فيه باطن •

وهذه هي المضاهاة الالهية المشار اليها بقوله عليه السلام : « إن الله خلق آدم على صورته » وفي رواية على صورة الرحمن •

(وكلما وحدّت) أي تحققت في هذا الانكشاف المذكور أنه هو لا انت (بان) أي ظهر واتضح (لك الشرك) المعهود وهو الخفي الذي كان فيك وأنت غافل عنه (فتجدد به) سبحانه وتعالى بسبب ذلك (في كل ساعة) أي زمن يسير (ووقت) وهو أعم من الساعة لاطلاقه على الزمان الكثير بخلاف الساعة لغة (توحيداً) أي تحققاً انه هو لا أنت (وايماناً) أي تصديقاً بحقيقة[1] انه هو لا انت •

فالمراد بالتوحيد ظهور صفة[2] الوحدانية للعبد حتى يمحق كله فيها ولا يبقى له اثر الا مجرد التصديق القلبي بان ذلك حق ، والايمان هو التصديق بحقيقة ذلك والاعتراف به والاذعان له • فالتوحيد المذكور اضطراري لا تصرف للعبد فيه ، والايمان اختياري يمكنه التصرف فيه ، ولذلك قال تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وذلك لان الايمان اختياري لهم فامكنهم الاتيان به ، وأما التوحيد فلكونه اضطراريا لم يمكنهم الاتيان به ، وانما أمكن بعضهم عناية من الله تعالى• وهذا التوحيد المذكور هو التوحيد القلبي المعتبر ، وأما التوحيد اللساني الذي اعتبره الشرع من حيث الظاهر للحكم الدنيوي كتوحيد المنافق فهو كثير وليس المراد هنا بالتوحيد ذلك أصلا ، ولا يذهب عليك ان التوحيد اضطراري كما ذكرنا فكيف يمكن تجديده لأنا نقول نجدده ونتعاطاه بأسبابه المؤدية اليه من معرفة النفس والكون •

---

(١) « ب » بحقيقة •
(٢) « ب » صفته •

وفي الجمع بين التوحيد والإيمان إشارة الى أن كلا منهما لا يعتبر بدون الآخر على المعنى الذي ذكرناه ، فمن عنده توحيد ولا تصديق له بحقيقة توحيده فهو هالك ، ومن عنده تصديق بحقيقة ذلك ولا توحيد له بالمعنى المذكور فهو غير ناج .

فإن قلت : قال الشيخ رضي الله عنه فيما سبق « فتستغفر منه » وقال هنا : فتجدد له توحيدا وإيمانا ، ولم تذكر الاستغفار ، قلت : لأن في الأول يظهر لك أنه هو الذنب فيكون ذلك الذي هو الذنب سوى ملك لا ثبات به فتستغفر منه .

وأما هنا فقد ... الشرك فلو استغفرت منه ألف مرة وهو مقيم فيك ما أفادك ذلك شيئا بل يتعين عليك إزالته بأن تجدد توحيداً وإيماناً ، فإن التوبة من كل ذنب بحسب ذلك الذنب .

وفي قول الشيخ رضي الله عنه : « فكلما أخلصت تكشف لك وكلما وحدت تبين لك » إشارة الى أن هذا الكشف وهذا البيان يتجددان(1) بتجدد الإخلاص والتوحيد وبدوام الترقي فيهما بدوامهما ، وربما كان التوحيد كشفا لقوم وهو حجاب لقوم آخرين ، بل هو عندهم ذنب يحتاجون الى الخروج عنه كما أشار الى ذلك الإمام الهروي في آخر كتابه : « منازل السائرين » بقوله :

ما وحد الواحد من واحد   إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته   عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده   ونعت من ينعته لاحد

فإن توحيد الموحد يقتضي وجود موحِّد وموحَّد وتوحيد ، وهي ثلاثة أشياء في نفس كل موحد وإن كان يجهلها ، ومع التثليث أين التوحيد ؟ ونعت من ينعته إلحاد لأنه إنما نعته(2) بما فهم من نعوته الواردة عنه تعالى ، والذي فهمه منها بعيد عن حقيقة النعوت المقدسة الى المعاني الحادثة التي فهمها ، والعدول عن ذلك إلحاد .

---

(1) « ب » يتجددان .
(2) « ب » بنعته .

(وكلما خرجت) أي أعرضت (عنهم) أي عن جميع الأغيار ولم تقدم لهم ذكر لعدم إرادة غير مخصوصين ، وغلب جماعة المذكور على غيرهم لصعوبة الخروج عنهم بالنسبة إلى غيرهم كما لا يخفى أيهم في المهمات ، ومعنى هذا الخروج أن تجد نفسك خارجة بحقيقتها بمعرفة من خرجت عنه لأنه عينه ضرورة لابس ثوب الوجود استعارة لا يحس(1) إلا في الذهن وإثباته بالحفظ فيه حجاب على الحقيقة(2) (زادت) أي كثر نورا وإشراقا (إيمانك) أي تصديقك بالله تعالى وإذعانك له ، وذلك لأن التصديق بشيء يزداد إذا انقشع الستر عليه ، وآيات الله تعالى في الآفاق وفي الأنفس إذا تجلى فيها المؤمن زاد إيمانه فصار شهودا للغيب ومعاينة له من وراء أستار الجلال والجمال ، قال تعالى : (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) فإيمانهم الأول كان تصديقا والثاني شهودا ولا شك أن الشهود زيادة على التصديق .

(وكلما خرجت) أي انفصلت (عنك) أي عن نفسك زيادة على خروجك عن سائر الأغيار فإن الخروج عن الغير يحتاج إلى ممتاز عن ذلك الغير وإلى خارج عنه ، والممتاز والخارج هو النفس فلا بد منها في مقام الستر . وإن كان شهوداً ومعاينة فمن خلف الغيب مشهود ونشر العظمة لا تزول ، فإذا خرج عن نفسه أيضا لا يبقى(3) ممتاز ولا خارج فزال الحجاب وانقشع الستر والحجاب ، فعند ذلك (قوي) أي اشتد (يقينك) بالله تعالى حتى صرت عالماً ربانياً .

قال تعالى : (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) . والرباني منسوب إلى الرب ، ولولا خروجه عن النفس ما نسب إلى الرب ، وغير الرباني نفساني وهو منسوب إلى نفسه فيعبد بها لا بربه ، يعني – في زعمه – وإلا فإن الكل قائمون بربهم ، والمراد باليقين سكون القلب إلى الله وعدم تحركه إليه

(1) « ب » وتخيل .
(2) « ب » بالحفظ حجاب له على الحقيقة .
(3) لا بقي ممتاز .

محققة ، والسير في الله ... وهي النفس قوي ، ولهذا ذكر الخروج عنهم مع(1) النفس وهم الشيوخ ، ... وذكر الخروج عن النفس مع اليقين والنفس واحدة فيناسبها القوة .

ثم انتقل الشيخ رضي الله عنه ... يحصل للسالك في طريق المعرفة ترجع بنفس(2) جميع التي العرفان فقال رضي الله عنه بقوله : (يا أسير) أي مأسور ... فعيل بمعنى مفعول تسمى المنبعث (الشهوات) المباحة فضلا عن المحرمة ، وهي أنواع كثيرة ، شهوة مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومسكن ومركب ومال وولد وبدن(3) وجاه وخدم وعلم ... إلى غير ذلك ، وإنما كان أسيرها لميله إليها واشتغاله بها وغفلته عن ربه ، وقدمها في الذكر لأنها أدنى ... وأقوى مانع وأكثر وجود ، ... في جميع ... فإن قلت : الأنبياء عليهم السلام كانوا يستعملون الشهوات ... على الخلاف ... وسليمان عليه السلام قال : (رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) ... في الدنيا وحصل له ذلك، قلت : استعمال الأنبياء عليهم السلام الشهوات استعمالا روحانيا(4) فهي لذائذ لا شهوات ، واستعمال غيرهم لها استعمالا نفسانيا(5) فلذلك سميت شهوات . وإذا كان ولي تصل إلى مرتبة ... نفسه ... روح وتصير شهواته لذة روحانية ويعود شغله باطنيا لا ... ولهذا ... الأنبياء عليهم السلام وهم أكمل خلق الله تعالى .

والحاصل أن الهمة في الشهوات له روح وله نفس ، وتلك الشهوات التي انهمك فيها له باطن وله ظاهر ، فالروح تنهمك في الباطن والنفس تنهمك في الظاهر ، فإذا كان العبد ظاهريا محجوبا غافلا عن الباطن كان انهماكه انهماك شهوات نفس في أمر دني، زائل وهو الظاهر ، وإذا كان العبد عارفا كانت روحه منهمكة في أمر عظيم باق لا يفنى،

(1) « ب » عنهم في .
(2) « ب » به عين .
(3) « ب » ودنيا .
(4) « ب » استعمال روحاني .
(5) « ب » استعمال نفساني .

وذلك الأمر الباطني عظيم من لازمه ذلك الظهور فلا بد منه ، ولهذا كانت الملائكة لا يزدادون ولا ينقصون في مقاماتهم لعدم معرفتهم بهذه الأمور العظيمة الباطنة[1] التي ظاهرها هذه الشهوات الجسمانية لأنها أسرار بين الله تعالى وبين الأرواح ، ولا تظهر للنفوس كما هي بل تظهر على خلاف ما هي عليه فهي مذمومة بذلك ، ومن لازم ظهور الأمر على خلاف ما هو عليه ذمه وعدم الرضاء به من حيث هو خلاف ما هو عليه (والعبادات) التي بها لأنها أصرح في ذلك مما قبله وهي جمع عبادة اسم لكل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من أنواع الطاعات الظاهرة كأعمال الجوارح والباطنة كالإيمان والتوحيد والمعرفة وإنما كان أسيرها محجوبة بها لا بالله تعالى ، وعبادته بها لا إلى الله تعالى ، واشتغاله بها لا بالله تعالى ، بل هو غائب عن الله تعالى الذي هو غير غائب[2] عنه لعدم حضوره معه ، فالعبادات التي هذا شأنها عنده ذنوب له لا عبادات .

فإن قلت : كيف يصح هذا مع أن من العبادات معرفة الله تعالى وشهوده ، وفي ذلك لذة لا تعادلها لذة ، وهي المسماة بحلاوة الإيمان والتوحيد فكيف تكون مذمومة ؟ قلت : هي لذة الروح لا لذة النفس ولذائذ الروح كلها محمودة لأنها مقصودة للروح من حيث ظهور الحق تعالى بها لا من حيث هي ، ولذائذ النفس كلها مذمومة لأنها مقصودة للنفس من حيث هي لا من حيث الحق تعالى الظاهر بها ، وإلى ذلك يشير الشيخ شرف الدين بن الفارض قدس الله سره بقوله :

فبي قبلُ نفسي الحجب مني بمنه … أراك بها لي نظرةَ المتلفّتِ
ومني على سمعي بلن إن منعت أن … أراكَ فمن قبلي لغيري لذّت

يعني لذة أن يراني موسى عليه السلام من حيث ظهور الحق تعالى له بها .

ثم أعقب ذلك بذكر ما يجب على السالك من موانع الأحوال ، وبذلك صرح فيه بلفظ الأسير حيث قال : (يا أسير) أي مأسور (المقامات) جمع مقام -

(١) « ب » الباطنية .
(٢) « ب » هو غائب .

كخطرات جمع خطرة وخطوات جمع خطوة مجموع ذلك واحد، وإن كان مذكراً

وهو الحالة المستمرة التي يدركها السالك، يجد بسببها في نفسه نشاطاً الى تلقي المدد من جناب القدس ... وهو من ذكر الأحوال لانها تهجم بطريق الورود، وهي غير مستمرة بخلاف المقامات، وإنما كان أشرها وقوفه عندها لا عند ربه وطلبه لها لا لربه واشتغاله بها لا بربه، وهذا شأن من يطلبها من حيث هي مقامات لا من حيث ظهور الحق سبحانه وتعالى له فيها .

(والمكاشفات) جمع مكاشفة وهي بلوغ ما وراء حجاب العلم من المشاهدة الإلهية احترازاً عن المكاشفة الصورية وهي كشف الصور مثل الاخبار بوقت قدوم الغائب(١) والاخبار بما وراء الجدار مما لم يشهد بالحس ونحو ذلك، وتلك المكاشفة ليست في طريق الله تعالى بل هي قاطعة عنه، ولذلك لم تختص بها ملة دون أخرى، كذا حققه العارف التلمساني عفيف الدين قدس الله سره في شرح : « منازل السائرين » للهروي رحمه الله تعالى، وإنما كان أشرها لأنها من جملة الأغيار، فالوقوف عندها قاطع عن الوصول إلى معرفة نور الأنوار . قال تعالى : (وأنَّ إلى ربّكَ المنتهى) . ولا نهاية له تعالى فلا نهاية للمسير إليه، فالعالم سائر من الأزل الى الأبد، متقلب في الأطوار العلمية قبل الأطوار الوجودية . ومن كلام بعضهم : « لو رُفعتُ إلى ذروة الأكوان، وترقيت إلى حيث لا مكان، ثم اغتررت بشيء طرفة عين فلست من أولي الألباب » .

ومما يحكى عن أبي الحسن النوري رضي الله تعالى عنه انه وقف ليلة كاملة بعد إحرامه بالصلاة على رؤوس أصابعه، فسأله من حضره عن سبب ذلك، فقال : طافت روحي السموات والأرضين واحدة واحدة وقيل لي هل أعجبك شيء في ملكي ؟ فقلت : لا، فقال لي : أنت حينئذ عبدي حقاً .

وقال ابن الفارض رضي الله تعالى عنه :

قال لي : حُسنُ كُلِّ شَيءٍ تجلّى بي
تملّى فقلتُ قَصْدي وراكا

---

(١) « ب » غائب .

من قوله تعالى : (والله من ورائهم محيط) (أنت) أيها الأسير بقيود الأغيار : الشهوات والعادات والمقامات والمكاشفات المترتبة[1] على سبيل الترقي (معروف) بسبب وقوفك تحت أسر هذه الأغيار فلا تعد نفسك من جملة المقربين الأحرار ما دمت ملتفتاً إلى هذه الأشياء[2] محصوراً في سور الحجب ومشتغلاً عن مؤثرها بآثاره .

(أنت مشتغل بها) أي محجوب بنفسك المقهورة كالشهوات والحظية والعادات والمقامات والمكاشفات (عنه) أي عن[3] من تريد القرب إليه والاقبال عليه وهو الله سبحنه وتعالى (أين الاشتغال) المعهود لك ، يعني اشتغالك الذي تزعم أنه (به) أي بالله تعالى (عنك) أي عن نفسك ، فضلاً عن سائر الأغيار ، فإن كنت فيه صادقاً فلا تلتفت إلى شهوة ولا عادة ولا مقام ولا مكاشفة ، ولا تريد بالقصد إلا الله تعالى وحده دون جميع ما عداه وتجردت الهمة بالعزم إليه تعالى وتركت كل ما سواه ثم تركت ترك كل ما سواه ، ولم تلتفت إلى شيء البتة ، لأنه غيور تعالى ، ولو كنت كذلك لصدقت في طلبك وعزمك إليه تعالى ، لأن ... كله إليه تعالى ، فمتى وقفت على شيء من ذلك فأنت كاذب في دعوى الإقبال على الله تعالى .

ونقل ابن عطاء الله الاسكندري في « التنوير في إسقاط التدبير » عن شيخه أبي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول : « لن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله تعالى » .

ثم قال رضي الله تعالى عنه مبيناً لمن تستبعد ما هو له (وهو) أي من أنت معروف بعدك مشتغل متباعد عنه - والواو للحال - (عز) عن أن يكون[4] محصوراً كحصورك حاشاه في مكان أو زمان أو هو[5] عزيز عن أن يظفر أحد بعزته (وجل)

---

(١) « ب » المرتبة .
(٢) « ب » الى هذه الاغيار .
(٣) « ب » أي عن .
(٤) « ب » عزّ أن يكون .
(٥) « ن » وهو .

عن أن تكون صورة كصورة خلقه بجارحة أو سماعة أو جهة ، وهو جليل عن أن يشتغل عنه أحد (خبير) أي موجود رقيب عليم عالم حتى تفتر بصير (ناظر) أي مبصر لكم ، لا يخفى عليه شيء منها فكيف تشتغل عنه بنفسك ؟ •

ثم أكد ذلك بقوله (وهو معكم) أيها العباد المخلوقون بصفة القيومية الثابتة بذاته عليه لا اسم معه كما سبقه (أينما كنتم) أي وجدتم (في) عالم (الدنيا) أي وجودكم المخلوق فيها له نهاية (وفي) عالم (الآخرة) أي وجودكم المخلوق فيها لا نهاية له •

واعلم أن المعية صفة قديمة من صفات الحق تعالى وهي معيته[1] لكل مخلوق من جميع مخلوقاته بحيث لو لم يكن الحق تعالى مع ذات المخلوق ، أي مخلوق كان ، لم تكن ذات المخلوق ولا وجد ولا ظهرت له عين ، وحيث كان كل مخلوق في علم الخالق وعلم الخالق صفة من صفات الخالق فقد تصور الخالق من حيث صفته العلمية صورة كل مخلوق لا من حيث ذاته ، ثم ظهرت صور المخلوقات التي في الصفة العلمية مترتبة على ما سبقت به الارادة الأزلية في العدم ، فلولا معيته تعالى بذاته وصفاته في حضرته العلمية لكل شيء ما كان وجد شيء ، فإن كل شيء هالك من حيث هو شيء لا وجود مطلقاً إلا وجهه تعالى ، وهو وجهه تعالى متصوراً في حضرته العلمية بصورة ذلك الشيء المعدوم الذي لا يصح له وجود من نفسه أبداً ، فالله مع كل شيء بصورة ذلك الشيء وليس شيء مع الله تعالى مطلقاً •

فإن قلت : كيف تصور القديم المطلق في صورة مقيدة ولو في حضرة علمه ؟ قلت : تصوره في حضرة العلم أمر من ضروريات العلم ولكن تصور في مطلق عن الصورة ، لأن ذات المطلق عن الصورة في العلم عين العلم ، كما أن علمه تعالى بزيد مثلاً متضمن علمه بجميع ما يتصوره زيد في نفسه ، فما يتصوره زيد في نفسه يتصوره الحق بعلمه المطلق ولكن في ضمن العلم بزيد •

---

(١) « ب » معينة •

ولو ما يعلم الله تعالى عدم نور محمد صلى الله عليه وسلم مطلقا عن جميع الصور، ثم عدم جميع الصور منه فيه، فعلم الله تعالى مطلق عن جميع قيود الصور ومعلومه تعالى وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم مطلق ايضا عن جميع قيود الصور من حيث هو معلومه تعالى، واما من حيث هو نور محمد صلى الله عليه وسلم فهو مقيد بجميع الصور ما كان منها وما يكون، ولهذا ورد في الحديث: «ان اول ما خلق الله تعالى نور نبيي صلى الله عليه وسلم ثم خلق منه كل شيء» فما ثم الا الله تعالى متجلي على نور محمد صلى الله عليه وسلم، والصور حائر فيه تعالى، وقد ألبسه الله تعالى حلة صفاته واسمائه فهو يصور هذا المتجلي عليه في صور لا نهاية لها[1]، ثم ينفيها عنه تعالى وهو حقيقة التسبيح الذي قال تعالى: (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن)، (وإن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا)، فذكر تسبيح ما هو معدوم وجوده فيما هو موجود وجود[2] عين ذلك الموجود، وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم، ونور محمد صلى الله عليه وسلم المطلق كما ذكرناه معدوم لوجوده تعالى المطلق في رتبة علمه تعالى به[3]، فهو الله في السموات وفي الارض، ولا السموات ولا الارض من حيث هي سموات وارض، بل الله الذي لا اله الا هو المنزه عن كل تشبيه وتكييف، المقدس عن كل تمثيل وتعريف وتوصيف، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(فاذا كنت معه[4]) في وجدانك انما تكون مع الحق تعالى في تعينات موجود معه سبحانه وتعالى، والا ففي حقيقة الامر لا وجود لك معه اصلا بل ما اظهره لك منه تسميه انت انت ذلك هو متصور بالنور المطلق الذي علمه الله تعالى على اطلاقه ثم قيده بالصور، كما ان الصندوق والباب والكرسي هي ذات الخشب لا زائد عليها، والصندوق والباب والكرسي بعد زوال حقيقة الخشبية عدم صرف، فلا وجود الا

(١) « ب » لا نهاية له.
(٢) « ب » فيما هو وجود.
(٣) « ب » وهو نور محمد المطلق كما ذكرنا معدوم لوجوده تعالى المطلق في رتبة علمه تعالى به.
(٤) المؤلف: في متن رسالة التوحيد جاءت الجملة: فاذا كنت معه اما في الطبعة وفي المخطوط فقد وردت « فاذا كنت ».

فحينئذ ان وجد الصندوق والعرش والكرسي وإن لم يوجد • ولا نص حيث ذكره لك هذا الامام ان الحق تعالى لتعلم كيف ينشئ هذه الاشياء المصنوعة من نور محمد صلى الله عليه وسلم كذلك • فاذا وصلت الى الحقيقة المحمدية وصلت الى الحق تعالى فلا تحتاج احدا علمك حينئذ (حجبتك) اي ستر حقيقتك المصورة من النور المحمدي بالتوجه القديم التي هي حقيقة القديم من حيث حضرته العلمية كما ذكر، (عنك) فتصير عقلا محجوبا زائغا بانك تذهب في معرفته كل مذهب ولا تهتدي اليه تعالى مع انه معك وهو اقرب اليك منك (واذا كنت) اي وجدت (معك) اي مع حقيقتك المصورة من النور المحمدي بالتوجه القديم التي هي حقيقة القديم من حيث حضرته العلمية • كما يشير الى ذلك قوله تعالى : (فمنِ اهتدى فانما يهتدِي لنفْسهِ ومن ضل فانما يضل عليها) • وفي الحديث : « منْ عرَفَ نَفْسَهُ فقدْ عَرفَ ربهُ » • وقال تعالى : (أفمنْ هُوَ قائِمٌ على كلِّ نَفْسٍ بما كسَبَتْ) •

(إستعبدك) اي جعلك عبداً (له) تعالى ولا تركك معك في حقيقته العلمية لانه تعالى يريد مقام العبودية فانت حينئذ عبد صرف ورب صرف وهو مقام محمدي شريف • قال تعالى : (سُبْحانَ الَّذي أسْرى بِعَبْدِهِ) • وقال تعالى : (وأنهُ لما قامَ عبْدُ اللهِ يدْعوهُ) • ولله در القائل :

لا تدعني الا بيا عبدها فانه أشرف اسمائي

ويمكن ان نقول في معنى هذا الكلام كله : « اذا كنت معه بان كنت ناظراً اليه تعالى مشتغلا به تعالى عن نفسك حجبك عن نفسك فلا تجد نفسك معه تعالى ويبقى هو تعالى ولا انت وهذا مقام الجمع •

واذا كنت معك اي مع نفسك لا معه تعالى بل كنت معرضا عنه تعالى مشتغلا بنفسك عن الاشتغال به وهو مقام الفرق استعبدك له اي جعلك عبداً له تعالى واتعبك بانواع التكاليف الشاقة » •

ثم اخذ الشيخ رضي الله عنه بين الايمان واليقين حيث وقعا في كلامه السابق فقال : (الايمَانُ) اي التصديق الكامل بالله تعالى والاذعان له والانقياد اليه على اتم الوجوه انما هو (خُروجُكَ) ايها المريد اي اعراضك بالكلية إعراضاً وجدانياً لا تخيلياً لان النفس تخيل للعبد ما ليس موجوداً فيه انه موجود فيه ويكون على خلاف ذلك، وعلامة صدقها أن لا تجد في المصيرة غير وجود الحق سبحانه وتعالى (عَنْهُمْ) اي عن جميع الاغيار وغلب جماعة المذكور كما ذكرنا فيما سبق . وانما كان الايمان الكامل خروجك عن جميع الاغيار لأن التصديق بالحقيقة المطهرة عن صور جميع الاغيار باعتبار الحضرة العلمية كما ذكرنا لا يمكن على ما هي عليه الا بعد ذهاب ما التبست به من جميع صور الاغيار ، فاذا انمحت عن عين بصيرتك كل الصور وظهرت لك الحقيقة على ما هي عليه فوجد[1] الايمان بهذا حينئذ كما قال الشيخ عبد الهادي[2] السودي اليمني قدس الله سره العزيز :

لو تخلت عنهم ظُلَمُ[3]	وانمحوا عن عالم الصور
شاهدوا معناك منبسطاً	سارياً في سائر الفطر
ودروا ان الحجاب هم	عن جمال المنظر النضر
وقضى يعقوب حاجته	وانتهى زيد الى الوطر

(واليَقِينُ) بالله تعالى هو سكون القلب الى الشيء واطمأنينته به حتى لا يبقى في القلب حركة الى سواه بالكلية (خُروجُكَ) ايها المريد اي اعراضك اعراضاً وجدانياً كما ذكرنا (عنكَ) اي عن نفسك زيادة على خروجك عن جميع الاغيار بحيث ينمحي تعين وجودك من عين بصيرتك وتجد الحق ظاهراً للحق لا لك لانك معدوم وهو موجود .

وهذا اليقين له ثلاث مراتب : مرتبة علم اليقين وهي فهمك لما ذكر في تعريف

(١) « ب » فوجدت .
(٢) « ب » عبد الوهاب .
(٣) « ب » لو تلاشت عنهم الظلم .

اليقين واطلاعه على دليل صحته ذلك من الكتاب والسنة حتى لا يبقى عنده شبهة في صحته وصدقه • ومرتبة عين اليقين وهي وجدان ذلك في نفسك وشهوده فيك بل ذوقك له بحيث تستغني عن حكايته وعن الاستدلال على صحته • ومرتبة حق اليقين وهي ان تجد ذلك فيك وتجد فهمك لذلك في عين وجدانك له وتمحي وجودك مع الحق تعالى في عين وجودك ... فترجع الى ذلك في نفس فهمك • وفوق ذلك مراتب اخرى اكثر من هذه •

ثم شرع في بيان مراتب الاحسان واليقين بطريق الاجمال فقال[1] : (إذا زاد)

اى قوي واشتد (ايمانك) المذكور الذي هو خروجك عن الاغيار في وجود واحد القهار (نقلك) ايها السالك اى نقلك الحق تعالى وهو نقل الممتحن اذ لا مدخل للنفس في ذلك (من حال) وهو ما لا استمرار له من مشاهد القرب الى الله تعالى (إلى حال) آخر اعلى منه • وذلك بان ينقل من حال شهودك الاغيار احكام[2] الواحد القهار • الى حال شهودك جميع ذلك افعاله الصادرة عنه بالارادة والاختيار • ومنه الى شهودك كل ذلك اسماءه الحسنى المسمى بها من غير استتار • ثم منه الى شهودك صفات صفاته تعالى مشرقة الانوار • ثم منه الى شهودك ذات ذاته سبحانه وتعالى العلية المرتفعة الاستار حتى تصل الى رتبة اليقين فوق رتبة الايمان المتين فترقى الى مقامات عالية • ومراتب رفيعة سنية وذلك قوله : (وإذا زاد) اي قوى واشتد (يقينك) المذكور الذي هو خروجك عنك بعد خروجك عن جميع الاغيار (نقلت) اي نقلك الحق تعالى بلطفه (من مقام) وقد سبق تعريفه • والمراد رتبة من مراتب اليقين (إلى مقام) ارقى منه •

فمن رتبة علم علم اليقين الى رتبة عين علم اليقين الى رتبة حق علم اليقين ثم الى رتبة علم عين اليقين الى رتبة عين عين اليقين الى رتبة حق عين اليقين ثم الى رتبة علم حق

(١) « ب » الاجمال وهي ان تجد ذلك فيك وتجد فهمك لذلك في عين وجدانك له وينمحي وجودك مع الحق تعالى في عين وجودك الاجمالي فقال •
(٢) « ب » شهودك الاغيار الى احكام •

اليقين الى رتبة عين حق اليقين الى رتبة حق حق اليقين ثم رتبة حقيقة حق اليقين كذلك . وهكذا في مراتب اخرى عليه ومعارج سنيه ، وتفصيل هذه المقامات ونحوها لا يليق بهذا المختصر .

(الشريعة) المحمدية وغيرها في حق كل امة ، كذلك قبل النسخ ، وهي البيان الالهي المستفاد من الوسائط الناطقين عنه على المقتضى لمتابعة امره على فعلا او تركا قطعا او ظنا او تخييرا ، والمخاطب بذلك كل مكلف لسماع الاحوال ، وظهور الفرق بين الهدى والضلال . (جعلت لك) ايها العبد المكلف اي انت المخاطب بها جميعها ايمانا واسلاما (حتى تطلبه) سبحانه وتعالى بنيتك واقوالك واعمالك فيكون هو مقصودك من ثوابه على ما تصدر منك من الطاعة الباطنة والظاهرة .

وتقطع نظرك عن طلب غيره من ثواب الآخرة او الدنيا (منه به تعالى) يعني لا تطلبه من عبد من غيره لا يوصلك اليه لانه عاجز عنه مثلك والعاجز لا يقدر على ايصال نفسه ما لم يوصله هو تعالى اليه فكيف يوصل غيره ، وقد قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم مع انه افضل الخلق عنده : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) . وقال تعالى له ايضا : (ليس لك من الأمر شيء) فمن دونه بالفضيلة اولى ان لا يهدي من احب وان لا يكون له من الامر شيء ، واما قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) فمبني على خطاب الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ، وهو في مقام المحق ارادته ومحبته وجميع صفاته في ارادة الحق تعالى ، ومحبته وجميع صفاته كما قال تعالى عنه في هذا المقام : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) واما آية : (إنك لا تهدي من أحببت) فقد خاطبه تعالى بها ، وهو في مقام الفرق الذي قال عنه صلى الله عليه وسلم : « إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة » .

ومقام الفرق يقتضي الفرق وثبوت النفس بالحق تعالى ، وغير الله تعالى لا يوصل اليه تعالى ما لم يكن الله تعالى هو الموصل وحده وسواء كان الغير مرشدا كاملا من بني آدم او من غيرهم .

في [illegible] (ومن نقصه [illegible]) [illegible]
[illegible] والاخرى [illegible]
[illegible] (ــ) [illegible] والنزوع في
[illegible] ولا استقلال [illegible]
[illegible]
[illegible] الأخرة ، او مجازاً من [illegible]
[illegible] الامور عنده ، والشرعة [illegible]
مشتقة من الشرع وهو [illegible] (شرع لكم من الدين) اي بين
واظهر[3] [illegible]
[illegible] موصوف بها [illegible]
عليك حكم [illegible] على [illegible] ولا على الصفات
بها اذا [illegible] مصفاً بها [illegible] من هذا الفصل
وان [illegible] في [illegible] على [illegible]
وعلى [illegible] في [illegible] من حيث
خلقه [illegible] واحتمل
[illegible]
[illegible]
او الامتناع من امر •

وان [illegible] الحدث [illegible]
الحدث [illegible] لاعراض
لا تأثير له في شيء من اعمالك •

(١) « ب » عبادة •
(٢) « ب » عبادتك له ولا لاجل غيره •
(٣) « ب » بين لكم واظهر •

قال الله تعالى : (لا يَقْدِرُونَ على شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا) وانما وجوده فلك يرتفع عنك اسم المجبور ويسميك باسم القدري اعني المريد المختار لان لك قدرة وارادة واختيارا وان كانت قدرتك وارادتك واختيارك لا تؤثر شيئاً منها مطلقاً فصدر الخير من افعالك بمعنى انك انه مرضي لله تعالى بطريق الاحسان الروحاني ، والشر منها انه غير مرضي له تعالى احسانا ايضا روحانيا ، موافقا لكتاب الله وسنة رسوله وصدر محفوظ فيه لم يكن محفوظا فحينئذ اين قام تأمر الله تعالى على تصوره منه ، والله تعالى لا يأمر بالفحشاء ولا بالمنكر فليس في افعالك فحشاء ولا منكر بل جميعها طاعات لله تعالى حتى ترجع الى نفسك فتقوم بها وتغفل عن فعلك تأمر الله تعالى على تصوره فتعود الى فحشائك ومنكرك ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم •

(والحقيقة) اي حقيقة الشريعة هي حقيقة الامر الالهي على ما هو عليه لا على حسب فهم القاصرين عنه ، فلا فرق بينها وبين الشريعة الا بحسب كمال الفهم وقصوره ، وكمال الفهم انه يحصل للعبد من ربه بلا واسطة او قصور الفهم يحصل للعبد من ربه بواسطة اعتماد العبد على نفسه واتكاله عليها بتقدير الله تعالى عليه ذلك ، فالله يضل من يشاء بنفس من يشاء ، ويهدي من يشاء به تعالى لا بنفس ولا غيرها ، والنفس قائمة به تعالى ، فاذا اضل به كان هو المضل بلا واسطة الا انه تعالى اوجد مدخلية(١) في ذلك العبد الذي اراد ان يضله باعتبار مدخلية نفسه واستقلالها، فعامله تعالى بما فيه فاعطى خلقه ثم هداه الى خلقه ذلك كما قال تعالى : (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) ، والهداية تستعمل في الضلال ايضا ، قال تعالى : (فيه نُضِلُّهُ وَنَهْدِيهِ الى عَذَابِ السَّعِيرِ) فهي في هذه الآية مطلقة في الخير والشر لمناسبة كل شيء •

(له) اي الحقيقة له سبحانه وتعالى وحده لا شريك له فيها مشارك ولا منازع منازع لان بيانه الحقيقي مختص به لا يعلمه احد على ما هو عليه غيره تعالى ، كما قال

---

(١) « ب » أوجد في ذلك العبد •

تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) . فكان دين الإسلام عند الله لا يعلمه أحد غيره ، هو عنده لا عند غيره ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، أي يفهمه ما لا يفهمه غيره تعالى ، لأن الدين عنده لا عند غيره حتى يفهمه ذلك الغير .

ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو عبد مخلوق يفضله الله تعالى على جميع العباد يقدر أن يفقه أحداً في الدين الذي عند الله ما قال : « اللهم فقهه في الدين » كما لم يقل : « اللهم بلغ أمتي أمري ونهيي » بل يبلغهم هو ذلك ، والله تعالى لا يفقه أحداً في الدين حتى يصير ذلك العبد عنده تعالى كما قال : (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) . وقال تعالى : (إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) ، وما دام العبد عند نفسه لا عند ربه ، فجميع فهمه في الدين قاصر ، ومن قصوره عن فهم من هو عند ربه يظن أن ما فهمه هو وأمثاله من الدين الإلهي شريعة وما فهمه من هو عند الله حقيقة ، ولا يدري أن التفاوت الظاهر بينهما كالتفاوت بين الخطأ والصواب ، ولكن كله ذلك فاسد والدين الإلهي واحد ، ولكن الصواب ليس كالخطأ ، ولهذا ورد أن من اجتهد وأخطأ فله أجر واحد ومن اجتهد فأصاب فله أجران ، فإن كانوا عند نفوسهم اجتهدوا كلهم وأخطأوا فلهم أجر واحد ، قال تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) أي من ذلك الفهم القاصر في الدين الإلهي ، وقال تعالى في آية أخرى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ، أي بحسب قصورها أي لأنها نفس فهي قاصرة ضعيفة ، وقال تعالى : (ورهبانية ابتدعوها) ، يعني بفهمهم دينا على خلاف ما هو عليه عنده ، ثم قال تعالى : (ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) ، يعني ما جعلناها مفروضة عليهم واعتبرناها منهم إلا لأنهم طلبوا بها مرضاة الله تعالى أي رضاه عنهم وهم قاصرون لأنهم عند نفوسهم ، فقدر ما علمهم ، فأتوا بها في

ومنهم من اخطأ فله اجر واحد ، وهو ابتغاء مرضاة الله تعالى لا غير فيما هو لأنه خطأ ، والخطأ لا اجر فيه . ومن كانوا عند ربهم اجتهدوا ايضا واصابوا كلهم فلهم اجران : اجر الاجتهاد طلب مرضاة الله تعالى واجر الصواب الذي اصابه الله من هو عنده وهو الله تعالى .

فاجتهاد الفريق الاول يسمى عندهم شريعة وهي معرفة عبد الله تعالى وقد كلفهم الله تعالى بها ، واجتهاد الفريق الثاني يسمى حقيقة عند الفريق الاول ويسمى عند الفريق الثاني شريعة وحقيقة ، وقد كلفهم الله تعالى بها ، ولهذا قال : (حتى تطلبه) اي الحقيقة بالله تعالى حتى تطلب الله تعالى طلب ذوق ووجدان لا فهما وتخيلا[1] وهو معنى كون ذلك الطلب (به) اي بالله سبحانه وتعالى لا بنفسك ولا بحولك ولا بقوتك فان النفس ليس في وسعها من الطلب غير التوجه بحولها وقوتها ، وحولها وقوتها لا يقتضيان[2] الا فهم المطلوب وتخيله لا ذوقه ووجدانه ، والذوق والوجدان لا يوصل اليهما الا الله تعالى الذي لا حول ولا قوة لاحد الا به ، فاذا ترك العبد حوله وقوته اللذين به تعالى وطلب[3] به تعالى وحده لا بواسطة غيره وجد مطلوبه ووانس محبوبه .

(له) اي الطلب لاجل الله تعالى لا لاجل نفسك لتحصيل نعيمها او النجاة من جحيمها او للترقي في المقامات العلية والعروج في المراتب السنية فان ذلك كله قواطع وموانع كما سبق (غير) اي امتنع عن الطلب بغيره على انه لا مؤثر غيره مطلقا ، فكل طالب انما يطلب به تعالى ، ولكن اما ان يعرف ذلك فيكون طلبه به تعالى ، او لا يعرف ذلك لحجبه بظلمة نفسه وكدورة طبعه فلا يكون طلبه به تعالى بل بنفسه ـ في زعمه ـ فيعامله الله تعالى[4] ـ بزعمه ـ ويحكم عليه بمقتضى علمه وعلى حسب حكمه كما قال النبي عليه السلام : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » (وحل) اي عظم عن كون الطلب لاجل غيره تعالى مطلقا ، اذ كل طالب لاجل غرض يستصر

(١) « ب » (حتى تطلبها) اى الحقيقة بالله تعالى طلبة ذوقية لا فهما تخييليا .
(٢) « ب » بحولها وقوتها وهما لا يقتضيان .
(٣) « ب » فاذا ترك العبد حوله وقوته اللذين له تعالى وطلبه .
(٤) « ب » فيعامل الله تعالى .

ان عرفته [illegible] الله حيث [illegible] في جميع [illegible] ومعرفته [illegible] .

فمقصوده هو من أن يحيط الله تعالى بشيء لا عن أن العقل إذا عرف ذلك فيكون عنده أحد معنى وإن لم يعرف فيكون عنده لأجل عدم معنى - في زعمه - .

ثم إن المصنف في هذه المقالة بين مطلوب الحق عن مشابهة كل مطلوب مما سواه فإن ثبت له جهة وتقسيم ، بمعنى كلمة فهو شيء ثبوت [illegible] ألا كل شيء ما خلا الله باطل . فقال (حيث) ذات المطلوب الحق (لا حين) أي لا يسبقه زمان من موجود فيه من زمن الحادثات في هذا وجود المتقدم والمتأخر يسمى بالساعة واليوم والليلة والأسبوع والشهر والسنة والقرن والحقب والدهر ، وترتيب الكائنات بالتقدم والتأخر ليس لها في حضرة علمه تعالى ولا في حضرة ذاته ، وإنما هي موجودة في هاتين الحضرتين بوجود واحد جمعي محيط بها إحاطة واحدة ، ثم في ظهورها عن هاتين الحضرتين تظهر مرتبة بتقدم بعضها على بعض ، وتأخر بعضها عن بعض ، على حسب ما سبقت به الإرادة الأزلية .

فكون شيء أظهر منه أسبق في القرب إلى الله تعالى من جميع[1] ما بعده ، وبعضها أقرب إلى بعض من بعض وأبعد كذلك فلا يجوز أن يكون شيء من الأشياء مع الله على زمان ، فكيف يكون معه على أين ، ولا يجوز أن يكون لأول شيء ظهر من الكائنات زمان فكيف يكون معه على زمان ؟ ولا يجوز أن يكون للزمان زمان فكيف يكون معه على زمان ؟ .

(ولا أين) أي لا مكان ، والمكان هو الأمر الموجود الذي يحيط فيه من رتبة الكائنات بعضها على بعض ، والتصاق بعضها ببعض ، بحيث لا خلاء موجود بين الكل فإن الأرض لاصقة بالماء ، وبعضها لاصق بالهواء كذلك ، والهواء لاصق بالنار ، والنار لاصقة بفلك القمر ، وجميع الأفلاك والأملاك العلوية لاصق بعضها ببعض إلى الكرسي والعرش ، والكرسي لاصق بالعرش ، وسائر الكواكب والمواليد الأرضية لاصق بعضها بالأرض وبعضها بالماء وبعضها بالهواء وبعضها بالنار ، وجميع

---

(١) « ب » في القرب الى الله تعالى جميع .

الكائنات علوية واسفلية متراكمة بعضها على بعض وتراكم اجزاء الشيء الواحد بعضها في بعض(١) ، ثم ان الشيء الاسفل يسمى مكانا للشيء الاعلى منه ، والاشياء المحيطة بالشيء الواحد تسمى حيزا لذلك الشيء الواحد ، وهكذا في كل شيء ، ومجموع الكائنات كلها لا مكان لها ولا حيز لها ، فكيف الله تعالى يكون له مكان او حيز ؟ .

ثم شرع في بيان الشريعة والحقيقة حيث ذكرهما فقال معطوفا بالفاء (فالشريعة) المذكورة فيما سبق والمطلوب منا اتباعها تسمى شريعة ، وسميت بذلك لانها اذا عطشت الامة ترد اليها فترتوي منها (حدود) اي مقادير قدرها الشارع لمصلحة العبد الدنيوية والاخروية وترتبت على اسباب محصورة كالحد بشرب الخمر والزنا والسرقة ونحو ذلك ، او غير محصورة كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها من اشباه ذلك (وجهات) اي اعتبارات ، وهي اما جهات فعل كالفرض والواجب والنفل والصحة ، واما جهات ترك كالحرام والمكروه والبطلان ونحو ذلك (والحقيقة) التي تقدم ذكرها وحقيقة الشيء في الاصل ماهيته التي هو بها ثابت في نفسه لا يتصور علم العبد به ، فان العالم به ما علم منه الا مقدار قوة عقله وحقيقته ، فقد علم استعداده لا حقيقة ذلك الشيء بل علم حقيقة ذلك الشيء له(٢) مقام المراد الذي رأى فيها مقدار استعداده ، وبعضهم من العلم به مقدار صورة حسب الاستعداد الذي فيه غير هذا لا يكون ابدا ، والعلم بحقيقة شيء من الاشياء لا يكون ابدا الا بطريق الاتحاد مع ذلك الشيء في ماهيته لا من حيث ذاته هو بها في نفسه فانه قد يعلمها على حسب استعداده ايضا ، فيكون كعلم غيره بها ، بل يتحد به من حيث ماهيته المثبتة له في الوجود المميزة عن غيرها بعوارضها بل يرجع الى اصلها واصلها ، ثم تنزل عنها من حيث اصلها الذي هو اصله فيتحد به فيعلمها على حسب ما هي عليه علما لا تعلمه هي بنفسها عنها فهذه الحالة هي الحقيقة عند علماء الحقيقة .

(١) « ب » بعضه على بعض .
(٢) « ب » الشيء كله .

ولهذا قال (لا حد) أي للحقيقة ، لأن الحدود قيود تعقل الحقيقة كلها ، والعقد بالقيود ليس علماً بالحقيقة بل العلم بالحقيقة مطلق عن القيود ، والمطلق عن القيود لا حدود له فلا حد للحقيقة (ولا جهة) له أيضاً لأن الجهات اعتبارات الماهيات المختلفة والعلم بالاعتبارات ليس هو علماً بالحقيقة بل علم الحقيقة مطلق عن جميع الاعتبارات فلا جهة للحقيقة .

ثم شرع في ذكر تفضيل الحقيقة على الشريعة فقال (القاسم) أي الموجود السبب (للشريعة) المحمدية المذكورة ، والمراد المدرك مواضع ورود أحكامها منه ومن غيره ، فعمل بها فعلاً وتركاً عن علم وخشوع (فقط) أي دون الحقيقة (متقصص) أي الله تعالى (علماً ومجاهدة) التي هي علمه وعمله ، لأنه مع نفسه حيث هو في رتبة[1] الشرك الخفي ، فمجاهدة نفسه من الله هو علمه وفضل حيث يسلم بها من المهالك فهي مجاهدة نفسه من الشرك الخفي .

قال تعالى : (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين) في مرتبة[2] بنسبة إليه ، ولهذا فضل الله تعالى عنه به (والقاسم) أي الموجود السبب (بالحقيقة) الشرعية[3] المذكورة ، التي مدرك الأمر الإلهي الذي قامت به السموات والأرض وما بينهما على ما هو عليه إدراكاً غيبياً عنه بعلم لدني منه لا منه ، ولم يقل فقط كما قال في الشريعة ، لأن الحقيقة لا يمكن أن تكون بلا شريعة أبداً بخلاف الشريعة[4] ولهذا خرج أي قوله فقط في الشريعة ولم يخرج إليه في الحقيقة (متقصص) الله تعالى (علماً بنفسه) التي هي معرفة أمر الله الذي قام به كل شيء وهو[5] الحقيقة .

---

(١) « ب » مرتبة .
(٢) « ب » مرتبة .
(٣) « ب » بالحقيقة اي الحقيقة الشرعيه .
(٤) « ب » بخلاف الشريعه تكون بلا حقيقه .
(٥) « ب » هي .

والخلق [illegible] الأول يدعى
عالم الأمر وهو واحد ، كما قال تعالى : (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر)
ومعرفته تسمى علم الحقيقة ، والثاني يدعى عالم الخلق وهو كثير كما قال تعالى :
(والله خلقكم وما تعملون) . ومعرفته تسمى علم الشريعة ، والمراد بمعرفته معرفة
حقيقته ، فهو [illegible] وهي معرفة [illegible] لا تعرف بالعقل والحس ، وكلا العالمين
له تعالى كما قال : (ألا له الخلق والأمر) وقال : (ولله ملك السموات
والأرض) وقال : (له ما في السموات وما في الأرض) وقال نبيه صلى الله
عليه وسلم : (ليس لك من الأمر شيء) ، والحقيقة والشريعة عند الله
حق ، [illegible] مختلفة ، لأن الأمر والخلق واحد ، وان
اختلف الأمر [illegible] الخلق ، فالخلق صورة الأمر ، والأمر [illegible] الخلق ، وكل شيء
من الخلق هو صورة أمر واحد ، وقد [illegible] الأمر وكثرت صورته كمثل
[illegible] صورة من صور الخلق [illegible] الأمر [illegible] الأمر [illegible] ، فاذا كان
صورة [illegible] الأمر [illegible] الأمر في نفسه عن تلك
الصورة الأولى [illegible] الصورة الأولى ، وصورة أيضا
عن [illegible] الصورة الأولى التي هي [illegible] ، وهكذا في جميع
صور العالم كله : العالم العلوي والعالم السفلي .

[illegible] الأمر [illegible] ، وهو في حقيقته [illegible] كما قال تعالى
(تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وان من شيء الا
يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) والتسبيح هو [illegible] ،
لكل شيء [illegible] الأمر [illegible] به كل شيء الذي كنى
عنه تعالى بقوله : (انما أمره لشيء اذا اراده ان نقول له كن فيكون)
واما [illegible] كل شيء [illegible] ولكن لا يفقه الناس [illegible] كل
شيء [illegible] شيء [illegible] عن ذلك الشيء [illegible] التشبيه [illegible]

في صورة جميعه ، فلا يقبله من الأشياء كالماس ، ولما عرفه من العصر من فيتعصب بعضهم على بعض (١) ويلعن بعضهم بعضاً ، وهو يرى الكل منهم كدن البشرية لكمال شده ، فلا يلتفت لشيء مما يتعصبون به بعضهم على بعض ، وهو يرى ما يعملون .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) ، والعلم بالحقيقة هو الذي امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يطلب الزيادة منه بقوله : (وقل رب زدني علماً) اي علماً بك ، اذ العلم بغيره راجع في حقيقته الى العلم به ، باعتبار ان كل شيء هو صورة ذلك الامر الواحد كما ذكرنا ، ولا اعتداد بعلم الشيء من حيث ظهوره فقط من غير معرفة كنه ذات ذلك الشيء ، بل هذا العلم بهذه الطريقة القاصرة ليس بعلم أصلاً كما قال تعالى : (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) . مع ان علم الناس هذا العلم القاصر الذي هو علم الاشياء من حيث ظهورها فقط كما قال تعالى : (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) . فنفى الله تعالى ان يكون هذا علماً ، فتعين ان يكون امره نبيه عليه السلام بطلب الزيادة من العلم هو امره بالعلم به تعالى ، وهو علم الحقيقة كما ذكرنا .

واما علم الشريعة فلم يأمر الله تعالى نبيه عليه السلام بطلب الزيادة منه ، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى الصحابة رضي الله عنهم عن كثرة سؤالهم عنه ، ويقول لهم : اتركوني ما تركتكم ، ولما نزلت آية : (ولله على الناس حج البيت) سأل الأقرع بن حابس النبي عليه السلام : أفي كل عام يا رسول الله ؟ ، فلامه بقية الصحابة رضي الله عنهم على سؤاله عند مخافة ان ينزل انه في كل عام مع ان سؤاله في علم الشريعة ، وقد انزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم حين كانت الصحابة رضي الله عنهم يكثرون السؤال عن احكام الشريعة : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم - الآية -) .

---

(١) « ب » بعضهم .

قال البيضاوي رحمه الله تعالى : روى انه لما نزلت الآية : (ولله على الناس حج البيت) قال سراقة بن مالك : أكل عام ؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد ثلاثا ، فقال : لا ... ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء .. الخ .) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال : انا لا اسأل عن شيء إلا أجبت(1) ، فقال رجل : اين انا ؟ فقال في النار ، وقال آخر من أبي ؟ فقال : حذافة : وكان يدعى لغير ابيه(2) فنزلت(3) : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء = الآية =) انتهى .

والحاصل ان مسائل علم الشريعة انما تطلب عند وقوعها حال تحقق السؤال عنها ويجب تعلمها(4) كما قال الفقهاء : « ان من اراد البيع والشراء يجب عليه تعلم كتاب البيوع ، وان من اراد النكاح تعلم كتابه ، ومثل هذا الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج ونحو ذلك ، وما زاد على ذلك مما لا حاجة له اليه في ذلك الوقت لا يجب عليه تعلمه ولا السؤال عنه ولا امر الله تعالى بالسؤال عنه الا في وقت الاحتياج اليه للعمل ، لا لعلمه فقط من غير عمل » .

فالمراد من علم الشريعة معرفة مطلوبه ، بتحقيق المراد من علم الحقيقة ، قال عند الكل المراد عنده معه على الرشاد خوفه منه على وخشيته وهيبته وتعظيمه وقربه اليه

---

(1) « ب » كان يخطب ذات يوم غضبانا من كثرة ما يسألونه عنه مما لا يعنيهم . فلما اكثروا عليه غضب ثم قال للناس : سلوني عما شئتم فلا أسأل عن شيء الا اجبت .

(2) « ب » وقال آخر من ابي ؟ فقال حذافة : فقام آخر فقال من أبي ؟ قال : ابوك سالم مولى شيبة وكان يدعى لغير ابيه .

(3) « ب » فلما راى عمر رضى الله عنه ما في وجهه فقال يا رسول الله انا لنتوب الى الله تعالى عز وجل فنزلت .

(4) « ب » تعليمها .

عنى ، فتركوا عمله وتكثر ثوابه ويزداد مرتبه وترتفع رتبته عند الله تعالى .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان كل عالم من عالم بالله افضل من ألف عابد من جاهل به » ، واما علم الشريعة بنفسه فيزداد منه من غير عمل به ازداد حججاً عليه من الله تعالى وازداد شركاً وبعداً عن الله تعالى وازداد كبراً في نفسه وافتخاراً على الناس [illegible] على [illegible] من عمله القاصر وعلمه الذي لا عمل به ، [illegible] فقد ليس كلامنا مع غير العامل بعلمه بل مع العامل به ، قلت : نحن كلامنا الآن في علم الشريعة مع قطع النظر عن معرفة علم الحقيقة ، فان صاحب علم الشريعة من غير حقيقة غير عامل بعلمه لانه مشرك شركاً خفياً ، ولا شرك في الشريعة[1] مطلقاً ، وهو لا يعرف غير احكام الله تعالى التي حكم بها على كل شيء ، واما معرفة الله تعالى التي تزيل عنه الشرك الخفي ، وتحقق الاشياء على ما هي عليه ، فلا يعرف ذلك الا كما يعرف العامة من اهل الاسواق وغيرهم ولا يعرف نفسه ايضا على ما هي عليه ، اذ لو عرفها لعرف ربه وعرف كل شيء ، وشاهد الله تعالى في كل شيء كما كان يقول بعضهم: « ما رأيت شيئاً الا رأيت الله فيه » ومعلوم ان رؤية الله تعالى عند هذا القائل من غير تشبيه ولا تكييف ، وكيف يقدر هذا الفقيه الذي هو والعامة سواء في معرفة الله تعالى غير انه تميز عن العامة بمعرفة احكام الله تعالى التي حكم بها على كل شيء من غير زيادة معرفة بالحاكم ، ولا يمكن لكل شيء ان يرى الله تعالى في كل شيء مع التنزيه التام الا بطريق الاستدلال كرؤية العميان ، مع ان الله تعالى هو الظاهر على ما هو عليه من غير تغيير ، ومع ذلك هو الباطن فلا يحيطون به علماً ولا يدركونه فهماً ولي من النظم في هذا المعنى :

قد بالغ في الظهور والكتمان ... حتى حارت به اولوا العرفان[2]
والسر على التحقيق كالاعلان[3] ... قد اودعه في هذه الاكوان[4]

(وشتان) اي بعد وعدم تساوي (ما بين المجاهدة) التي هي

(١) « ب » الحقيقة .
(٢) « ب » حتى لقد حارت اولو العرفان .
(٣) « ب » والسر في التحقيق كالاعلان .
(٤) « ب » اودعه في هذه الاكوان .

[illegible] على من قد
بالشريعة فقط كما ذكرنا .

([illegible]) التي هي [illegible] من [illegible]
على من قد [illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible] .

[illegible] ([illegible]
[illegible]) [illegible]
[illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible] فالله [illegible]
عنده واحد من هذه الثلاثة .

[illegible] ([illegible]) ، [illegible]
[illegible] في [illegible] من [illegible]
[illegible] معرفة حقيقة سواء
[illegible] فيها وان
[illegible] وعمله ، والتي [illegible] قديم ،
[illegible] الله تعالى واحدا [illegible]
الشيئين يغاير هذين الشيئين بالذات والصفات .

[illegible] ([illegible]) .
[illegible]
[illegible] الله [illegible]
[illegible] على حيث يبقى رتبة[1]

---

(١) « ب » تبقى مرتبة الاولى .

الاولى ورتبة عمله [illegible] في الاثنين [illegible] الاثنين(٢) .

[illegible] الى وجود [illegible](٣) [illegible] وهو المطلوب .

([illegible]) من الله تعالى [illegible] وهو [illegible] شهود الامر الالهي في الاشياء لا عبد له عند نفسه ولا عمل [illegible] ظهر منه من الصفات والافعال [illegible] لا [illegible] عمل [illegible] الى عمل [illegible] (معبود) [illegible] والموجود [illegible] هو الله [illegible] خالص من [illegible] في نفسه [illegible] على كل حال . وعبد ربه وجاهد نفسه حتى اتاه اليقين ففقد من وجوده وظهر له ان حقيقة العابد منه هي حقيقة المعبود [illegible] الله تعالى عليه [illegible] من ربه الله كما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)، وقد عبد ربه حتى اتاه اليقين [illegible] لله تعالى فهو الشكور .

قال تعالى (وقليل من عبادي الشكور) . والشكور هو الله تعالى [illegible] من [illegible] وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن كثرة عبادته وتهجده ، وقد غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً [illegible] عبداً عابداً لأن [illegible] صلى الله عليه وسلم ، [illegible] الشكر فهو [illegible] الشكور [illegible] وهذه حالته صلى الله عليه وسلم [illegible] يهدي الى صراط مستقيم .

---

(١) « ب » ومرتبة عمله الثابتة مساويين عنده في الدخول تحت مرتبة واحدة .

(٢) « ب » وهي الاثنان ورتبة الله رتبة اولى أخرى ثالثة لهذين الاثنين غير مساوية لهما كمساواتهما في مرتبة الاثنين .

(٣) « ب » بالنظر الى وجود الله تعالى الثالث لهذين الاثنين بالنظر الى وجود الله تعالى عن كشف .

ثم شرع الشيخ قدس الله سره في ذكر المقامات الثلاثة : مقام أهل البداية ، ومقام اهل العناية ومقام أهل النهاية ، فقال : (الأعمالُ) وهي فعل الأوامر القطعية والظنية والكف عن المناهي القطعية والظنية على وجه الاخلاص والخشوع لله تعالى (مُتَعَلِّقَةٌ بِشَرْعِ الشَّرِيف) اي منوطة به وتابعة له ومعلومة منه وموقوفة عليه وراجعة في معرفتها اليه بحيث لا حركة للمكلف ولا سكون في ظاهره وباطنه مما يسمى عملا واعتقاداً الا وله في الشرع الشريف حكم مخصوص لا يعلم الا من الشرع ولا يعرف الا منه ، ولهذا كانت معرفة الشرع اول المقامات في السير الى الله تعالى ما لم يندرج العبد في المقام الثاني اذا كان من اهل الحجاب الصحيح اعتناء من الله تعالى به ، والواقف في هذا المقام الأول منقطع عن الله تعالى بعدم ترقيه الى ما بعده .

(والتوكل) على الله تعالى ظاهرا وباطنا بترك الاهتمام والاعتماد على غير الله من جميع الاسباب الشرعية ، كالطاعات للثواب والمخالفات للعقاب ، أو العادية كالأكل للشبع وشرب الماء للري ولبس الثوب لستر العورة أو دفع ألم البرد أو الحر ونحو ذلك ، أو العقلية كاستعمال الحواس لادراك الجزئيات او الفكر لادراك الكليات وما اشبه ذلك .

فان اعتماد المكلف بقلبه على شيء من هذه الاسباب والركون اليه وطمأنينة قلبه به يمنعه من التوكل على الله تعالى لا الاشتغال بهذه الاسباب كلها مع عدم الاعتماد عليها بالقلب وعدم طمأنينة القلب بها فان ذلك لا يمنع من التوكل عليه تعالى ، وهذا هو المطلوب من المكلف في معاطاة الاسباب دون الاول .

(متعلق بالايمان) بالله تعالى انه خالق الوجود كله ، كما قال : (وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) ، وان لا تأثير لسواه تعالى مطلقاً في أثر ما يعني ان التوكل منوط بذلك وتابع له ومأخوذ منه وموقوف حصوله عليه ومستند في وجوده اليه بحيث لايمكن المكلف ان يتوكل عليه تعالى الا بعد إيمانه وتصديقه أنه تعالى هو المنفرد وحده بايجاد جميع الكائنات وتحريكها وتسكينها في خير أو شر ونفع أو ضر ، ولا تأثير

سبب من الأسباب مطلقاً ، وإذا لم يكن عند المكلف استحضار جميع ذلك فإن التوكل على الله تعالى بعيد عنه غير ممكن حصوله له لإعراضه عن الله بالمؤنس إليه وعلى الله قصد السبيل ، والواقف في هذا المقام منقطع عن الله حتى أيضاً عدم ترقيه إلى ما بعده مما هو المقصود .

ومنها أي المقامات الثمانية : (والتوحيد) أي إفراد الله تعالى بوحدانيته في الوجود ، فلا وجود لشيء من الأشياء مطلقاً إلا بوجوده تعالى بحيث أن وجوده تعالى هو ذلك الوجود الذي وجد به ذلك الشيء ، ولا وجود لذلك الشيء من نفسه وجوداً(1) آخر غير وجوده تعالى ، أما ذات الشيء في ذاته وشخصه فليس وجود الله تعالى لأنه هالك باطل ، ووجوده تعالى حق ، قال تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) ، أي إلا ذاته ، وذاته هي وجوده القديم الذي قام به كل شيء وبهذا لم يختلف وجود كل شيء لأنه واحد واختلفت الأشياء وتعددت وكثرت وتميز بعضها عن بعض من حيث ماهياتها وصورها ومقاديرها وأرواحها وتوهماتها ، لأنها غيره تعالى وتقدس عنها علواً كبيراً ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد :

« ألا كل شيء ما خلا الله باطل » ، والباطل في مقابلة الحق ، وقال تعالى : (خلق السموات والأرض بالحق) ، أي أوجدها به تعالى ، فهو وجودها الذي هي موجودة به بحيث لو زال زالت ولم يبق لها وجود آخر غيره تعالى توجد به ، فجميع الأشياء معدومة هالكة باطلة لا وجدت ولا توجد ولا هي موجودة ولا شمت رائحة الوجود مطلقاً ، لأن الوجود قديم حق وتعالى وتقدس القديم الحق أن يحل في هذه الأشياء أو يتحد بها ، وإنما أظهر تجليه عليها التجلي القديم الأزلي ، فلما رأت تجليه عليها توهمت أنها موجودة معه بوجود آخر غير وجوده وهي موجودة به لا معه ، فوجودها به والماهيات والمقادير والكيفيات والصور بها لا له ، فهي على ما هي عليه من العدم ، وهو على ما هو عليه من الوجود ، ورؤيتها موجودة إنما هو مجرد وهم منها وغفلة وعدم معرفة بما هو عليه الأمر في نفسه ، وهذه الرؤية الوهمية هي الشرك الخفي

---

(١) « ب » بوجود .

الذي يبقى التوحيد الصحيح ، وقد استولت على غالب الناس وأكثر المسلمين ، قال تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) .

(متعلق بالكشف الصحيح) الرافع لهذه الرؤية الوهمية المذكورة ، يعني منوط به وتابع له وموقوف عليه ومأخوذ منه ومستند إليه ، والكشف هو رفع الحجاب عن عين القلب ورؤية الأشياء على ما هي عليه ، فقد يتعلق بالأخبار عن الأشياء المستقبلة والماضية البعيدة عن الحضور أو الحاضرة التي لا تعلم في العادة ، فيكون كشفاً كونياً معه حجب عن الحق لتعلقه بغيره تعالى ، والالتفات إلى هذا النوع من الكشف نقصان في كمال أهل الله تعالى ما لم يوجد منهم بلا قصد إليه ، والكشف المطلوب شهود الله تعالى في كل شيء على التنزيه التام وعدم الغفلة عنه في جميع الأحوال ، ثم الكشف به تعالى عن كل شيء وشهود كل شيء قائماً بالله تعالى ، موجوداً بوجود الله تعالى متحركاً ساكناً به تعالى .

والكشف أنواع شتى لا تحصى ، فإن لكل إنسان ذوقاً[1] خاصاً وكشفاً مستقلاً على حسب استعداده وقبوله لتجلي الحق تعالى عليه .

ثم شرع الشيخ رضي الله عنه في ذكر أحوال المحجوبين وبيان ما هم عليه من الانحراف عن الحق المبين فقال : (الناس) أي الموجودون عند نفوسهم من الخلق المكلفين ، مشتق من ناس إذا تحرك وال[illegible] الخلق[2] ، وهو اصطلاح القرآن العظيم في قوله تعالى : (يا أيها الناس) في كل موضع ، أي يا أيها المكلفون المتحركون بأنفسهم ـ في زعمهم ـ لا بربهم فيكون دخول العارفين القائمين بربهم معهم في مسمى الناس من باب التغليب للأكثر على الأقل في الآية دون عبارة الشيخ قدس الله سره ، ولهذا قالوا إن كل آية فيها يا أيها الناس فهي خطاب لأهل مكة ، لأن فيهم الكافرين والمؤمنين ، والكافرون أكثر ، وكل آية فيها يا أيها الذين آمنوا فهي خطاب لأهل المدينة ، والمقصود بها المؤمنون خاصة ، وهو اصطلاح قوم في الآيات المكية والمدنية .

---

(١) « ب » فإن لكل ذوقاً خاصاً .
(٢) « ب » إذا تحرك ويقال للخلق .

(الغافلون) أي الواقعون في الغفلة والجهالة بغير تبصر (عن حقيقة)
سبحانه وتعالى القائم الذي خلق السموات والأرض ... فهو في مقابلة الغافل عنه هو
غافل من ... (لا يعقلون) ... أي عقل الأشياء على وجهها ... أي
لا يفقهون ، وهو ... من الروح ... بعقل ... ، وعقلوا
بعقلهم ... في معرفة ... فضلوا وضلوا ، وفي معرفة الأنبياء عليهم السلام
والأمور الأخرى ... المعجزات ، فقالوا ساحر ... وأمثال ذلك ، وفي معرفة
الشريعة ... اعتقادا وعلما وعملا ، فابتدعوا وخالفوا ... وهم لا يشعرون ،
بحيث ... حقيقة معنى ذلك على الوجه ... تعالى ... عن المعنى
المراد ... وأراد به خيرا فقهه في الدين وألهمه رشده ، كما جاء في
الحديث الشريف : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ... وألهمه رشده فجحدوا
ذلك ولم يتفهموا ... من ذلك ، ولا ... من حقيقة المعقول ، لأن الله تعالى
لا يرد بهم خيرا كما هو مفهوم ... من هذا الحديث المذكور .

وقال تعالى : (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهروا قلوبهم _ الآية _)
تراهم يعطون أنفسهم ويقولون : ... شيء لا يعقل ... ودين الله تعالى به ... ،
وهذا كلام ... مع أنهم يعتقدون أن دين الله ... بأمر عقلي وإنما هو من الوحي
الخارج عن أطوار العقول ، وما ... فقهه الله في الدين وألهمه رشده
الأمثل القويم الذين ... في ... عليه السلام أنه مجنون وقالوا به جنة[1] ، وقال
فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ، وسبب ذلك في حق النبي عليه السلام
أنه جاء من الله تعالى بما لا ... العقول ولا ... على إدراكه إلا بتعليم الله تعالى وتفهيمه .

وهكذا ... من أول ... إلى آخرها فليس في قوة العقل إدراك ذلك
بنفسه إلا بتعليم الله تعالى ... وتفهيمه ... ، ... مخلوق في الإنسان ... يعرض
الله عليه من أمر الدين والشريعة فيصدق بجميع ذلك ... ، فإذا عرض الله عليه

(١) « ب » وقالوا أو به جنة .

المعنى الإلهي الصحيح بطريق الفيض والإلهام(1) قبل ذلك فكان له فقهاً في الدين وإلهاماً رشده ، وأما أنه يخوض بفكره مع الخائضين فلا يتبع به إلا ما يهدي مع الهالكين .

(و) الناس (يتيهون) أي يضلون (عن الأجر) أي عن منازل القربة ومراتبها السنية (بالهوى) أي بميل نفوسهم وعشقهم لما سوى الله تعالى من نعيم جنة أو حور من حور أو محبة صنعة أو أحباب معينة أو شغف بالوصول منه تعالى وتحصيل القرب لديه فإن ذلك كله هوى نفساني وميل إلى غير الله تعالى ، وهو حجاب وطرد وبعد عن الله تعالى ، ومن صحب هذا الحجاب إن سلبه الله الإيمان بالله تعالى على العمى والغفلة كان أدنى أهل محبته كلهم ، وإن سلب عنه فقد أدبه مع الله تعالى محبته ما سواه – في زعمه – جعله في أسفل رتبة الأدب ، وهو هوى – في زعمه – لأن المحبة لا تكون إلا لله تعالى ، وأما النفساني لا يكون إلا له تعالى ، سواء جهل ذلك المحب أو عرفه ، فمحبته الغير واصلة إلى الغير إنما هو من الغير ، ولا غير إلا في الزعم للجهل بحقيقة الأمر ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « حبك الشيء يعمي ويصم » ، وأصدق : « الحب إليك لزعمك المغايرة بنفسك » .

ثم ذكر الشيء مع أنه هالك إلا وجه الحق تعالى إليه فالعمى والصمم إنما هما عن وجه(2) الحق تعالى إلى ذلك الشيء ، فلولا العمى والصمم عن وجه الحق تعالى إلى نفس المحب ما كان العمى والصمم عن(3) وجه الحق تعالى إلى ذلك الشيء المحبوب ، فلو زال العمى والصمم عن وجه الحق تعالى إلى نفس المحب لكانت(4) تلك المحبة بعينها هي محبة الله تعالى نفسه ، فظهرت ظهوراً خاصاً في حضرة إلهية خاصة(5) ، وآخر كلمة سمعتها من فم شيخ من مشايخي في طريق الله تعالى أن قال لي : المحبة نسبة إلا لله تعالى أو

(1) « ب » بطريق الفيض ، أي الفتح على قلب السالك بالصدق في طريق الله تعالى ، والإلهام .
(2) « ب » إلا وجه الحق تعالى إليه فالعمى والصم عن وجه .
(3) « ب » الحق تعالى إلى نفس المحب ما كان العمى والصم عن .
(4) « ب » وجه الشيء إلى نفس المحب وإلا لكانت .
(5) « ب » في الحضرة الإلهية .

كلام[1] هذا معناه [illegible] رحمه الله على من معان كثيرة ، منها ما ذكرناه في هذا الموضع والله ولي التوفيق » .

[illegible] (فمتى طلبت) [illegible] انها امريد كما طلب [illegible] ([illegible]) [illegible] معرفته سرعة ([illegible]) [illegible] في معرفة [illegible] معتمدا على قوة إدراكه مستمدا منه معرضا عن الاستمداد من الله تعالى وحده (فقد ضللت) عن الصراط المستقيم ووقعت في اربع عن سواء الصراط[2] القويم حتى تطلب ذلك بربك لا بعقلك من ربك لا من عقلك ، ويمن الله تعالى عليك بفضله [illegible] ويتولى تعليمك بنفسه [illegible] حضرة قدسه [illegible] من عقال عقلك ويخرجك من ظلمة جهلك ، (ومتى طلبت الآخرة) [illegible] تكون فيها مرتقيا الى الدرجات العاليات [illegible] (بالهوى) أي بما تميل اليه نفسك من الطاعات فضلا عن [illegible] (فقد ضللت) عما طلبت ورغبت[3] عنه [illegible] ، لأن ذلك لا يكون بهوى النفس قطعا هيهات ... هيهات ... ، وانما ذلك بتخليص [illegible] في جميع الاحوال الظاهرة والباطنة وعزل النفس عن توليه ذلك بالكلية ، بحيث لا [illegible] ولا تحس بهمة بنفسك [illegible] ، وتعتقد ان [illegible] أقبح عندك من معصية [illegible] ، لأن المعصية [illegible] والله عليم بالمتقين .

[illegible] ربك في [illegible] كلها ظاهرا وباطنا فقد حصلت على أعلى الدرجات في الآخرة وكنت مع : (الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

واعلم ان كل من [illegible] ربه متمثلا امره [illegible] مجتنب نهيه [illegible] فهو عابده بهوى

(١) « أ » كلام .
(٢) « ب » الطريق .
(٣) « ب » وذهلت .

نفسه بل عابد هواه[1] نفسه ، فهو عبد هواه لا عبد مولاه ، كما دخل جماعة من الفقهاء ينكرون على الغوث رضي الله عنه ببغداد ، فقال لهم : مرحبا عبيد عبدي ، فاشتد إنكارهم عليه وعظم عند نفوسهم أنهم عبيد الله تعالى ، فأجابهم بعض الفقراء : إنكم عبيد الهوى لامتثالكم أمر نفوسكم فتحكم بكم لا بربكم والهوى عبده لامتثاله أمر ربه لا أمر نفسه ، فقيامه بربه لا بنفسه فهو مشتغل به تعالى لا حركة له ولا سكون ظاهرا وباطنا إلا بربه لا بنفسه ، وأنتم منازعون لله تعالى تتحركون بنفوسكم وتسكنون بها في بواطنكم وظواهركم ، غافلون عن شهود الله تعالى فأنتم عبيد الهوى دونه . قال الله تعالى : (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) فعبدة الهوى يعلمون أنهم عبيد الله تعالى يقلبهم كيف شاء بقدرته وإرادته ، ولكن الله ختم على سمعهم فلم يسمعوا من الحق تعالى ما يسمعونه وختم على قلوبهم فلم يشهدوا من الحق سبحانه ما يشهدونه وجعل على بصرهم غشاوة فلم يروا الحق تعالى فيما يرونه مع وجود علمهم به تعالى فيهم ، فهم[2] يسمعون من غيره ويشهدون غيره ويرون غيره ويعلمون أنه خالق كل شيء ، فقد أضلهم الله تعالى على علم : (فمن يهديهم من بعد الله والله بصير بالعباد) ، وقد قال تعالى لداود عليه السلام : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) أي احكم بذلك الحق لا بنفسك ، فإن الحاكم هو الحق تعالى ولكن نفسك مظهر حكمه ولا تتبع الهوى أي هوى نفسك في أحكامك فلا تحكم بها أي بقوتها فيضلك عن سبيل الله أي عن طريقه المستقيم ، وكذلك أهل الله تعالى إلى يوم القيامة لا يحكمون على شيء مطلقا بنفوسهم بل بربهم ، فهم يحكمون بالحق سواء كان حكما شرعيا أو عقليا أو عاديا ، فما اتبعوا الهوى وما ضلوا عن سبيل الله بل اهتدوا إليه سبحانه وما سواهم ضالون .

قال تعالى : (وما ربك بغافل عما تعملون) يعني وإن كانوا غافلين عما

---

(١) « ب » هو .

(٢) « ب » علمهم به تعالى فهم .

المعقول ([illegible]) في [illegible] موصوف
بصفات الله [illegible] وأفعال قديمة أبدية مع الاعتراف
[illegible] من غير سؤال عن
شيء من ذلك ولا تشبيه بشيء منه ولا تمثيل ولا تردد
فيه وهو مذهب السلف الصالحين من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين قبل
ظهور المبتدعة في الدين [illegible] لا يزالون عنه زائغين(١)
ولو صبروا حتى خرج إليهم الحق من جانب الله تعالى لا من جهة عقولهم لكان
خيراً لهم كما صبر السلف رضي الله عنهم وآمنوا بالغيب، معترفين بكمال العجز عنه
حتى [illegible] الشريف .

(مستنير) بحسه وعقله في المحسوسات والمعقولات قائماً (بنور) أي
بوجود (الله) عز وجل الذي نوّر به جميع الكائنات أي أوجدها من كتم العدم،
قال تعالى: (الله نور السموات والأرض) أي منورها بنوره القديم الذي لا
يشبه جميع الأنوار [illegible] ولا يتلون(٢) بلون ولا ينفصل عما
أشرق عليه ولا ينفصل عنه بل هو الوجود الذي ظهرت به المعدومات فظهر موجودة من
غير اتصال به ولا انفصال عنه، قال تعالى: (صبغة الله ومن أحسن من الله
صبغة ونحن له عابدون). فإذا تحقق المؤمن المستنير بهذا النور وجد النور على
ما هو عليه من عدم الاتصال والانفصال ووجد المعدومات كلها على ما هي عليه من العدم
الأصلي وخرج من ظلمتها، فترقى من مقام الإيمان إلى مقام معرفة الله كما قال
الشيخ رضي الله عنه (وعارف) بالله تعالى صاحب الكشف والشهود الذي صار
كله نوراً لله ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه:
اللهم اجعل لي نوراً في قلبي ونوراً في قبري ونوراً من بين يدي ونوراً من خلفي
ونوراً عن يميني ونوراً عن شمالي ونوراً من فوقي ونوراً من تحتي ونوراً في سمعي

(١) « ب » لا يزالون عنه زائغين .
(٢) « ب » متلون .

ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في (1) دمي ونورا في عظامي ، اللهم أعظم لي نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا واجعلني نورا » ومعنى ذلك أن يجعلني أذنا بك وأسمع بك وأبصر بك وأحس بك من جميع جهاتي وأستمر بك في سائر أحوالي وأطواري وتحولاتي في ذاتي وعظمي واجنح (2) بك وأنس بي ، لأن النور هو الله لا نور سواه وجميع الأنوار الحادثة لا أثر لها في شيء مطلقا فليس عن ذلك بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن كان هذا مقام العارف بالله تعالى أن يصير كله نورا ومن لا أن يجد الوجود كله نورا هو عين نور الذي هو ... قال عنه إنه (فيتحقق) في ذاته ومظهره (بالحق) أي الحق تعالى لا بحسه ولا بعقله ولا بنوره على ... (بالسبيل) أي الى الحق تعالى لا إلى سواه ، إذ لا ... تعالى في ... ، وقد أشار الشيخ أبو مدين رضي الله عنه إلى هذا المقام ... في أبيات له :

عرفنا به كل الوجود ... بها كل المعاني ...

فقوله عرفنا به كل الوجود ، معناه ... من نظر بنور الله ، وقوله : إلى أن بها كل المعاني ... هذا مقام العارف الذي ينظر به إلى الله ، ومن مقام العارف قول من قال : ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله وبعده ، فمن رأى الله تعالى قبل كل شيء احتجب به تعالى عن رؤية كل شيء وهو مقام العارف ، ومن رأى الله تعالى بعد كل شيء احتجب بالله تعالى عن رؤية كل شيء وهو مقام العارف أيضا لكن الأول أعلى لأنه ... عنه الله ... والثاني ... قرآن والثاني فرقان ، قال الله تعالى (إنا أنزلناه قرآنا عربيا) وقال تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب) والقرآن واحد والكلم جمع كلمة ، والواحد هو الفرد الجامع ... فالقرآن كثير بالفرقان ، والذي من رأى الله في كل شيء فهو عارف الجمع بالحق والخلق ، فليس محجوبا عن الحق بالخلق ولا عن الخلق بالحق ، فيعرف بهذا الحق حق

(1) « ب » ونوراً دمي .
(2) « ب » واجنح .

بماذا الخلق خلق وبماذا الحق حق وبماذا الخلق حق(١) وبماذا الحق ليس بخلق وبماذا الخلق ليس بحق وبماذا الحق والخلق موجودان كما علمته وبماذا الحق والخلق موجودان لا كما علمته وبماذا الحق والخلق معدومان كما علمته وبماذا الحق والخلق معدومان لا كما علمته أي غير ذلك من العلوم التي اختص بها هذا العارف دون غيره من قبله . فهذا العارف الذي صرح به تعالى آنفا على ثلاثة أقسام والله ولي الهداية والالهام .

ثم خاطب رضي الله عنه المؤمن المذكور منبها إلى مقام العارف الذي هو أعلى منه فقال : (ما ذهبت) أي مدة دوامك (الست) أيها المؤمن الواقف خلف حجاب نفسك حيث أراك الله آيته(٢) في الآفاق لا في نفسك ، وبهذا لم يتبين لك بعد أنه الحق فأنت في مقام الإيمان بعد خرجت من الإيمان التبعي إلى الإيمان الشيئي ، وخرجت من الوسوس الفكري إلى مرتبة علم اليقين (معك) أي مع نفسك لم يرك الله تعالى آياته فيها حتى علم أنه الحق بخروجك عنها (أمر بك) أي وجدت أمرا متوجها عليك بطاعتك واجتناب المنهيات لأنك متكلف(٣) بإبراز نفسك عن نفسه محلولات الداخلة تحت تصرفك فالمقت بسبب ما تكلفت أنت به فوقعت في الكلفة التي اتسعت ووقعت في الدنيا فيما بعد في الأمر والنهي من عرض نفسك وشرعك نفسك ، وفي الآخرة بحساب ونصب الميزان ووضع الصراط وعرض كتاب الأعمال الذي كتبته عليك الحفظة بك وأنت لا تشعر ، كل ذلك بسبب قيامك بنفسك ـ في زعمك ـ (فقد) كشف الله تعالى لك وأراك آياته في نفسك أيضا كما أراكها في الآفاق فعلمت أنه الحق (فنيت) أي انعدمت واضمحلت بالكلية (عنك) أي عن نفسك وجملتك (وثبتت) أي صرت متولين(٤) عليك مصرفين عملك ظاهرا وباطنا .

---

(١) « ب » وبماذا الخلق حلق وبماذا الخلق حق .
(٢) « ب » آيه .
(٣) « ب » مكلف .
(٤) « ب » متولين .

قال الله تعالى : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) وقال تعالى : (وهو يتولى الصالحين) وإذا تولاك الله تعالى كنت وليا له تعالى ، فعيلا بمعنى مفعول ، فتجد مراده تعالى منك متوجها عليك وأنت هو كشف عن طاعتك ومعصيتك المقدرة عليك الواقعة منك لا محالة ، ولم تكن متكلفا بإقرار نفسك عن نفسه ، فهو الذي يتولى تصريف ربك فلا تكليف عليك أي لا كلفة ولا مشقة عليك في الله عبادات ربك في امتثال الأوامر واجتناب المناهي[1] من غير منازعة نفسك في شيء من ذلك ، وفي الآخرة أنت ممن يدخل الجنة بغير حساب ولا توزن عملك وتمر على الصراط ولا تشعر به ولا تعطى لك كتب ولا يحزنك الفزع الأكبر .

قال تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

(ومن تولاهم) أي الله تعالى وتولاهم أي الصالحين من قوله تعالى : (وهو يتولى الصالحين) (لم يكلهم إلى أنفسهم) عن نفوسهم بحيث لم يبق لهم حركة ولا سكون ولا[2] وجود إلا به تعالى ، وهو تحققهم بحقيقة قوله تعالى : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) ومن عاداهم تولت عليهم نفوسهم المعادية لله تعالى كما ورد في الخبر : « عاد نفسك فإنها انتصبت لمعاداتي فإن جاهدوها كانوا محسنين وإن أطاعوها كانوا من الهالكين » .

ثم قال رضي الله عنه مخاطبا آخر فقال : (فإذا كنت) أيها المؤمن بنعت المحجوب بنفسه عنه (بك) أي موجودا مع نفسك مع الله تعالى وقد من الله تعالى عليك ووفقك لإرادته (فأنت مريد) له تعالى حينئذ ، والمريد تعبه بحسب مراده ، فمريد الله تعالى العظيم تعبه عظيم .

واعلم أن كل شيء من الإنسان وغيره مراد منه تعالى فعل عليه في عين إرادته به سواه – في زعمه – إذ لا سواه تعالى إذ : (كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) ولله در القائل :

---

(١) « ب » النواهي .
(٢) « ب » بحيث لم يبقى لهم حركه ولا سكون ولا .

كنار موسى رآها عين حاجته وهي الإله ولكن ليس يدريه

فمن ماتت نفسه شهد وجه الله تعالى في كل شيء وشهد كل شيء هالكاً فيتأتى تحقق أنه مريد لله تعالى على كل حال في نطقه وعقله ، ومن بقيت نفسه معه شهد كل شيء ولا يشهد وجه الله تعالى أبداً فلا يقدر يتحقق بأنه مريد لله تعالى أبداً ، بل لو حصل وجه إرادته غير الله تعالى في عين إرادته لله تعالى عنده والله بصير بالعباد ، وقد خطر لي من النظم في هذا الوقت قولي :

وما الكسب سوى علم ترى به ما أنت فيه فأنت الكامل الناقص
فلا ترى غيره بالحس تشهده من حيث الآن يا ذا الساكن الراقص
عسى تحل عقال العقل عقدة عسى شعور شعور برسل العاقص(1)

(قد أفقدك) الحق تعالى ، وفيه إشارة الى أن الفناء والبقاء ليس داخلين تحت مقتضى إرادتك واختيارك بل هما حالتان يقيم الله تعالى في احدهما من اراد من عباده ، قال تعالى : (ما يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ من رَحْمَةٍ فلا مُمْسِكَ لها وما يُمْسِكْ فلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) .

(عنك) أي عن نفسك ووجودك بأن أراك آياته في الآفاق ، والآيات عين الآفاق فخرجت عن الآفاق الى آياته ثم أراك آياته في نفسك ، والآيات عين نفسك فخرجت عن نفسك الى آياته فعلمت انه الحق ، قال تعالى : (بَلْ هو آيات(2) بَيِّنَاتٌ في صُدُورِ الذين أوتوا العِلْمَ) وهذه هي آيات(3) القرآن العظيم الذي نزل به جبريل الأمين على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يزل يتنزل الى يوم القيامة بملك الإلهام الذي هو من أعوان جبريل عليه السلام على قلوب العلماء الذين هم ورثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا نزل عليهم لم يكن غيرهم ، والى هذا المعنى أشار قدوة المحققين الشيخ محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه بقوله :

---

(1) « ب » عسى شعور شعود برسل العاقص .
(2) « ب » آت .
(3) « ب » وهذه من آيات .

... الغرام واستعاد نفسي   ... روح لا يزول أواني
وفؤادي عند ... عهد   ... وعندك ...

إلى آخر الأبيات ...

(فكن مراداً) للحق تعالى حينئذ، فإنه ما أقامك إلا لأنه أرادك كما أنه من أقيم مع نفسه ما تقدم إلا لأنه ما أراده، فإن الله تعالى ما أراد أحداً إلا وأخذه من نفسه إلى عنده، وإذا أخذه إلى عنده(١) وأبعده عن نفسه فلا يبقى عند نفسه بل عند ربه، قال تعالى: (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) فمفهومه أن الذين عند نفوسهم مستكبرون عن عبادته، واستكبارهم هو دعوى نفوسهم معه تعالى، فإذا أرادك الحق تعالى فقد سلبك الدعوى الربانية واختصك بالحضرة الإلهية، فإن علامة ... حديثه من حديث الحق بواسطة ... ، وفي خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام ... إلى ... (واصطنعتك لنفسي) (ولتصنع على عيني) ولله در القائل:

وإذا السعادة لاحظتك عيونها(٢)   نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبالة   واقتد بها الجوزاء فهي عنان

ولنا من النظم في هذا المعنى:

رب شخص تقوده الأقدار   للمعالي وما لذاك اختيار(٣)
غافل والسعادة احتضنته   وهو منها مستوحش نفّار
يعصي المسيء عمداً فتغدو   جميلاً وقلبه ديّار
كلما فارق الذنوب أتته   توبة طهرته واستغفار
وعليه إن زل عين من الله   تقيه ويستر الستار
فهو ... دائماً ... في   ... حب تشرق الأنوار

(١) « ب » أخذه عنده .
(٢) « أ » وإذا السعادة لاحظتك عيونها .
(٣) « ب » للمعالي وما لذاك اختيار .

وفي [illegible] حتى ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] شط المزار
[illegible] ... [illegible] فهي [illegible]
حكم [illegible] ... وحقيق [illegible] مختار
[illegible] ... أنه الله فاعل مختار

[illegible] رضي الله تعالى عنه [illegible] : ([illegible]) بوجود الحق تعالى ([illegible]) في كل حال من الأحوال بعناية الله تعالى انما هو (في [illegible]) ايها المؤمن بالغيب ، المحجوب بنفسه (عَنْكَ) اي عن وجودك بنفسك ([illegible]) في [illegible] ([illegible]) أي بالحق سبحانه وتعالى ، فتبقى [illegible] عن وجودك الذي [illegible] وجودك الذي به عز وجل ، وفي الحقيقة لا وجود [illegible] بك ، [illegible] فاذا زال عنك توهمك أن وجودك بك [illegible] وجودك [illegible] به تعالى من قبل[1] ولكن انت غائب عنه ، وبهذا انت مؤمن [illegible] للشهادة ، فاذا رجع به تعالى صرت مؤمناً بالغيب والشهادة ، وكما ان [illegible] الغيب والشهادة [illegible] عالم الغيب والشهادة ، فيجب عليك ان [illegible] وهي شهادة الحق تعالى في كل شيء[2] قال تعالى : (ولا تكتُمُوا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبُهُ ولا تكن على الغيْبِ بِضَنِينٍ) أي بخيل ، قال الله تعالى [illegible] : (وما هُوَ على الغَيْبِ بِضَنِينٍ) فأنت حينئذ [illegible] علمت والله [illegible] (فكَمْ بَيْنَ مَا) أي الذي، [illegible] قال المتنبي :

[illegible] ... [illegible] من سقم على بدن
في كل [illegible] ... تخطى إذا جئت [illegible] بمن
[illegible] اذا استفهمت [illegible] : من هم فقد اخطأ لأن من لمن يعقل وهم

---

(١) « ب » أن وجودك به تعالى من قبل .
(٢) « ب » وهي شهادة الحق تعالى اي شهوده تعالى في كل شيء .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وكذلك جميع ما ورد من ذلك مؤول [illegible]

[illegible]

اي العارف الذي (يكون) أي يوجد ويتكون ([illegible]) أي بالحق سبحانه [illegible]

[illegible] ([illegible] التائبون) .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والمحجوب مراده بقوله : يكون بأمره .

[illegible]

(١) « ب » المتقدمون .
(٢) « ب » الالهية .
(٣) « ب » وهو عينهم كما قلت .
(٤) « ب » وكلهم هو فاسمع وهو عينهم .
(٥) « ب » الأمر .

لا لله تعالى ، تتعرض عبد وهي حدث بين وبين ربك ، فاسب ا تخضع الك الأسباب التي هي حجب بينك وبين المسببات ؛ و يعني بذلك الأمر الالهي الذي هو واسطة بينك وبين ربك فتخضع لك الأسباب التي هي وسائط بينك وبين المسببات ، فكان ذلك جزاء وفاقاً (وإن كنت قائماً به) أي بالحق عز وجل عن كشف وشهود (تضعضعت) أي تحركت واضطربت عصاة عن خضوعها وانقيادها كلها[1] (لك) أي لأمرك الذي هو أمر الله تعالى حيث أنت قائم به تعالى (الأكوان) اي الموجودات جميعاً •

واعلم ان الكائنات بأسرها ما وجد منها وما لم يوجد بعد مستندة الى الحق تعالى وهي مترتبة في الوجود ، فالسابق منها يسمى سبباً لما هو بعده مترتب عليه[2] ، فمن قام بأمر الحق تعالى عن غفلة وحجاب قام بنفسه عند نفسه فسمي السابق سبباً والمسبوق مسبباً فتخضع له الأسباب باعتبار أمر الحق تعالى الذي هو قائم به وخضوعها لأمره تعالى لا لنفس ذلك العبد ، ولكن لما كانت نفس ذلك العبد قائمة بأمره تعالى التبس عليه الخضوع فظنه لنفسه فخوطب من حيث ما ظن فقيل : خضعت له الأسباب ، كما ان بعض الناس لما اشتغلوا بالتكاثر والتهوا به عن شهود الحق تعالى ، وظنوا ان التكاثر مؤثر مستقل بالوجود مع الله تعالى خاطبهم الله تعالى من حيث ما هم فيه من الظن فقال : (ألهاكم التكاثر) والقياس ان يقال ألهاكم التكاثر ، والله تعالى يقول : « انا عند حسن ظن عبدي بي » ، يعني ان ظن بي اي منفرد بالتأثير وجدني كذلك وأن ظن بي أن معي[3] مؤثراً غيري أريته الأمر كذلك إضلالاً له ثم حاسبته على حسب ما أريته •

ثم قال : « فليظن بي خيراً » ، أي فليظن الانفراد بالايجاد ونحو ذلك من الخير ، فان الحق تعالى ما تجلى لشيء إلا بما استعد له ذلك الشيء كما سئل الجنيد رضي الله عنه عن المعرفة والعارف فقال : « لون الماء لون[4] إنائه » يشير الى ما ذكرنا ،

---

(١) « ب » وانقيادها •
(٢) « ب » لما هو بعده •
(٣) « ب » وإن ظن أن معي •
(٤) « ب » لون الماء لون •

ومن قام بأمر الحق عن الشيخ وسهول فيه بحجة هو ... ولا سيما فتخصيص به جميع الأكوان الكائنة من الله تعالى وتخصيصهم به هو الحق تعالى الذي قام به هذا العبد لا ... هذا العبد ... من الله تعالى : (هو الذي سخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) . والتسخير إنما هو لله تعالى لا لغيره ونسبته للعبد كما أن السجود من الملائكة عليهم السلام لله تعالى ونسبته لآدم عليه السلام في قوله : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) ، وهذا هو التسخير بعينه ، والملائكة هي ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ، وأن حقيقة آدم عليه السلام ترجع حقيقة الإنسان الكامل ، والممتنع عن السجود له إبليس والشياطين عليهم اللعنة ، وسبب امتناعهم عن السجود أنهم ليسوا منه تعالى كالملائكة لعصيانهم عنه تعالى لسبق عليه عالم الخلق فيهم على عالم الأمر ، والملائكة الغالب فيهم عالم الأمر على عالم الخلق ، ولهذا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال تعالى عنهم : (وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) .

ثم شرع الشيخ رضي الله عنه في بيان المقامات السلوكية على ترتيبها بحسب الوجدان في طريق الله تعالى فقال : (وأَوَّلُ المَقَامَاتِ) جمع مقام وتقدم الكلام عليه ، وهي أول ما يجده السالك إلى الله تعالى بعد مفارقته صور العقل الظاهر يجده في قلبه (الصبرُ) ، وهو تحمل النفس جميع الشدائد والمصائب دون الشكوى إلى أحد وتجرع مرارات الأمور مع تكلف الطاعات ظاهراً وباطناً وإخلاء الصدر من الضجر ومن الشعور بكون النفس متحملة لذلك ومتجرعة له(٢) وهذا المقام لا يتم عنده إلا لأهل الجذبة الإلهية بحيث لا يشعر العبد معها بنفسه أنها في ضيق أو رخاء ، وذلك لا يحصل إلا بتوفيق الله تعالى من غير اعتمال ولا تكلف (علَى) جميع (مُرادَاتِهِ) أي مرادات الحق تعالى لأنه الفاعل المختار والحاكم الذي لا معقب لحكمه وهو الواحد القهار ولا يكون ولا يوجد إلا مراداته ، واختياره من الخير والشر والنفع والضر إلى غير

(١) « ب » جامه .
(٢) « ب » متحملة ومتجرعة له .

العبد وإن لم يصبر ، فالصبر لا يريد من المصائب والشدائد ، والضجر لا ينقص شيئاً منه قال تعالى : (لَئِن(١) صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِين) ، يعني صبركم خير من عدمه ، وأما مراد الله تعالى فهو كائن لا محالة صبرتم أو لم تصبروا ، وقال تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) ، يعني ان الصبر أمر قدره الله تعالى عليك فيبرزه اليك عند المصائب إن كان لك صبر في علمه وتقديره ، وإن كان لك ضجر أبرزه إليك من غير صبر فأنت موضع لجريان الحكم الأزلي والتقدير ، فأمره لك بالصبر في قوله تعالى : (اِصْبِرْ) هو تكوين الصبر فيك تكويناً خاصاً كما أمر تعالى عن تكوينه العام بقوله : (إِنَّمَا أَمْرُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ(٢) أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون) ، فقوله : كن أمر بالتكوين ، فيكون ذلك الشيء المأمور بالتكوين لا محالة من غير مخالفة للأمر لأنه انما كان بالله فلا يمكنه المخالفة وهو قوله : وما صبرك الا بالله في التكوين الخاص ، وكذلك القول فيمن لم يصبر وضجر فالله تعالى يقول اضجر وما ضجرك الا بالله ، ولكن لم يرد الاخبار عن ذلك لأنه شر والشر يستر ولا تنسب تكوينه إلى الله تعالى إلا بطريق العموم كما قال تعالى : (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا) وقال تعالى : (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) وقال : (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) وقال : (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) الى غير ذلك من الآيات الصريحة بأنه تعالى مكون كل شيء من خير وشر ونفع وضر ، فجميع ما هو واقع في الدنيا مما هو مقدر من الأزل من خير أو شر فهو بإرادة الله تعالى سواء كان مع ذلك برضاه كالطاعات او بغضبه وسخطه كالمخالفات ، وكله واقع صادر من المخلوقات بتكوين الله تعالى له وتكوينه تعالى للشيء إنما هو بطريق الأمر لذلك الشيء ، ثم إن ذلك الشيء يمتثل ما أمره الله تعالى به ولا يمكنه مخالفته أبداً على كل حال ، ثم ان الله تعالى اخفى قضاءه وقدره عن خلقه لتقوم بذلك الحجة على الخلق ، ولا فرق في الحقيقة بين أمر التكوين وأمر التكليف ، غير أن أمر التكوين عام

---

(١) « ب » ولان .

(٢) « ب » إنما قولنا لشيء اذا اردناه .

أمر التكليف خاص وأمر التكوين عام ، وأمر التكليف خاص .

فأمر التكوين فهو قوله تعالى : (إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) ، فإن الشيء يمتثله من غير تخلف فهو يمتثل كل شيء فلا عصيان لشيء مطلقا من هذا الوجه ، وأما أمر التكليف فهو قوله تعالى : (آمنوا بالله ورسوله) ، وقوله تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ، وقوله تعالى : (ولا تقربوا الزنى) ، أي كفوا عنه ، فإن النهي عن الشيء أمر بالكف عن الشيء لا بمعنى العدم ، وهذا الأمر الذي هو أمر التكليف إنما خوطب به في الحقيقة من قدر الله عليه امتثاله في الأزل ، فقوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله) خطاب من قدر تعالى عليهم الإيمان ، وهو تفصيل قوله تعالى للإيمان المقدر عليهم : كن فيكون ، وكذلك قوله : (أقيموا الصلاة) خطاب من قدرت عليهم الصلاة ونحو ذلك ، وأما من لم تقدر عليهم الإيمان والصلاة وقد قدر عليهم الكفر والكف عن الصلاة أو سيئاتها فتفصيل تكوين ذلك فيهم مقدره كن كفرا فيهم فيكون وكن كفا عن الصلاة ، فيكون وكن سيئة فيها فيكون ولكن لا يقال هكذا في تفصيل أمر الله تعالى وإن كان صوابا في حقيقة الأمر أدبا مع الله تعالى لأنه تعالى لم يرد هكذا في تفصيل أمره تعالى ، لأن الشريعة تفصيل أمر السعداء فقط ، لأن كل شريعة تفصيل مجمل أمر نبيها[1] المرسل فيه إلى قومه ، وكل نبي قومه السعداء منه[2] فشريعته تفصيل أمرهم الذي هو أمره ، وأما الأشقياء فمعلوم تفصيل أمرهم بمخالفة لأمر السعداء ، وبضدها تتبين الأشياء ، فإنذار الأنبياء عليهم السلام لأممهم وتبشيرهم إنما هو للسعداء فقط لأن أمر الله تعالى للسعداء والأشقياء إنذارهم وتبشيرهم وقع من الأنبياء عليهم السلام بطريق المفهوم لأجل إقامة الحجة عليهم من الله تعالى ، قال تعالى : (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) أي على أكثر الخلق وهم الكافرون فيستحيل إيمانهم حينئذ لإخباره تعالى عنهم بعدمه وإن كان إيمانهم ممكنا في نفسه ، ثم قال تعالى في سبب عدم إيمانهم

(١) « ب » لأن كل شريعة تفصيل لأمر مجمل أمر به نبيها .
(٢) « ب » قومه السعداء منهم .

(إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) .
وهذا كناية عن تكوين ضد الايمان فيهم وضد التوحيد .

ثم أخبر تعالى عنهم أن إنذاره وعدمه سواء في حقهم لأن أمرهم أمر آخر غير أمر السعداء فقال : (وسواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) . ثم صرح تعالى بأن إنذاره إنما هو للسعداء فقط حيث قال : (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب) وهذه أوصاف السعداء فقط .

ثم ضم تعالى التبشير الى الانذار وأشار الى انه مخصوص بالسعداء كالانذار بقوله : (فبشره بمغفرة وأجر كريم) مع ان صدر الآية قوله تعالى : (لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) يفيد وقوع الانذار في حق الأشقياء ، والجواب عنه انه إنذار بطريق المفهوم بما ذكرنا لا حقيقة الانذار حيث لم يكن لهم خشية منه ولا يزال يشهدونه فيه فهم ليسوا اهله بل هم أهل التكذيب والجحود ، ويؤيد هذا ما نقله السلمي رحمه الله تعالى في حقائق القرآن في قوله تعالى : (إذهب إلى فرعون إنه طغى) .

قال ابن عطاء الله رحمه الله : الاشارة الى فرعون وكان مبعوثاً في الحقيقة الى السحرة فان الله تعالى لا يرسل انبياءه الى اعدائه ولم يكن لاعدائه عنده من الخطر ما يرسل اليهم انبياءه ولكن بعث الأنبياء إليهم ليخرج الأولياء المؤمنين من بين الأعداء الكفرة » انتهى .

فإن قلت : يلزم مما ذكرت ان امر الله تعالى ونهيه ليس شاملاً للعصاة المخالفين فيلزم ان لا يكونوا مكلفين بذلك وان لا يكونوا عصاة ولا مخالفين وهو باطل ، قلت : لا يلزم عدم تكليفهم بذلك الأمر والنهي وإن كان ذلك(1) وارداً في حق غيرهم لأنهم يقبلون موافقته بحسب العادة الظاهرة لهم وبعرفهم وإن توجه عليهم أمر ضد ذلك ونهي عن ذلك ، لأن امرهم ونهيهم الخاصين بهم غير الشرعية بهم الا اجمالا لا تفصيلا

(1) « ب » كذلك .

وتسميتهم عصاة ومخالفين إنما هو بالنسبة الى ما وردت به الشريعة فقط من أمر السعداء ونهيهم ، كما قال تعالى في أمر الخاصين بهم : (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) فتحصل من هذا كله أن أمر الله تعالى واحد وهو أمر التكوين فقط كما قال تعالى : (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وهو متوجه من الأزل على إيجاد ما قدره الله تعالى على عباده السعداء والأشقياء ، فالحقيقة هي معرفة هذا الأمر الواحد ومعرفة إطاعة جميع العباد السعداء والأشقياء له من غير مخالفة ، وإنما الشريعة تبين هذا الأمر الواحد ، وتفصيله في المأمورين بحسب استعداد كل مأمور على حدة ، إما تفصيلا بعمومه على حاله غير التفات عن العموم الى الخصوص وهو جميع الشريعة حيث وردت في حق السعداء فقط ، وإما تفصيلا بمعنى الالتفات بطريق المخاطبة بذلك الخصوص في أمر السعداء مع ستر خلاف ذلك الخصوص من النسبة على الالتفات وهو حال العاصين ، والمخالفة في حق الأشقياء العاصين المخالفين لأمر السعداء الذي هو أمر نبيهم عليه السلام ، قال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) يعني عن خصوص أمره بسبب خصوص آخر متوجه عليهم[1] ، وفي هذا القدر كفاية في تحقيق هذا البحث وبيانه أوضح من ذلك موكول الى الكشف الصحيح عند أهله والله أعلم .

(وأوسطها) أي أوسط المقامات في سلوك الطريق الى الله تعالى بعد وجدان مقام الصبر على مراد الله تعالى أن يجد السالك في قلبه (الرضى) أي القبول وطمأنينة السر (بمراده) سبحانه وتعالى بحيث لا يجد عنده تكلفا في قبول ذلك الذي يريده الله تعالى سواء كان خيرا أو شرا أو نفعا أو ضرا ولا يرى في قلبه حرجا منه . قال الله تعالى في أهل هذا المقام : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقال تعالى : (واتبعوا رضوان الله) وقال تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) ، ورضاؤهم في الحقيقة هو رضى الله تعالى عنهم وجميع ما يريده الله تعالى خير ، والرضى لا يكون إلا بالخير ، وأما الشر فهو مصروف عن الخير

(١) ب « خصوص أمر آخر متوجه عليهم » .

بعدد خلق الله من النفوس التي هي الألواح والكراسي والعروش ، وكل عرش هو المستوى الرحماني وكل كرسي هو موضع تدلي القدمين : قدم الخير وقدم الشر .

وعوالم الله تعالى بعدد الأنفاس ، وفي كل نفس عوالم لله تعالى لا يعلمها إلا هو ويعلمها من يشاء من عباده العارفين الواقفين به عليهم ، فيجد عوالم أهل طاعته كلها ملائكة مسبحة مقدسة لله تعالى ، وعوالم أهل معصيته كلها شياطين مطلقة مختلفة الأشكال والصور ، وفيها ملائكة مسحوبة بسلاسل من حديد يسحبون إليه تعالى فيخلق الله تعالى من تسبيحهم ملائكة على غير صورهم مطلقة تسبح الله تعالى أيضاً بلغات غير لغات الأولين[1]، قال تعالى : (ويخلق ما لا تعلمون) .

(وآخرها) أي آخر المقامات بعد وجدان مقام الصبر ووجدان مقام الرضا (أن تكون) نفسك بحسب الوجدان قائمة (بمراده) سبحانه وتعالى في جميع الأحوال فيرون فوق الصبر على مراد الله تعالى والرضا بمراده تعالى فلا تجد ما يظهر لك منك أو من غيرك مشقة فتصبر على تلك المشقة ولا لذة وفرح فترضى بتلك اللذة وذلك الفرح بل تجد جميع ما يصدر منه تعالى على مقتضى إرادته المقدسة فلا يبقى لك وصف من نفسك أبداً ويبقى أوصاف ظهور أوصافه تعالى لك على حسب استعدادك ، وهذا هو الإحصاء الوارد في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » يعني من ظهرت عليه واتصف بها دخل جنة الذات الأزلية ونعم بصفاته واتصف بمعانيه ومن النظم في هذا الباب قولي :

خادم الله يخدم العز بابه[2] — وتود العلا تقبيل ركابه
وبه من رضا الإله وشاح — وعليه [illegible] ومهابه
والسعيد السعيد من شملته — نظرة منه أو حبته خطابه
يا طوبى إن كنت يوماً تراه — راضياً عنك فيه أمسى صحابه
وإذا كان ساخطاً فمن يرعه — [illegible] الله ساخط فتشبه[3]

---

(١) « ب » بلغات الاولين .
(٢) « ب » يخدم العز والتفاخر بابه .
(٣) « ب » انما الله ساخط فتنابه .

ذكر الشيخ رضي الله عنه طريقة مساوية لها وهو العلم والعمل الذي هو المجاهدة بالشريعة الموصلة إلى علم الكشف (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) بقوله : (العلم) أي علم الشريعة والدين المتعلق بالاعتقاد والمتعلق بالعمل على الوجه الأتم (وطريق العمل) أي الموصل إلى العمل والملحق به في العمل به بلا إهمال ، إذ كل علم عمل به علم ، ولو اعتقادا كالعلم بذاته مثلاً ، فهو علم ان الزنا حرام ، ويعتقد حرمته فاجتنابه عمل بعلمه واعتقاد حرمته عمل آخر بعلمه ، فهذا فيه اجتنابه عمل به ، واعتقاده ، والاعتقاد فصل من الاجتناب لأنه من الإيمان ، والاجتناب من عمل الجوارح ، وذلك الإيمان آخر ، وذلك العمل الجوارح فسق ، فلم يخل علم من عمل مطلقاً .

وأما الحديث الوارد بالوعيد لمن لم يعمل بعلمه لا فعلاً ولا اعتقاداً مطلقاً ولاشك في العذاب حينئذ أشد من الكفر عنه الأولى لأنه عصى الحق على جهل منه ، ومن الكافر على علم فلا جهل منه (والعمل) بالعلم المذكور الذي هو علم الشريعة والدين اعتقادا وإيمانا بالجوارح واجتنابا وإخلاصا (طريق العلم) أي علم الحقيقة ، يعني موصلاً ومنتجاً إلى حصوله من غير تأخر ، قال الله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أي العاملون بعلمهم الذي أورثهم به ربهم بتعليمهم[1] من لدنا علماً وسبلهم إليه ، وهو العلم اللدني الذي علمه الله تعالى للخضر عليه السلام كما قال تعالى : (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) وقال تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) ، فطريقة التقوى وهي العمل بعلم الشريعة والدين كما ذكرنا ، وهذا العلم اللدني هو معتبر في مسمى العلم وهو أفضل من العلم الكسبي لأن العلم الكسبي هو علم الشريعة والدين ، وهو العلم بأحكام الله تعالى اعتقاداً وعملاً ، وهذا العلم اللدني هو العلم بالله تعالى ذاتاً وصفات وأسماء وأفعالاً وأحكاماً على وجه الكشف والشهود ، ولا شك أن العلم بالله أشرف من العلم بأحكامه لتعلق الأحكام بغيره تعالى دون العلم به ، ولأن الكل أشرف من البعض .

---

(١) « ب » لتعلمهم .

فان قلت : العلم بالحكمة الله تعالى من جملة العلم بالاعتقادات الشرعية ، وهي العلم بالله تعالى ذاتاً وصفاتٍ وأسماءً وأفعالاً فقد دخل العلم اللدني في العلم الكسبي ، قلت : نعم العلم بالاعتقادات الشرعية داخل في العلم بالحكمة ، وهو العلم بالله ذاتاً وصفاتٍ وأسماءً وأفعالاً ، لكن لا يعتبر ذلك في الشرع الا اذا كان على وجه العجز والتسليم كالإيمان بالكتاب والأوان ، فالعلم على هذا الوجه ليس بعلم الا حكماً شرعياً بل هو جهل محض بالله تعالى وتعلمنا الأنبياء عليهم السلام فيما جاؤوا به عن الله تعالى ، وأما اذا كان على وجه الفهم والدخول بالعقول في معاني ذلك الوارد فهو بدعة وضلال وليس بعلم شرعي أصلا ، بخلاف هذا وارث العلم اللدني الكاشف صاحبه عن تجليات الحق تعالى في كل شيء من غير تشبيه ولا تعطيل الى غير ذلك من المعارف والحقائق .

فان صاحب العلم اللدني هو الوارث للأنبياء عليهم السلام لأن علوم الأنبياء عليهم السلام وهبية لا كسبية ، والعلم الشرعي كسبي لا وهبي ، والعلم الكسبي علم النبي يكتسبه العبد بنقله عن غيره من مثله ويدونه بنقول الوسائط وتنقله أفهام الرواة وينتهي العلم به حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والعلم اللدني(1) علم الله تعالى يهبه تعالى الى العبد بلا واسطة وليس مثله كل علم بل لا يحصل الا بعد تحقق العبد بحقيقة الالهية اطارت نفسه المقبل على ربه القائم في بطنه وظهوره بربه لا بنفسه ، فهو علم من الحي الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت ، وصاحب العلم الكسبي عبد جاهل يتحقق بجهل علم غيره وهو النبي صلى الله عليه وسلم لا عنه ، وصاحب العلم اللدني عبد لا جاهل عنده لأنه لا علم له من نفسه بل علمه من ربه تعالى ، (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أي العارفون به تعالى عن كشف وشهود ، فإن من لا معرفة له عجز عن معرفته فكيف يخشاه ، وهل تتصور خشيته من شيء لم يعرفه ؟ .

وللشيخ شرف الدين بن الفارض قدس الله سره أبيات في العلم الكسبي والوهبي من تائيته وهي قوله :

---

(1) ب والعلم الكوني .

ولا تلتمس نفسه دروسه   حيث استقلت عقله فستقرن[1]

فثم وراء العقل علم يدق عن[2]   مدارك غايات العقول السليمة

تلقيته عني ومني أخذته   ونفسي كانت من عطائي ممدي

فعلم الدرس هو العلم الكسبي ، وعلم النفس هو العلم الوهبي كما قال عليه السلام : من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وقال تعالى : (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي بسبب علم الدرس حصلوا علوم النفس ، وكونوا ربانيين لا نفسانيين وهو قول الشيخ رضي الله عنه : « العلم طريق العمل والعمل طريق العلم » ، فالعلم الأول علم الدرس والثاني علم النفس ، فعلم الدرس وسيلة الى علم النفس ، وعلم النفس مقصود فهو أفضل من خادمه الذي هو علم الدرس والله بكل شيء عليم .

(والعلم) الذي مذكور (شروط المعرفة) أي موقوف عليها ، إذ لا يعرف الله إلا به فإذا أراد تعالى[3] عبدا علما من عنده خصصه به فعلمه بعلمه ، وأما العلم الذي أمره بعلمه فهو عبد وجب أي معرفته عجزه عن معرفته ووقوفه على الأدب معه وعلى عواده ، فإذا تأدب معه واتبعه علمه علما نفسه فعلمه به لا بالكسب كما قال تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) (والمعرفة) بالله على الاستعداد من علم الذي الوهبي (شروط الكشف) عن الغيب ورفع حجاب الشك والريب ، وقد سبق تعريف المكاشفة وهي الكشف[4] بمعنى واحد (والكشف) المذكور (شروط الفناء) في الحق تعالى بحيث لم يبق من العبد ولا من غيره في تصوره شيء ويبقى الحق في عينه فقط ، وهذا هو الوصول الى الله .

قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المقام : كان الله ولا شيء معه وهو الآن على

---

(١) « ب » بحيث استقلت عقله فاستغرب .

(٢) « ب » فتم داء العقل علم يدق عن .

(٣) « ب » فاذا اراد الله تعالى .

(٤) « ب » المكاشفة وهي والكشف .

عنه كذلك ، ومعنوها ان كان في حق الله تعالى فمعناه الدوام والاستمرار لا المضي والانقطاع لكونه تعالى (وكان الله غفورا رحيما) أي فهو غفور مستمر كذلك .

ثم اعلم ان هذه المقدمات الستة التي ذكرها الشيخ رضي الله عنه في طريق السلوك الى الله تعالى بالعلم والعمل [illegible] صاحب الحجاب الأنسي بالعبادة الالهية من غير [illegible] ولا جمود ولكنه [illegible] في الخلق [illegible] لا حاجة [illegible] وان بالسلوك والاجتهاد والمجاهدة الشرعية فهو غير مقصود ولا [illegible] حجاب [illegible] بعد قطع مسافة العلم الكسبي والعمل ، فان الحجاب الأنسي [illegible] المقدمات وان كان حجاب [illegible] الى الله تعالى به [illegible] في العلم الكسبي والعمل به فهو [illegible] ، وهذه المقدمات الستة المذكورة هي مقدمة العلم الكسبي الشرعي ثم العمل به على الاخلاص من غير بدعة ، ثم العلم اللدني الوهبي الذي [illegible] العمل مع الاخلاص الخالي من البدعة ، ثم المعرفة بالله تعالى ، ثم الكشف عن الحق في [illegible] عن كل معقول ومحسوس بحيث تضمحل سوى المعقول [illegible] رضي الله عنه [illegible] متكلم عن حضرة ذي الجلال لانه في مقام الفناء عن نفسه فهو ناطق بحسب حدسه ([illegible]) محجوبا (ـه) يا ايها الواصل الى مقام الكشف بفنائه عن سائر الأغيار(1) [illegible] قال تعالى : (يحبهم ويحبونه) [illegible] فهم في قبضة [illegible] فاطلعوا على محبته لهم [illegible] عن كل شيء ، واذا اضمحلت [illegible] وعلموا [illegible] ، وعلموا ان شمس محبته أشرقت على أقمار [illegible] سوى شمس حبهم ، فوصلوا [illegible] في محبته [illegible] كشف لهم عن وجه [illegible] حضرة [illegible] ، ولهذا قال الشيخ قدس الله سره العزيز (وفيك) - الواو للحال - أي مستقرة فيك (بَقِيَّةٌ) منك (لسِوانَا)

(1) « ب » بفنائه بسائر الاغيار .

ى عمر ، ا ر منبه هي فدمت بنفسك زبر نفس من ستر الاغيار (وذا حولتَ)
عنك (السوءَ) كله بل سعيت واجتهدت في اضمحلال عنك انك عنك
(تستَهدُ) من سعيك على سعيك واجتهادك فتسب (عنك) أي عن نفسك
(تصلحسَ) حسنه ، ولولا حولك سوى عنك ما صلحت ، وهذا هو
اصلاح الانس الذى قال عنه تعالى : (إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو
يتولى الصالحين) ، فما يتولاهم الا بعد صلاحهم ولولا صلاحهم ما تولاهم ، والفساد
ضد هذا الاصلاح ، وهو فساد العبد نفسه مع ربه قال تعالى : (ولا تفسدوا في
الارض بعد اصلاحها) ، والارض هي النفس كما ان السماء هي الروح ،
والافساد فيها بالقيام بها دون ربها واصلاحها قبل هذا الافساد هو الفطرة[1] التي فطر
الناس عليها وقال تعالى : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس)
أي بسبب ما كسبت ايديهم من الاعمال التي يعملون بنفوسهم لا بربهم ، فالبر بر
الجسوم والبحر بحر النفوس ، وفسادهما ضد صلاحهما ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام:
« ان في ابن آدم مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي
القلب » والمراد به هنا النفس ، لأن الصلاح والفساد تأتي منه ، والقلب بالمعنى الخاص
صلاح كله كما قال تعالى : (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب[2]) يعني لا نفس،
إن اصحاب النفوس لا عبرة بهم بشيء لاستيلائهم بنفوسهم دون ربهم بخلاف اصحاب
القلوب فانهم مع ربهم لا مع نفوسهم (فنودي عنك) يا ايها الذي صلحت لنا
(سرّاً) الذي به السر ستر عن الغير من الاكوان وهو غيب الذات الاقدس في
حضرة التجلي الاقدس ، والاسماع رفع الحجب عن العين بعد محو نقطة الغين وظهور
الواحد بعد محو الاثنين ، قال تعالى : (يعلم السر واخفى) ، فالسر ما به قيام
الاوصاف والاسماء بالذات العلية وهو حضرة الله تعالى مما يلي الكائنات ، والاخفى مما
لا يوصف ولا يسمى من الذات العلية وهو حضرة الله تعالى مما يلي غيب الغيب المنزه

(١) « ب » الافساد وهي الفطرة .
(٢) « ب » ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب .

عن العموم والخصوص ، وقد نظمنا شيئا من هذا المعنى في ديواننا « سحر الاحداق ونسمة الاشواق » قولنا :

عرف ناسوتي بلا هوته … من جل عن نعتي ومنعوته
محجب خلف سجوف الورى[1] … صدا الفتى ينبيك عن صوته
عنه به الالباب مشغولة … تحصيلها دل على فوته[2]
والسالك من قد مات في حبه … ادرك ما يرجوه في موته

فالناسوت الجسم ، واللاهوت الروح ، ولما نسب الله تعالى الاجسام الى الخلق بقوله : (تعجبك أجسامهم) قلت : ناسوتي ، وحين نسب الروح اليه تعالى بقوله : (ونفخت فيه من روحي) قلت : لاهوته ، وقولي : جل عن نعتي[3] ومنعوته اي نعتي نعته اي على مقدار ما جاء في حضرته في لسان الشرع ومنعوته هو من حيث هو لا من حيث هو ، وهذا المعنى الاول في المصراع الاول هو مقام السر الاعظم الذي اشرنا اليه ، وفي المصراع الذي مقام الاخفى المذكور ، والله اعلم بحقائق الامور .

(إذا لم يسق عليك) انه سالك في طريق الله (حركة) باطنه ولا ظاهره منسوبة في زعمك (مشيت) بحيث كنت كالميزاب تمر فيه مياه الحركات الباطنة والظاهرة من العدم إلى العدم وهو ثابت بعيد لا تصرف له فيما يمر فيه كما قال ابن العربي رضي الله عنه : « من جملة مشايخي في طريق الله تعالى ، ني ميزاب[4] كان يمر فيه مطر من الغيب علمت منه معرفة الله تعالى » او نحو هذا الكلام ، وفي قوله : عليك بشارة اي ان نسبة الحركات الباطنية والظاهرية[5] الى النفس امر قهري لا يمكن العبد التخلص منه الا بمعونة من الله تعالى ، يشير اليه قوله تعالى : (يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات

(١) « ب » محجب خلف سجف الورى .
(٢) « ب » تحصيلها دل عل قوته .
(٣) « ب » وقوله : جل عن نعتي .
(٤) « ب » في طريق الله تعالى الميزاب .
(٥) « ب » الحركات الباطنة والظاهرة .

والأرض تشهد بـ لا تشهدون إلا [illegible]) ، و[illegible] السالك هو المعرفة من الله تعالى و[illegible] وأ[illegible] ([illegible]) في الله تعالى باعتبار شهودك إياه في [illegible] [illegible] من علماء الراسخين (وإذا لم يبق [illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] زالت[1] من بصرك وبصيرتك كزوال [illegible] وظهر بعد [illegible] ، فان [illegible] الجرم [illegible] على ما هو عليه [illegible] وبعض الأوصاف أخر عن الأوصاف الأول ، وكذلك زوالك انت من بصرك وبصيرتك [illegible] الأوصاف القاصرة عنك وتبدل بأوصاف أخرى كاملة فلم يكن [illegible] بل انت [illegible] وظهر [illegible] وهو الحق تعالى ، والله يرى الله ([illegible]) حيث لا [illegible] ولا [illegible] حينئذ في بصرك وبصيرتك وانما موجود هو الله تعالى وهو كمال التوحيد [illegible] لا وجود شيء فيه مع الله تعالى ، فان وجودك عندك في [illegible] وحدك [illegible] من كمال التوحيد ، فلما زال وجودك عنك كمل وحدك [illegible] حركتك [illegible] كمال اليقين بالله تعالى ، فلما زالت حركتك عنك لنفسك كمل يقينك •

([illegible]) وهو القلب [illegible] عليه من الأسرار وانطوى عليه من الأسرار وهم علماء الحقيقة [illegible] عن حقائق الأمور في جميع الأطوار (مع المتقين) بالله تعالى في كل شيء على [illegible] المطلق فلا يغيب عنهم على كل حال فهم يعرفون الله [illegible] بواطنهم ، عقولهم [illegible] رؤيته على ما هو عليه في كل شيء كما ان ابصارهم [illegible] رؤيته [illegible] عنهم [illegible] كل شيء [illegible] للباطن والظاهر [illegible] فمن نظر بباطنه [illegible] كل شيء رأى باطن كل شيء وهو وجه الحق تعالى الذي قال : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) ومن نظر بظاهره الى كل شيء رأى ظاهر كل شيء وهو ذلك الشيء الهالك •

(١) « أ » عنك •
(٢) « ب » بان زلت •

قال تعالى : (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وفي الآخرة يعلمون أن الله هو الحق المبين ، فالدنيا كلها غيبة الحق والآخرة لا غيبة فيها للحق لأن جميع ما فيها لله لا مع الله ، والدنيا جميع ما فيها مع الله لا لله ، ولهذا كانت ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه كما ورد في الحديث وقال تعالى : (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو الآية) وفي الحديث : « كل لهو ابن آدم حرام إلا ثلاثة » وذكرها بأنها : مقاتلة قوسه[1] وركضه فرسه وملاعبة زوجته ، وهذه الثلاثة هي كل ما يقصد به قيام ابن آدم في الدنيا من الشجاعة والفروسية لدفع الأعداء وكف الأذى ، وإقامة النسل لبقاء النسل وتكثير الذرية فهو لهو بحق لا عن الحق وما عداه حرام ، فالحياة الدنيا بغير الله حرام والآخرة حينئذ خير وأبقى ، وأما ما قال تعالى فليست الحياة هي الحياة الدنيا[2] بل هي الحياة الباقية التي لا تزول والتي ينقل صاحبها من دار إلى دار لأنه شهيد يشهد الله تعالى في كل شيء ، قال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) وصاحب هذا المقام قتل نفسه في محبة الله بسيف المجاهدة الشريفة في حرب أعدائه من الهوى والشياطين كما يشير إليه قوله تعالى : (فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ) ، وإنما أمرهم بالتوبة أولا لأن حياتهم لهو عن الحق تعالى وكل لهو حرام ، ولا خلاص لهم إلا بقتل أنفسهم ، فتوبتهم قتل أنفسهم وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : موتوا قبل أن تموتوا ، وهو موت الاختياري قبل الموت الاضطراري ، وهو موت عيسى عليه السلام الذي قال الله تعالى فيه (يا عيسى إني مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) والناس التابعون هم الذين ماتوا الموت الاختياري وما عداهم هم الذين كفروا ، أي ستروا الحق عن حياتهم الدنيا التي هي لعب ولهو ، وأخبر تعالى في هذه الآية أن

---

(١) « ب » بقوسه .

(٢) « ب » فليست الحياة فيها هي الحياة الدنيا .

عن أمور الآخرة حتى تشهد الله تعالى في أرجاء الكون ... فوق أعمالهم
من أهل اللعب واللهو كما قال تعالى : (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) .

(وأهْلُ الظَّاهِرِ) وهو النفس والحس وهم المحجوبون عنه من الحجاب والغفلة عن الحق تعالى ، وهم علماء الشريعة فقط من غير معرفة حقيقته[1] القائمون بنفوسهم في كل ما امتثلوه أو اجتنبوه الداعون إلى الله تعالى على غير بصيرة[2] بل بأنفسهم (مَعَ الايمانِ) بالله تعالى ايماناً بالغيب كايمان الأكمه بالألوان ، فهم يعرفون الله تعالى بنفوسهم وعقولهم فلا يرونه لأنهم يعرفون بغيره فلا يرون إلا غيره ، أولئك ينادون من مكان بعيد ، وكونهم مع الإيمان بالغيب لأنهم حتى لو فقدوه كفروا ، فهم واقفون مع الإيمان بالغيب لا مع الله تعالى كأهل الباطن الذين هم مع الله تعالى في جميع الأمور .

ثم بين رضي الله عنه نقصان كل فريق منهم وكماله في مرتبته حيث قال :
(فَمتَى تَحرَّكْتَ) باطناً أو ظاهراً (فَقلبُكَ صَاحِبُ النقصِ) الذي هو من أهل الباطن ، والمراد حركة مستورة عنده أي فقلبك يحدث نفسه في نفسه : تحركت قلبي من غير أن تكون تلك الحركة صادرة عن ربه في شهوده ذلك (نَقَصَ نَفْسُهُ) لله تعالى بسبب تلك الحركة التي حركها قلبه فاتبعها نفسه ونسي ربه (ومَتَى لَمْ يَحضُرْ لَهُ خاطِرٌ) في شيء غير شهود الله تعالى في ذلك الذي خطر له شهوداً بالله تعالى لا بنفسه على الشريعة المطلق (كَمَلَ قَلْبُهُ) بالله تعالى حينئذ بزوال شهود الغير من عين بصيرته واقتصاره على شهود الحق تعالى في كل ما شهده الحق تعالى لا نفسه ، وما أحسن قول سيدي علي وفا المصري قدس الله سره .

تجرد عن مقام الزهد قلبي ... فأنت الحق وحدك في شهودي
أأزهد في سواك وليس شيء ... أراه سواك يا سرّ الوجود

(١) « ب » الحقيقة .
(٢) « ب » على بصرة .

(ومتى تحرك قلب صاحب الإيمان) بالله تعالى الذي هو من أهل الظاهر حركة نفسية أو ظاهرية صادرة عنده من نفسه (بغير الأمر) الإلهي الواحد الذي به قيام كل شيء على حسب ما هو عليه في نفسه (نقص إيمانه) بمقدار تلك الحركة التي تحرك بها قلبه بنفسه لا بأمر الله تعالى ـ في زعمه ـ (ومتى تحرك) قلبه (بالأمر) الإلهي لا بنفسه ـ في زعمه ـ كما هو في حقيقة الأمر كذلك وإن لم يشعر (كمل إيمانه) بزوال نسبة شيء من الأشياء عنده إلى غير أمر الله تعالى الذي قام به كل شيء على مقتضى إيمانه بذلك إيمانا غيبيا .

واعلم أن صاحب اليقين الذي هو من أهل الباطن لا حركة له في بصيرته ، إذ لا وجود له عنده بل الوجود كله عنده لله تعالى وحده على اختلاف حضراته تعالى ، ولهذا متى تحرك قلب صاحب اليقين نقص يقينه لكونه وجد عند نفسه بسبب حركة نفسه ، ومتى لم يتحرك فيقينه كامل ، وأما صاحب الإيمان الذي هو من أهل الظاهر فله حركات في بصيرته وله سكنات لكونه موجودا عند نفسه ، ولكن حركاته وسكناته ووجوده عنده بأمر الله تعالى لا بنفسه ، وعنده الوجود قسمان : وجود الله تعالى قائم بنفسه ووجود العالم قائم بأمر الله تعالى ، ولهذا متى تحرك قلب صاحب الإيمان بغير الأمر الإلهي نقص إيمانه لغفلته[1] عن شهود قيام الوجود بأمر الله تعالى وزعمه قيام حركته بنفسه ومتى تحرك بالأمر كمل إيمانه بجريانه على مقتضى مقامه في قيام الأشياء بأمر الله تعالى .

ثم بين رضي الله عنه التفاوت بين مقام اليقين ومقام الإيمان بقوله : (معصية أهل اليقين) الذين يشهدون أن الوجود كله وجود الله تعالى متنوع بأنواع حضراته في مظاهر تجلياته ولا يشهدون وجوداً آخر مع وجوده تعالى ، إذا عصوا الله تعالى بشهودهم غيره في خواطرهم تلك المعصية سواء ترتب عليها في ظواهرهم فعل أو لا (كفر) بالله تعالى عندهم أي ستر للحق على ما هو عليه ، والكفر في الشريعة هو الستر ، وذلك لانكشاف الحق تعالى عندهم في كل شيء وعدم التباسه عليهم في شيء من

(١) « ب » لغفلة .

الاسماء كلها ، فاذا التبس عليهم امره في شيء من غير كشف وقوف من سره ، فلا لبسهم على حسب وسعهم كما قال تعالى : (لا علم لنا الا ما علمتنا) ، ومع هذا مما كان ابليس في عدم السجود لآدم ، وتعليم الملائكة اراد الله تعالى امتحان ابليس والملائكة فامرهم بالسجود لآدم عليه السلام ، وبقدر ذلك يكون كمال في مقام التمكين في حتى يشهدوني في كل شيء ولا يحجبوني في أي مظهر ظهرت لكم فيه فاسجدوا لهذا المظهر الجامع الذي ظهرت لكم فيه يتبين عندكم صحة تمكنكم في ذلك ، فسجد الملائكة كلهم اجمعون لله وحده الظاهر لهم بآدم عليه السلام من وراء ستر هذه النشأة الآدمية ، وظهر لهم بذلك تحققهم في شهود هذا المقام لانهم كانوا متحققين بشهوده في وقت تعليم ابليس لهم ذلك وتعليمه اياهم ، وامتنع ابليس من السجود وظهر منه[1] وللملائكة كذبه في شهود هذا المقام الذي كان يعلمه لهم لانه كان في وقت تعليمه لهم ذلك مشتغلا بالعلم غائبا عن الشهود بعكس ما كانوا هم فيه ، فاظهر الله تعالى ذلك من ابليس باخباره عن نفسه حيث قال : (أأسجد لمن خلقت طينا) مع انه ما أمر ان يسجد لمن خلقه الله تعالى من الطين وهو آدم عليه السلام بل أمر ان يسجد لله تعالى الظاهر به — على زعمه — في كل شيء لا غيره تعالى على مقتضى ما كان يزعم من مقام التمكين في شهود الله تعالى وحده في كل شيء وعدم شهود شيء معه تعالى ، فاظهر الله تعالى الحجة عليه على الصدق في هذا المقام بما كان يعلمه للملائكة امتحانا من الله تعالى له[2] واظهر تعالى صدق الملائكة عليهم السلام في هذا المقام بالفعل حيث سجدوا في الحال ، مبادرين لما أمرهم الله تعالى على حسب مقامهم الذي كانوا فيه ، وهو شهودهم الله تعالى في كل شيء وعدم شهود شيء معه تعالى ، وللشيخ الأكبر رضي الله عنه في هذا المعنى من ابيات :

لو أن ابليس رأى من آدم[3]   نور محمد عليه ما أبى[4]

---

(١) « ب » وظهر لهم .
(٢) « ب » امتحانا من الله تعالى .
(٣) « ب » لو ان ابليس رأي من آدم .
(٤) « ب » نور حاها عليه ما ابى .

وقال الشيخ شرف الدين ابن الفارض رضي الله عنه وأرضاه

ولو خطرت لي في سواك إرادة   على خاطري سهواً قضيت بردتي

قوله : قضيت بردتي ، يعني على مقتضى مقامي الذي أنا فيه الآن وهو مقام اليقين في شهود الله تعالى وعدم شهود شيء معه تعالى ، وكانت هذه الإرادة حينئذ كردة إبليس كما ذكرنا (ومعصية أهل الأنس) الذين يشهدون أن الوجود كله قائم بأمر الله تعالى وهو غير وجود الله تعالى ، ووجود الله تعالى وراء ذلك يؤمنون به إيماناً بالغيب ، فإذا عصوا الله تعالى بشهودهم شيئاً قائماً بغير أمر الله تعالى فتلك المعصية عندهم سواء ترتب عليها فعل بجوارحهم أو لا (نقص) في إيمانهم ذلك وليس بكفر عندهم حيث أنهم في حال كمال إيمانهم يشهدون وجوداً آخر ، وهو وجود العالم غير وجود الله تعالى قائماً بأمر الله ولم يكن ذلك عندهم كفراً بسبب جعلهم هذا الوجود الآخر الذي هو وجود العالم قائماً بوجود الله تعالى لا بنفسه وكان هذا وسعهم في ذلك فكلفهم الله تعالى به ، فإذا خرج عن شهودهم ذلك شيء[1] ولم يجعلوه قائماً بأمر الله تعالى بل بنفسه كان هذا نظير جعلهم هذا الوجود الآخر غير وجود الله تعالى ، فأوجب نقصان إيمانهم كما أن مقام إيمانهم الكامل ناقص بالنظر إلى مقام أهل اليقين الكامل ، وليس النقصان عندهم بكفر بل هبوط مقامهم عن مقام أهل اليقين ومن هنا قيل : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

(المتقي) لله تعالى في كل فعل أو ترك أي المحترز منه تعالى بفعل ما أمره به وترك ما نهاه عنه مع الإخلاص في ذلك (مجتهد) في تقواه ليلاً ونهاراً على كل حال ، ومتى ترك اجتهاده في ذلك فليس بمتق بل هو فاسق حينئذ إن اعتقد ما يتقيه حقاً وإلا فهو كافر ، فالهبوط من مقام التقوى إما إلى الفسق أو إلى الكفر ، وهذا مقام عامة المؤمنين بعد مقام توبتهم ، وأصحاب هذا المقام هم أهل العلم والعمل .

(والمحب) لله تعالى في عين محبته لكل شيء ، إذ كل شيء هالك في بصيرته إلا وجه الحق تعالى ، فمحبته لكل شيء هي محبة للحق تعالى في جميع حضراته الظاهر

---

(١) « ب » الشيء .

به على حسب إدراكه (مُتَّكِلٌ) على الله حق الاتكال في جميع أموره المستوية ظاهراً وباطناً على كل حال ، وذلك لأن المحبة أول نور من أنوار المعرفة وآخر نور من أنوار العلم والعمل ، فالعلم والعمل نتيج المحبة والمحبة نتيج المعرفة ، فصاحب العلم والعمل مجتهد وصاحب المحبة تارك الاجتهاد لاتكاله على محبوبه الفاعل بـه ما يشاء ، والحاكم عليه بما يريد حتى لو اجتهد او ترك الاتكال ساعة رجع الى مقام المتقي وليس بمحب حينئذ .

(والعارفُ) بالله تعالى الذي انتجت له محبته لله تعالى معرفته به تعالى وانتج له علمه وعمله محبته لله تعالى فهو صاحب المرتبة الثالثة علم وعمل فأحب فعرف ، ولو لم يعلم ما عمل ، ولولا انه علم وعمل ما أحب ولولا انه أحب ما عرف ، فالعلم شرط العمل والعمل شرط المحبة والمحبة شرط المعرفة ، والمراد بالعلم العلم بالله وبأحكامه ، وبالعمل العمل مع الاخلاص ، وبالمحبة محبة الحق تعالى ، وبالمعرفة المعرفة به تعالى ، فكم من عالم لكن[1] ليس عالماً بالله تعالى ولا بأحكامه ، وكم من عالم بالله تعالى وبأحكامه غير عامل بذلك او عامل بغير ما علم من ذلك ، جهلاً منه بكيفية العمل أو عامل بذلك على وجه غير مخلص في عمله لله تعالى او مخلص في ذلك غير دوام ، فلا يصل بسبب ذلك الانقطاع الى مقام المحبة فلا يحصل على المعرفة ، وكم من محب التبست عليه محبته بمحبة ما سوى الحق تعالى فظن ان محبته لغيره تعالى ، أو علم ان محبته له تعالى لكن على حسب ما يعلم ذلك الشيء الذي أحبه فكفر بالحق تعالى وهو لا يشعر فانطمست بصيرته عن معرفة الله تعالى ، ولنا من النظم في هذا المعنى من ابيات في ديواننا قولنا :

قف ساعة حتى اعلمك الهوى ... يا من يبيت وللهوى هو عابد
إن المحبة فيك كدر صفوها ... جهل بمن تهوى لأنك جاحد
فلو انمحى عن عين بصرك السوى ... عرفت[2] من تهواه أنت القاصد
لكن عيونك عن مرادك في عمى ... وتظل تجحد ذاته وتعاند

(ساكنٌ) لا حركة له من نفسه في باطنه ولا في ظاهره وقد زال اجتهاده

---

(١) « ب » فكم من عالم .
(٢) « ب » لرأيت .

بمحبته وزال الكل بمعرفته فهو ساكن لا مجتهد ولا متكل حتى تزول سكونه رجع الى مقام المحبة[1] وزال عنه نور المعرفة . (والموجود) الساكن في نور المعرفة الذي لا حركة له من نفسه (مفقود[2]) عن نفسه[3] ، فوجوده فقده فلا حركة له ولا سكون ، فكما زالت عنه الحركة زال عنه السكون أيضا في مقام الفقد وبقي وجود الحق تعالى مقام وجوده فهو الموجود المفقود ، وهذا نهاية الوصول الى الله تعالى ومتى ترك فقده رجع الى مقام المعرفة .

ثم بين رضي الله عنه احوال اهل هذه المقامات الاربعة : مقام التقوى ومقام المحبة ومقام المعرفة ومقام الفقد ، فقال : (لا يسكن) ظاهراً ولا باطناً (المتقي) عن الحركة بمعاد فهو مجتهد دائما في التقوى امتثالا واجتنابا (ولا عنده) قوة ولا ضعف (المحب) بل هو متكل على محبوبه دائما في كل حال لا يحب الا ما احبه له محبوبه (ولا حركة) في الظاهر ولا في الباطن (للعارف) بل هو ساكن دائما تحت سطوات القدرة الالهية (ولا وجود) في البصر ولا في البصيرة (للمفقود) بل الموجود عنده هو الله تعالى وحده على كل حال ، فالمتقي مشغول دائما باجتهاده في مرضاة ربه والمحب مشغول بفقده في وجود من أوجده ، والله تعالى من وراء جميع ذلك محيط .

ثم شرع قدس الله سره في تفضيل مقام المحبة على مقام التقوى فقال : (ما تحصل المحبة) الالهية الحقيقية التي هي موجودة في كل شيء من انسان وغيره لكن من وجدت فيه استترت عنه بصور الاشياء ، فلو انجلت مرآة القلب زالت صور الاشياء وظهرت المحبة الحقيقية الالهية من نجاسة شرك الاغيار كما قال تعالى : (إنما المشركون نجس) يعني نجاسة الشرك (إلا بعد) حصول (اليقين) بالله تعالى في القلب والنفس برفع عن البصيرة ستر جميع الاغيار فتمحى صور الكائنات

---

(١) « ب » المحبة .
(٢) « ب » المعرفة الذي لا حركة له فيه من نفسه والموجود بربه (مفقود) .
(٣) « ب » عن نفسه .

من ذوق الفناء فيرجع الفاني عند ذلك بوجود حقاني إلى الشهود ، والأمر الإلهي يرجع إلى الله وإلى الله تصير الأمور ، وعند ذلك تصير المحبة الإلهية في العبد بعد محو العبد فتكون محبته محو المحو وهي من عند الله كما قال الشيخ الأكبر رضي الله تعالى عنه من أبيات له :

أدين بدين الحق أنّى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

وقول الشيخ شرف الدين ابن الفارض قدس الله سره العزيز :

وعن مذهبي في الحب ما لي مذهب وإن ملت يوماً عنه فارقت ملتي

فبين مقام المحبة بقوله (المحب الصادق) في محبة الله تعالى (قدْ خلا) أي فرغ (قلبُه مما سواهُ) أي سوى نفسه بعد خروجه عنها فهو محب بنفسه بعد فنائه عن نفسه ، فهو محب للحق يشير إليه قول ابن الفارض قدس الله سره :

فكنت بها صباً فلما تركت ما أريد أرادتني لها وأحبت
فصرت حبيباً بل محباً لنفسه وليس كقول مر نفسي حبيبتي[1]

ومن قول[2] ابن العربي رضي الله عنه :

حقيقي بها همت[3] وما رآها بصري الخ .. الأبيات .

ولي من النظم في هذا المعنى قولي في أبيات :

وعندي إلى رؤيا حبيبي تشوق تسير وما نفسي غير حقيقتي
وتهتف أحشائي على حبي الذي فؤادي به صب وما فرط لوعتي
أحن إلى دأبي صباحاً وفي المسا وغايته قصدي في العوالم رؤيتي
وقد وعدتني اليوم نفسي بوصلها غداً فمتى مني تشوه قسمتي

---

(١) المؤلف : لدى الامعان في النسخه التي قرئت على المؤلف . وجدت ان اشارة وضعت بجانب «مر» تشير الى وجود خطأ . غير ان الخطأ لم يسجل في النسخة .
(٢) « ب » ومنه قول .
(٣) « ب » حقيقتي همت بها .

ويجوز ان يكون الضمير في قوله من سواه راجعاً الى محبوبه المفهوم من ذكر المحب وإن لم يتقدم له صريح ذكر ، لكن يلزم عليه ان يكون عنده مغايرة بينه وبين محبوبه فلا يخلو قلبه من سواه وهو عنده سوى محبوبه (ومن دله عليه) أي على المحب الصدوق (بغيبة محبته سواه) أي سوى المحب الصدوق من حيث انه عين محبوبه ، والسوى صادق بالمحب الصدوق من حيث هو في نفسه (فهو) أي ذلك المحب الصدوق (ناقص المحبة) حينئذ إذ وجدت فيه محبة سوى محبوبه فهو يعتقد وجود سوى محبوبه ولا وجود سوى محبوبه في حقيقة الأمر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل .. الحديث » والباطل عدم والعدم لا وجود له ، وإنما الوجود للحي القيوم ظهر بمظاهر أسمائه وصفاته متحولاً في أطوار تجلياته كما ورد في حديث مسلم : « ان الله يتحول يوم القيامة في الصور وهو تحول يرجع إلى إزالة حجب العبد كما تطرد الظلمة بظهور النور فيتبين كل مستور فتبين ان بصيرة هذا المحب حينئذ قاصرة حيث خفي عليها ظهور الحق تعالى في طور من أطوار حضراته العلية والبصيرة القاصرة جميع شؤونها قاصرة ، فمحبتها قاصرة فهو حينئذ ناقص المحبة بهذا السبب .

ثم بين مقام الفقد بقوله : (مَنْ تَلَذَّذَ بالبَلاءِ) الذي يرسله الله تعالى اليه على يد نفسه او غيره بان وجد للبلاء عنده فرحاً وسروراً مع انه يقتضي الحزن والألم (فهو موجود) حينئذ قائم مع نفسه حيث وجد منه مقدار ما يصرف به عنه الحزن والألم ويجلب له به الفرح والسرور ولو كان مفقوداً ـ كما يزعم عن نفسه ـ لكان قائماً بالحق تعالى لا بنفسه والحق تعالى ما أرسل اليه ذلك البلاء إلا ليدركه به الحزن والألم كما ورد أن عارفاً بالله تعالى جاع يوماً فبكى فقال له مريده : أتبكي من الجوع ؟ قال : ما جوعني إلا لأبكي ، وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بكى يوم موت إبنه ابراهيم ، ومعلوم انه أكمل حالاً من ذلك الولي الذي ضحك لما مات إبنه فقيل له في ذلك فقال : كيف لا افرح بشيء اراده الله تعالى ، وقد اتفق لي هذا لما مات

من بني إذ كان في عمره قصة بعض صحابي عرشي في ذلك فهم أقدار أن أضبط نفسي
من الفرح والسرور حتى غلب علي التصحيف في ذلك فكتمته جهدي كي لا أنسب عنده
في شيء بعض ، فعرفت نفسي(١) فنقص عند أحس حينئذ بعدم جرياني على مقتضى
ما أراده الله تعالى من جعل البكاء علامة عليه . والخلاص أن العبد ما دام في مجاهدة
النفس والهوى في تشغل فيتلذذ بالبلاء لنسيان به حينئذ ، فإذا غاب عن ذلك بشهود ربه
في كل شيء على الأمر ، فمطلق معنى الكمال في حقه جريانه على مقتضى طبعه إذ لا غير
الله عنده حينئذ فكيف يتكلف لشيء ولا شيء .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف » . وقال تعالى
له عليه السلام : (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) ،
وعدم التكلف يقتضي جريان الأمور على حسبها ، فإن قلت في هذا الذي ذكرت اتباع
الهوى والاسترسال مع ما تقتضيه الطبيعة وتميل إليه النفس وهو مذموم شرعاً فكيف
يكون الكمال بالتكلف على الوجه المشروع(٢) ؟ قلت : اتباع الهوى بهدى من الله تعالى
للعبد ، وهو رفع حجاب النفس عنه ليس بمذموم شرعاً . قال تعالى : (ومن أضل
ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) . فلو اتبع هواه بهدى من الله زالت نفسه
بهداه ولم يكن اتباعه هواه مذموماً حينئذ شرعاً وهو المراد بعدم التكلف .

(ومن سعد بنعمته) الخاصة وهي التي أسداها الله تعالى إلى عبده من العطايا
والمنح في الظاهر والباطن مما يقتضي الفرح والسرور (فهو موجود) مع نفسه
حينئذ حيث وجد منه الفرح بغير الله تعالى ، فلو تلذذ بنعمة ربه لا نفسه لم يكن
هو موجوداً عند نفسه ولم يكن عدم الفقد إذ لم يتكلف التلذذ بنفسه إذ لا نفس له مع
ربه لا حساً ، وقد نسب الله تعالى النفس إليه في قوله : (ويحذركم الله نفسه)
كما نسب الروح إليه أيضاً في قوله : (ونفخت فيه من روحي) ، وهذه
النسبة نظير نسبة العبد كله إليه تعالى في قوله: (لما قام عبد الله يدعوه) وما نسب

---

(١) « ب » ثم عرفت نفسي .
(٢) « ب » فكيف يكون الكمال بالتكليف على غير الوجه المشروع ؟ .

الله على النفس إليه إلا بعد أن خرج العبد عنها فلو لم يخرج عنها كانت نفس العبد لا نفس الرب ، فلا يتم مقام الفقد حينئذ .

(فقد أفقدهم) أي أفنى الحق تعالى العارفين به (عنهم) أي عن نفوسهم التي عرفوها أنها نفوسهم ، فنسبها الله تعالى عندهم فعرفوه بها فكانت نفسه لا نفسهم وحذرهم الله تعالى منها فكانت نفسه لا نفسهم وحذرهم الله تعالى منها أن ينسبوها إليهم بعد ذلك حيث قال تعالى : (ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد) وأخبر تعالى أن يحذرهم نفوسهم إليه وأخبر أنه رؤوف بهم إذا تركوا نفوسهم له حذراً منهم لعدم قدرتهم على تحمل مشقتها في الدنيا والآخرة (ذهب) عنهم حينئذ (التلذذ بالبلاء والنعمة) فذهب من يتلذذ منهم بذلك وهو نفوسهم فبقي البلاء والنعمة تنزل على العبد من جهة الرب على البلاء والمحنة في مقام فقده فلا يجد أن أحداً يتلذذ بها ولا يتألم بها فترجعان إلى الرب تعالى فيتلذذ منه مقتضاهما في العبد فيظهر الله تعالى في ذات العبد مقتضاهما من الحزن والفرح فيكون العبد حينئذ قابلاً ذلك بربه لا بنفسه فلا يخرج عنه مقام الفقد ، وقد يظهر بمقتضى طبعه وبشريته .

ثم شرع في ذكر التفاوت بين مقام المحبة ومقام الفقد لأن صاحب مقام المحبة محب ، وصاحب مقام الفقد محبوب وشتان بينهما فقال : (المحب) الصادق لله تعالى وهو الذي انجلت له محبته كل شيء ، ولو نفسه وذهب عنها بعد الأشياء كلها فرجعت إلى محبة الحق للحق (أنفاسه) أي كلماته التي يتكلم بها من الأنفاس من فم المتكلم وهي الهواء الداخل والخارج إذا خرجت من الحروف ومرت على قوالب مخارج الحروف صار حروفاً ثم تركبت بترتيب مخصوص فصار كلمة ثم ترتبت الكلمات فصارت كلاماً ومنه شيء غير الهواء الخارج من الحروف المسمى نفساً ، فمن هذا السبب نعبر عن الكلمات بالأنفاس (حكمة) أي أخبار عن حقائق الأمور لا بما يظهر منها كشفاً عنه ، والحكمة في الأصل إتقان الكلمات بحيث لا يكون أتقن منها[1] ، وجميع مخلوقات الله على هذا وصفتها كما قال الإمام الغزالي رضي الله عنه . ليس في الإمكان

(١) « أ » بحيث لا يمكن اتقن منها .

ابدع ما كان وما كان يكون ، وموجود ... من الكائنات ... المبدع
... وجود له على ما يوجد في الحس والعيان لأن ما الموجود الآن انقص إبداعاً وكان
الانقص محال في صنعة الله تعالى ... بشيء مع السموات والأرض ، والنقص على الله
محال فابدع منها محال .

والحكمة على العلم بهذا الاتقان الذي في الكائنات وهو علم حقائق
الأشياء على ما هي عليه من قيامها بالحق تعالى وهلاكها في وجهه تعالى بالنسبة الى وجهه
سبحانه الى غير ذلك[1] من المعارف الإلهية والحقائق الربانية ، وهو علم أهل الله تعالى
الذي اختصهم به دون غيرهم منه تعالى عليهم ذلك من غير واسطة أحد ليكون مقدمة
للعلم به تعالى .

قال عز وجل : (يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) وقال تعالى عن داود عليه السلام (وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ
وَفَصْلَ الخِطَابِ) والحكمة ما ذكرنا من معرفة حقائق الكائنات وفصل الخطاب
أي الخطاب الفاصل وهو خطاب الله تعالى نفسه بنفسه في الأزل حين فصل فيه ما يكون
من هذه الكائنات الخارجة من العدم شيئاً فشيئاً وهو علم بكلمات الله التامات وهو
علم الأمر والحكمة علم الخلق ، فيكون الذي آتاه الله تعالى لداود عليه السلام هو
الخلق والأمر [illegible] رجوعه إلى الله تعالى والله تعالى له الخلق والأمر ، فصار هو أيضاً
له الخلق والأمر خلافة إلهية ، قال تعالى: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض)
والخليفة له ما للمستخلف (والمحبوب) لله تعالى وهو المفقود عند نفسه أعلى
[illegible][2] من المحب ، لأن المحب طالب والمحبوب مطلوب ، والطالب يتعب على مقدار مطلوبه،
وطالب الله تعالى مطلوبه عظيم فتعبه عظيم ، والمطلوب راحته على مقدار طالبه ، ومطلوب
الله تعالى طالبه عظيم فراحته عظيمة ، وشتان بين التعب العظيم والراحة العظيمة ، وحقيقة
المحب والمحبوب الحضرة العلمية الأزلية ترجع الى الله تعالى من كونه أحب نفسه
بنفسه فهو المحب نفسه وهو المحبوب نفسه ، وعلى كل واحد علامة خارجة من العدم
تسمى العالم لأن غيره يعلم به فهي علامة عليه ، فالمحب من كونه تعالى محباً طالب

(١) « ب » وهلاكها في وجهه تعالى الى غير ذلك .
(٢) « ب » مرتبة .

ابدا والمحبوب من كونه تعالى محبوبه مطلوب أبداً ، وهما مقامان معوزان على كل شيء ، فكل شيء محب بفرد محبوب لغيره ، وللعارف المزية على غير العارف كما قال تعالى : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب).

(النفثات) أي كلماته التي ينفث عن قلبه بها من حمل المعاني (قدرة) يقدر بها على إيجاد كل شيء أراده وذلك لأن المحب اذا كان مشغولا بجمع أوصاف محبوبه ومنهمكاً في معرفته بحسب جهده حتى صدرت النفثات أي كلماته التي ينفث بها عما يجده في صدره مما هو مشغول به ومنهمك فيه حكمة يحدث بها قلب الناسي عن المحب والاعراض عن محبوبه لاستيلاء الغفلة عليه ، فإن المحبوب مشغول بإظهار صفاته محبه ومنهمك في معرفته بحسب جهده حتى صدرت النفثات أي كلماته التي ينفث بها عما يجده في صدره مما هو مشغول به ومنهمك فيه قدرة يوجد بها كلما أراد إيجاده من آثار جماله وانوار كماله .

ثم ذكر التفاوت بين مقام التقوى ومقام المحبة بقوله : (العبادات) جمع عبادة وهي ما يفعله المتقي في مجاهدة نفسه طلب مرضاة ربه امتثالاً واحتسابا (للمعاوضات) جمع معاوضة اسم لما يعوضه الله تعالى للعبد جزاء على عبادته له وهي الثواب في الآخرة والنجاة من النار ، يعني ان العبادات موضوعة شرعاً للمعاوضات سواء كان قصد العابد بها المعاوضات أو لم يكن قصده ذلك بل أخلص فيها لوجه الله تعالى (والمحبة) أي محبة الله تعالى وحده في عين محبة كل شيء دون ذلك الشيء (للقربات) جمع قربة إسم للحالة التي يكون فيها العبد منكشف البصيرة عن تجليات الحق تعالى في حقائق الأشياء ، يعني ان المحبة موضوعة شرعاً للقربات متى وجدت في العبد وجدت قربته الى الله تعالى على أنواع كثيرة ، فالمحبة اشرف من العبادة حيث كان وضع العبادة للمعاوضة ووضع المحبة للقربة ، والمعاوضة ارادة غير الله تعالى والقربة إرادة الله تعالى .

واعلم ان العبادة والمحبة جهتان يتعاقبان على شيء واحد ، وهو القيام بأمر الله تعالى الذي قام به كل شيء امتثالاً واجتناباً ، وإنما يفترقان بالقصد القلبي ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر الى صوركم وأعمالكم وإنما ينظر الى قلوبكم » ، والمحبة في القلوب ، فنبه عليه السلام بهذا الحديث على فضيلة مقام المحبة على مقام العبادة ، فإن القائم بامر الله تعالى اذا عزل نفسه عن التصرف فيه وولى عليه ربه كان يتلقى جميع ما يصدر منه من ربه فلا يجد له عملاً حتى يسميه[1] عبادة بل يجد ذلك منة من الله تعالى عليه لا عبادة منه لربه ولا يجد في قلبه غير المحبة لله تعالى فقط فيقوم[2] في مقام المحبة بلا عمل كما سيأتي في كلام الماتن[3] قدس الله سره ، واذا لم يعزل نفسه عن التصرف في امره كان يتلقى جميع ما يصدر منه من نفسه لربه فيجد له عملاً فيسميه عبادة ويحتجب عن مقام المحبة لله تعالى فيكون في مقام العبادة وفي ظاهر الامر لا فرق بين صاحب مقام المحبة وصاحب مقام العبادة ، اذ كلاهما قائمان بشيء واحد ولكن الفرق بينهما بحسب القلوب ، فالله تعالى ينظر الى قلب العابد فيجده مشتغلاً بعبادته تعالى معرضاً عن تلقي من العبادات منه تعالى ، مدعياً ان له عملاً يستحق به جزاءه ، وينظر الى قلب المحب فيجده مشتغلاً به تعالى لا يلتفت الى غيره ، متلقياً جميع العبادات حتى المحبة التي فيه منة من الله تعالى عليه معترفاً انه لا عمل له فاذا خرجت خلع الاحسان والانعام من خزائن الحق تعالى خلع تعالى على العبد خلع المعوضات والمثوبات وبقي المحب بينهما لا يلتفت الى شيء مما به ملك يقول ماذا تريد ؟ فيقول : أريد ان لا أريد ، ثم ينظر الملك في امره فاذا يحكم عليه ، فلا يرى له أنسب من خلع القربات وخلع المباحة عليه تعالى لانه لا يحبه شيء غير ذلك اذ كل ما سواه عنده باطل هالك ، فعند ذلك هو عين المحب عرف محبوب وبدرك المحبوب والمطلوب كما قال تعالى فيما ورد من الحديث القدسي (أعددت) أي هيأت (لعبادي) أي العابدين في بحي

---

(١) « ب » عملاً يسميه .

(٢) « ب » منه لربه فيقوم في مقام العبادة .

(٣) « ب » المتن .

أسبلهم في ستري أجلهم لا في عزتهم، فهم لا يعرفهم أحد غيري ستر عليهم من
ذاتي أني بهم الذي جعلته لهم عند ربهم غيري في حجب ذاته تحبيهم فلا يستطيع
عبادي وهم عندي أحب من تركهم كل من سواي حتى عبادي فلم يشغلوا عني بشيء غيري
وأنا لم أتركهم مع خلق من عبادي بشفقتي وعنايتي بهم حفظت عليهم من توجه غضبي على من عصاني
(الصالحين) في بواطنهم وظواهرهم لدخولهم في حضرتي والجلوس على سرائر
مجدي وقدمي (ما لا عين رأت) من عيون الخلق مطلقاً ولا أعينهم وذلك
لظهوري في أعينهم فإني أريهم ذاتي على التنزيه المطلق فيرون ما لا عين رأت (و)
أسمعهم لذيذ خطابي فيسمعون ما (لا أذن سمعت) من آذان الخلق مطلقاً
ولا آذانهم (ولا خطر) بذات المرئي وذات المسموع (على قلب بشر)
في الدنيا ولا في الآخرة ولا على قلوبهم أبداً(1) فضلاً عن أن تكون عين رأت مثله أو أذن
سمعت نظيره .

وعلامة تحقق هذا الذي ذكرناه لعبده الصالح بحكم حصول هذا التجلي
الخاص الذي لأهل هذا الوجود في عالم الدنيا كشف الحجاب عن عين البصر والبصيرة
وأذن السمع والقلب عن الأذن الجسمانية والروحانية فرأى ذات الله عز وجل وسمع
خطابه فيعرف أنه رأى ما لا عين رأته وسمع ما لا أذن سمعته(2) ولا خطر بذات على
قلب بشر على كل حال .

وأما التجلي العام الذي لأهل هذا الوجود في عالم الدنيا فقد كشف الله تعالى فيه
الحجاب عن عبده الصالح في جنة الدنيا فرأى الصالح ما لا عين رأت من عيون أهل الغفلة
والغرور، وسمع الصالح ما لا أذن سمعت من آذانهم ولا خطر ذات المرئي والمسموع على
قلب بشر منهم أبداً، ولكن هو في الآخرة أعلا وأتم منه في الدنيا ولا تزال رؤية الله
تعالى وسماع خطابه كشفاً وترقياً فيهما عند من الدنيا إلى الآخرة وفي الآخرة
يزداد ذلك بمراتب ودرجات لا نهاية لها أبد الآبدين ودهر الداهرين، وكلما ترقى

(١) « ب » ولا في الاخرة ايضا ولا على قلوبهم .
(٢) فيعرف انه راى ما لا عين رات وسمع ما لا اذن سمعت .

عنه في ... مرتبة وجده فيبقى محجوبا عنه ولا يستر بكشف ابدا ولا يسدل حجاب عنه وإنه الاخفى حجاب الاخفى والاخفى اسرار الأخفى •

وفي رواية اخرى بحسب المقتضى المذكور (ما أرادوني) يعني العباد الصالحين [illegible] إلا لأجلي (حتى) أي لاجلي لا لاجل نفوسهم وانا اعلم منهم ذلك (اعطيتهم) في مقابلة ارادتهم لي على الوجه المذكور (ما لا عينٌ رأت) من ظهور جمالي وتجليات كمالي (ولا أذنٌ سمعت) من لذة خطابي يوم سؤالي وجوابي •

ثم ذكر كيفية وصول العبد الى مقام المحبة فقال : (إذا أفنيت) يا أيها العابد ، أي محقت الحق تعالى (عن هواك) أي عن ميلك الصادر منك الى أي شيء كان (بحكمته) أي بمعرفة حقائق الاشياء على ما هي عليه بالنسبة الى تجلي الحق تعالى كما ينبغي (و) افنيت (عن ارادتك) به تعالى كما قال بعضهم : [illegible] من جملة المواطع عنه تعالى شهوة الوصول اليه (بالعلم) الذي تجده في قلبك من غير فكر ولا [illegible] ، ويحتمل ان يكون المعنى إذا افنيتك عن هواك أي عن ميلك الى الشهوات والمحرمات بحكمته اي بمعرفة عواقب الامور فان عقبى ذلك الويل والعقاب[1] في الآخرة وهو حكمة الشهوات والمخالفات ، وإذا أفنيتك عن إرادتك أي ميلك الى المقدورات والمواقعات بالعلم الذي يكشف لك أن[2] جميع الامور التي تصدر منك هو حقيقة [illegible] على حسب ما قدرها عليك أردتها أم لم تردها (صرت) حينئذ (عبدًا) له عز وجل لا لغيره من جميع ما تهوى وتريد (صرفًا) أي خالصا في ظاهرك وباطنك على كل حال (لا هوى لك) في شيء من الاشياء مطلقا عن [illegible] المتجلي عليك بكل شيء (ولا إرادة) لك في غيره أبدًا وإنما هواك به وارادتك له في عين هواك لكل شيء وإرادتك كل شيء ، لأن الأشياء كلها هالكة الا وجهه ، فوجهه هو المهوى والمراد عندك (تجده) أي حين صرت له عبدًا صرفًا

(١) « ب » الوبال والعذاب •

(٢) « ب » يكتشف لك عن •

(بكسبها) أنه سبحانه وتعالى (بها عن غيبتها) أي كانت مستورة عنه بهواها وإرادتها غيره من قيود هذا السير عنه وحصر نفسها مستورة عنه بهواها وإرادتها به عنه ، ثم زال هذا السير الذي عنه الآن (فتضمحل) أي تمحو وتفنى بالكلية (بفوزها) أي فوزها به عنه (في) ضمن نفسها (الوحدانية) التي لله تعالى (بشتى العدد) كما هو في حقيقة الأمر على معنى أنه يزول الالتباس الموجود عن بصيرته التي تبصر الأمر الإلهي بنسبته إلى بعض ما هو عليه متعلق به من الكائنات .

قال تعالى (والله بصير بالعباد) أي هو بصير بهم بهم ، وفي حديث القرب بالنوافل : «وكنت بصره الذي يبصر به» (ويبقى الرب تعالى) على ما هو عليه أزلا وأبدا ، وهذا معنى قول بعض المحققين حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل[1] . وما أحسن قول الشيخ عفيف الدين التلمساني قدس الله سره في هذا المشرب العذب قوله :

أرى رسمها عندي يعوض عن رسمي ... فها بتها في الحي تدعوني باسمي

وهل بعد ضوء الشمس تدرك نجمة ... وهل يهتدي ساري على الأفق من نجم

إذا ما دعا الداعي بعلوه فسحبي ... ولكن إذا أفتك عنه على علم

وقد كنت أن الغيث إلا أنها ... [illegible] إذا حققت من عين اسم الوهم

فمن خمرة والسكر وصف [illegible] ... عشقت إلا سكره من هوى نعم

[illegible] ... فما تجوز اللاحي سبيلا إلى العلم

(الشريعة) وقد تقدم بيانها (كلها قبض) لأنها حكم الله تعالى على نفوس المكلفين والنفس تبقى تحت حكم غيرها القبض (والحقيقة) بشريعة على ما هي عليه تبقى بعلم الذي وهو الذي يجده النفس على ربه عز وجل بطريق الكشف الإلهي في معاني كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (كلها بسط) لأنه لا يبقى للنفس وجود حتى توجد عندها نفسها من حكم غيرها عليها،

---

(١) « ب » ويبقى ما لم .

إذ يتحقق منه نفس عدمها الأصلي فتصير الحجب التي عليه بعينه معه رتبة .

فالحق سبحانه وتعالى هو الحاكم من حيث هو في حضرة الربوبية ، والمحكوم عليه من حيث العبد(1) في حضرة العبودية (إذ يعرفه) بمعنى أن الذي ينتجه العلم اللدني الواصل الى العبد من الله تعالى بلا واسطة كعلم الخضر عليه السلام الذي قال الله تعالى فيه : (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) في الآية الأولى من الله تعالى وشرحها منه تعالى أيضا (كلا بل ران) من الغفلة وبه حيث احترق الحجاب بينه وبين ربه فيصدر منه مع ربه ما لم يصدر من عبد مع مولاه ويحتمل منه ربه ما لم يحتمله من غيره . قال حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه : لا يستبعد رضاء الله تعالى عن العبد بما يغضب به على غيره ألا ترى الى قول موسى عليه السلام : (إن هي إلا فتنتك ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) . وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن من أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل ، ولم يحتمل من يونس عليه السلام ما دون ذلك لكونه أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بما عوقب به ، وذلك لاختلاف المقامات أو ما سبق في الأزل من التقاسم ، وانظر كيف احتمل لإخوة يوسف عليهم السلام ما فعلوه بيوسف عليه السلام ولم يحتمل لعزير في كلمة واحدة سأل عنها في القدر ، وقال الحسن البصري : « احترقت أخصاص البصرة إلا خصا وسطها فقيل لصاحبه : لم يحترق خصك ؟ قال : أقسمت على ربي أن لا يحرقه(2) ، ورأى أبو حفص رجلا مدهوشا فقال : مالك ؟ قال : ضل حماري ولا أملك غيره ، فوقف أبو حفص وقال : لا أخطو خطوة ما لم ترد حماره ، فظهر حماره فورا(3) .

قال الغزالي رضي الله عنه : وهذا يجري لذوي الأنس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم » . وقال الجنيد رضي الله عنه : « أهل الأنس يقولون في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة » ــ انتهى ــ .

---

(1) « ب » من حيث العبودية .
(2) « ب » ان لا يحرقها .
(3) « ب » وقال لا اخطو خطوه ما لم ترد حماره فورا فظهر حماره فورا .

فمعنى قوله : هي كفر عند العامة انهم لا يعرفون معناها الذي يقصده أهل الانس في خطاب الله تعالى وهم في مقام الادلال والأنس كما لا يعرف الاكمه ما يقصده البصير باللون الابيض والاحمر ونحوه •

(طريقتنا) معشر اهل الحقيقة والفقراء الموحدين لله تعالى توحيداً ذوقاً شهوديا والمراد بطريقتها السيرة والخلق اي هم فيها في الناس والظاهر (كلها محبة) لله تعالى فقط ، وهي ميل القلب الى شهود الرب يعني انا دائماً مائلون[1] الى الله تعالى عن كل شيء راغبون في شهوده عن شهود كل شيء ، مشتغلون في معرفته عن معرفة كل شيء ، متلذذون بمشاهدته في كل شيء عن مشاهدة كل شيء ، لا نعرف ديناً ولا طاعة ولا اعتقاداً[2] ولا شيئاً من انواع العبادات غير المحبة له تعالى •

واما ما يظهر علينا مما يسميه غيرنا ديناً وطاعة واعتقاداً[3] وصلاة وصوما وزكاة وحجاً ونحو ذلك من انواع العبادات فهو عندنا من ونعم من الله تعالى علينا ، لا حول لنا في ذلك ولا قوة إلا به ، فنحن موصوفون به وهو الفاعل له وحده فينا كما قال الله تعالى لنبيه عليه السلام : (واعْبُدْ رَبَّكَ حتى يَأْتِيَكَ اليقينُ) يعني إذا جاءك اليقين فلست بعابد حينئذ لأن العبد يحتاج الى نفس يعبد ربه بها ، فاذا انطمست النفس بانوار اليقين بقي العبد ساكناً تحت امواج المقادير تحركه كيف شاءت ، فاذا عبد فليس بعابد بل هو موصوف بالعبادة في نظر غيره من ارباب النفوس وليس موصوفاً بها في نظره هو كنظر ارباب القلوب ، فقد انقلبت عينه في عينه وهو على ما هو عليه من قبل ، فهذه طريقة الجماعة من اهل الله تعالى (لا عمل) أي ليست طريقتنا عملا ، لأن العمل له عامل ومعمول له وهي ثلاثة : عمل وعامل ومعمول له ، فقد فات التوحيد مع التثليث بل حقيقة ذلك ان الله تعالى كما خلق العبد باعضائه وقواه الظاهرة والباطنة خلق له جميع ما يصدر منه من اعماله الباطنة والظاهرة قال تعالى : (واللهُ خلقكُم

(١) « ب » اننا دائمون مائلون •
(٢) « ب » لا نعرف ديناً ولا اعتقاداً •
(٣) « ب » مما يسميه غيرنا دينا واعتقاداً •

وهم يعملون) فهي الغفلة [illegible] ينظر العبد إلى نفسه ولا غفلة لمن هو يشاهد فعل ربه لأنه نظر إلى نفسه وأقبل على ربه ، وأهل المحبة لا يعملون على [illegible] فلا عوض لهم ينتظرونه ، فلا تصور لهم [illegible] على كل حال ، فليس الغفلة في حقهم بل هو في مرتبة العقلاء المحجوبين عن الله تعالى (و) [illegible] ([illegible]) [illegible] على كل شيء [illegible] (لا يلتفت) مع شيء من الأشياء مطلقا لا نفسا ولا غيرها .

[illegible] الأول بقوله : (إذا دخلت) أيها العامل (في العمل) المحصل به على (كنت) متلبسا (بنفسك) أي مشتغلا بحصول حظ من الله أو فوز لديه فأنت حينئذ مشغول بحظوظ نفسك لا بربك .

(وإذا دخلت في المحبة[1]) المتوجه بها إلى (كنت) متلبسا (بربك) عز وجل لا بنفسك فقصدك بمحبتك فيه [illegible] ربوبيته معبودك لا [illegible] او فوز منه (فالعمل) لله [illegible] ([illegible] مستقل به) أي العامل [illegible] به مشغول به منهمك فيه ويلزمه[2] من ذلك أن لا يكون ناظرا إلى ربه ولا قاصدا له ولا مشغولا به ولا منهمكا فيه وذلك يقتضي [illegible] عن المحبوب واقفا على العبادة فهو واقف عند كثرتها وقلتها [illegible] (والمحب) لله تعالى ([illegible]) أي [illegible] ويلزم من ذلك أن يكون ناظرا إلى ربه مشتغلا به معرضا عن كل ما سواه ، لأن المحبة ليست كالعبادة يلزم من الاشتغال بها الإعراض عن المعبود وذلك بسبب أن المحبة هي محبة واحدة من الرب إلى العبد ثم تنقلب عنه [illegible] من العبد إلى الرب كما قال تعالى : (يحبهم ويحبونه) فإذا كانت في الرب للعبد لا تقتضي إعراضا عن العبد بل إقبالا عليه ، وإذا كانت في العبد للرب لا توجب أيضا إعراضا عن الرب بل إقبالا عليه بخلاف العبادة فإنها ليست[3] من أوصاف الرب بل هي من أوصاف العبد خاصة وهي مما يتميز به[4] العبد من الرب [illegible]

---

(١) « ب » (اذا دخلت في المحبة) .
(٢) « ب » ويلزمه .
(٣) « ب » العبادة فانها ليت .
(٤) « ب » مما يتميز بها .

الربوبية في الرب خصة يتميز بها الرب من العبد ، ومن لازم ما يميز ان يوجب اعراض المتميز عن غيره ، فان قلت : ورد أن مجنون ليلى ما جاءه وقلت له : ، أنا ليلى .. قال لها : عني اليك فان حبك شغلني عنك . فقد تصور ان المحبة اشغلت المحب عن المحبوب فأوجبت الاعراض عنه ، قلت : لم تكن ليلى حين جاءته هي محبوبته لانتقال محبته عنها من حيث هي ليلى الى محبته لها من حيث التجلي الذي اتحجبها في هذا الوجود ، فقد رجعت محبته الى اصلها لما كان[1] يحب ليلى ويرغب في لقائها وهو غافل عن حقيقة ما وقعت عليه المحبة ، فلما انكشفت عن بصيرته غبار الاغيار لمعت له الأنوار من خلف هاتيك الأستار فأعرض عن الدار واقبل على المدار ، لأن السر في الساكن لا في المدار ، وكلامنا[2] هذا يقتضي ان مجنون ليلى قدماً في التحقيق على طبق ما ذهب اليه الشيخ الاكبر رضي الله عنه والله ولي التوفيق .

(إذَا عَرَفْتَهُ) يا ايها العبد أي[3] عرفت الله تعالى من عرفت نفسك وغيرك من حيث تجليه تعالى بنفسك وبغيرك في حضرة علمه القديم وانكرت نفسك وغيرك من حيث وجود آخر غير وجوده تعالى المتجلي به فلا وجود الا الله وحده ، وأنت وغيرك موجودون بوجوده لا بوجود آخر غير وجوده من غير حلول ولا اتحاد (كَانَتْ) حينئذ (انْفَاسُكَ) أي كلماتك التي تنفس بها عما يجده قلبك من المعاني التوحيدية والمعارف الالهية والحقائق الربانية (بِهِ) أي بحوله وقوته لا بحولك وقولك وهو قوله عليه السلام في حديث المتقرب بالنوافل : «كنت سمعه وبصره ولسانه» ثم قال : « وبي ينطق » يعني لا بنفسه اذ لا نفس له لزوالها بمعرفتها (وحركَاتُكَ) الظاهرة والباطنة الاختيارية والاضطرارية في الخير والشر منسوبة كلها (لَهُ) سبحانه وتعالى عندك حيث هي صادرة منه تعالى المتجلي بك في صورتك وانت في علمه عدم محض لا وجدت ولا توجد[4] ولا انت موجود مطلقاً ، وكذلك جميع ما هو حادث

(١) « ب » كما كان .
(٢) « ب » وكلا منا .
(٣) « ب » يا ايها العبد اذا .
(٤) « ب » ولا توجدت .

شك (وإذا جهلته) عز وجل بأن جهلت أن الغني وغيره موجودان بوجود مستقل غير وجود الله تعالى وهو فعله تعالى لا محدث الأشياء في الحوادث الكونية (كنت) أنت حينئذ (حركة ثابتة) كما أي متحركا به في الشيء والمظاهر اختيارا واضطرارا في الخير والشر ، ومع ذكر الأشياء لأن الجاهل بالله تعالى لا يحس له نفس بها عنه تجد في صدره من الهموم إذ لا علم له وإنه موضع العبد حركات في قلبه ولسانه (شك) أي مشوبة عقائده بشك لاستقلال نفسه وغيره في زعمه بوجود آخر غير وجود الله تعالى لأنك جاهل به تعالى ، والجاهل به وجب الانقطاع عنه .

(العابد) لله تعالى وهو الذي يبذل نفسه امتثالاً لأمر ربه واجتنابا نهيه ظهراً وبطناً سراً وجهراً (ما له سكون) أي إمساك عن الحركة النفسانية في عبادة ربه لأنه متى سكنت حركة نفسه عن العبادة خرج عن كونه عابداً ، فهو متحرك النفس دائم في طاعة مولاه قائم فيها بنفسه لربه لا بربه (والزاهد) أي المعرض بنفسه عما سوى الله تعالى من الدنيا والآخرة وأعمالهما فوق مرتبة العابد (ما له رغبة) أي ميل ومحبة شيء سوى ربه تعالى فهو معرض بنفسه دائماً عن الأغيار راغب بنفسه في شهود الملك القهار فلم يبرح عن الشرك الخفي في ليله والنهار ، إذ هو مع نفسه وهو يظن أنه مع ربه وما زهد به عين ما زهد عنه لو كان من أولي الابصار ، قال القائل :

أأزهد في سواك وليس شيء أراه سواك يا سر الوجود

(والصديق[1]) بتشديد الدال المهملة مكسورة ، وهو الكثير الصدق في أقواله وأفعاله واعتقاداته ، أو الكثير التصديق بما يجب التصديق به من الغيب وغيب الغيب ، والصديقية مقام من مقامات القرب ، وهي استواء السريرة والعلانية في العبد فوق مقام الزاهد والعابد (ما له اركان) أي اعتماد واتكال بظاهره وباطنه في جميع الأمور على غير من صدق في عبادته و زهده عما سواه قولاً وفعلاً واعتقاداً

---

(١) « ب » (الصديق) .

وهو الله سبحانه وتعالى ومتى اعتمد(١) على غيره تعالى فقد خرج عن مقام الصديقية فليس له اعتماد على شيء ولا على نفسه فهو القائم بنفسه لله (والعارِفُ) بالله تعالى المتحقق في معرفته العبد والرب والقائم بنفسه في عين قيامه بربه (مِنْهُ) بنفسه في غير تجلي ربه (حولٌ) أي تحول وانتقال من مكان إلى مكان أو حال إلى حال أو مقام إلى مقام، بل انتفاء في جميع ذلك بنفسه القائمة في حضرة تجلي ربه بربه، فهو بنفسه بربه لا بنفسه فقط ولا بربه فقط، فإن الذي بنفسه دون ربه صاحب شرك خفي، والذي بربه دون نفسه صاحب سكر واستغراق ليس يعرف بنفسه ولا بربه، والعارف عارف بهما قائم بهما ليس عنده إلا واحد، ولكن له حضرتان، فهو يعطي كل حضرة حقها ويقيم الميزان ذا الكفتين واللسان.

(ولا لَهُ قُوَّةٌ) على شيء مطلقاً إلا بنفسه المعدومة في حضرة ربه الموجود (ولا اخْتِيَارٌ) له في أمر من الأمور على كل حال إلا بنفسه التي هي عنده تجلي ربه العالم به عليه (ولا إرادَةٌ) له أصلاً أي ميل إلى شيء من الأشياء إلا بنفسه الظاهرة له من ربه في تجلي ربه عليه (ولا حركةٌ) له أصلاً (ولا سكُونٌ) في نفسه وظاهره إلا بنفسه التي هي عين تجلي ربه ومن حيث صورة المتجلي بها نفسه.

واعلم أن تجلي الحق تعالى أي ظهوره في الصور غير ممتنع شرعاً ولا عقلاً، أما شرعاً فقد ورد في صحيح مسلم: أن الحق تعالى يتحول يوم القيامة لأهل المحشر في غير صور اعتقاداتهم ويقول: «أنا ربكم» فيتعوذون منه ثم يتحول لهم في صور اعتقاداتهم فيقولون: «أنت ربنا» فيتبعونه، والحديث طويل، فقد صح ظهوره تعالى في الصور، وظهوره تعالى لموسى عليه السلام في صورة الشجرة ذات النار والنور، وهي شجرة الزيتون في طور سيناء، حق بلا شبهة، ثم من جهتها نودي يا موسى إني أنا ربك على حسب ما ورد في القرآن العظيم، وأما عقلاً فإن الملائكة والجن قادرون على الظهور في أي صورة شاءوا من غير أن تتغير صورهم الأصلية مما هي عليه وهم حادثون، فكيف الله

(١) «ب» قولاً وفعلاً واعتقاداً ومتى اعتمد.

تعالى نفسه لا تقدح على ذاته وهو على ما هو عليه من التقديس ، ... قدرته الحق والملائكة لانهم حادثون فانه بحسب تلك الصورة في صورة انهم غير حادث ، قلت : لو تصور في صورة وهو في ذاته مقدس ... تصور لم يلزم ان يكون حادثا كما يفهم بحث من لا علم له بكيفية تصور الملائكة والجن في الصور المختلفة من غير ان تتغير صورهم الاصلية ، وانما كان معنى التصور في الصور من قبيل التجسد العامة لشيء منا حين يستحضر صورة الشيء في نفسه من غير ان يتغير نفسه ولا تتغير هو عما كان عليه من قدر ملاءمة في العقل ولا في الشرع من تصور الحق تعالى لخلقه في صور مختلفة لا سيما وقد اطبق العقل والنقل على وصف الله تعالى بالعلم بكل شيء . قال تعالى : (والله بكل شيء عليم) والعلم اذا اظهر معلومه فقد تصور في صورة معلومه من اطلع على معلومه من غير ان يتغير هو في نفسه ، وهذه امثاله لا ينكرها الا جاهل بالحقائق او متعصب على ارباب الطرائق .

ثم لما فرغ من ذكر العارف الذي هو في مقام الصفات شرع في ذكر المستغرق الذي هو في مقام الذات ولم يذكر حرف عطف لعدم مناسبة مع ما قبله كأنه عالم آخر على حدة فقال : (الموجود) بنفسه في حضرة التجلي وجود الحق تعالى حيث هو في مقام العارف بعد فقد نفسه في نفس المتجلي الحق تعالى حيث هو في مقام الصديق كما سبقت الاشارة اليه (ماله) في نفسه (وجود) ولا في حضرة التجلي عنده غير وجود المتجلي من غير تجلي لخروجه عن الحضرات الالهية واندراجه في غيب الهوية فمقامه فوق مقام العارف كما قيل في هذا الوقت من النظم :

وجـود ثم فقـد للوجـود ويرجع بعد ذلك للشهـود
ونفيـه ويثبتـه التجلـي باكـرام لـه منـه وجـود
فمـن عين الى غـين تراه ومـن غين الى عـين الوجـود
مقام محمـد خـير البرايـا محل واستتار في القيود[2]

---

(١) « ب » انما قدرة .

(٢) « ب » تجلي واستار في القيود .

(إذا استأنست) أيها السالك في طريق الله تعالى (به) أي بالحق تعالى بل وحصل الأنس عندك بشهود عين قبلة أحسن العمل في حضرة تجلي ربك بك لا به تعالى من حيث هو فإنه لا أنس من هذا الوجه بالحق(1) تعالى أبداً ولا يمكن ذلك ، لأن المناسبة مرتفعة من الطرفين كما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه من أبيات له في « ترجمان الأشواق » :

وحشية ما بها أنس قد اتخذت　　　في بيت خلوتها للذكر ناووساً

ثم قال رضي الله عنه في شرح هذا البيت : إن هذه الحكمة العيسوية لا يقع بها الأنس ، فإن مشاهدة الذات فناء ليس فيها لذة كما قال السياري : ما التذ عاقل بمشاهدة لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة ، وجعلها وحشية أي أنها تشير إلى إمساكها(2) النفوس الشريفة ، وهي لا تألفه أنها لعدم المناسبة فلهذا جعلها وحشية – انتهى – فكون الاستئناس بالله تعالى غير ممكن لعدم المناسبة بين العبد والرب(3) .

وقول الماتن : محمول على استئناس العبد بنفسه الصالحة التي تجلى عليه بها ربه لا بربه كما ذكرنا ، ومتى استأنس بنفسه كان استئناسه بها من حيث أنها ظهور ربه عنده لا من حيث أنها نفسه ، فيقال استأنس بربه لأن نفسه في علم ربه هي التي يمده ربه منها فيتجلى عليه بها ، فلولا أن فيها سعادته(4) ما أسعده ربه أو شقاوته(5) كذلك ما أشقاه ربه ، قال تعالى : (الذي أعْطى كُلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى) وقال تعالى : (وما ظلمْناهُمْ ولكن كانوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون) ولولا أن أنفسهم لها أنفس مثلها في حضرة علم الرب تعالى ما كانوا أنفسهم يظلمون فيتجلى الحق تعالى بأنفسهم التي في حضرة علمه سبحانه على أنفسهم التي في ظاهر الكون ويظهر ما علم

---

(١) « ب » للحق .

(٢) « ب » كما قال السياري : ما التذ عاقل بمشاهدة قط لان مشاهده الحق سبحانه فناء ليس فيها لذة لعدم المناسبه فلهذا جعلها وحشية اي انها تشير الى امساكها .

(٣) « ب » وهي لا تألفه النها لعدم المناسبة بن العبد والرب ــ انتهى ــ .

(٤) « ب » سعادة .

(٥) « ب » شقاوة .

منها من خير أو شر واختير فضل منه أو شر غفل عنه فشغلهم في غفلة عن ربهم ، فاذا عرفوها عرفوا ربهم واذا جهلوها جهلوا ربهم .

قال تعالى : (فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) وفي الخبر : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ، والاستئناس بالرب هو الاستئناس بالنفس لكن في عالم التجلي لا في عالم الحقيقة ، واما الاستئناس بالحق تعالى من حيث هو لا من حيث تجليه في صورة النفس فلا يمكن الاستئناس به مطلقاً .

(استوحشت منك) أي من نفسك من حيث هي نفسك وعرفت منها ما ترى فيها من الوحشة والظلمة التي لا تزيلها عنها الا شهوده الحق تعالى بها .

ثم تكلم الشيخ رضي الله عنه في مشهد الانس عن الجناب الاقدس فقال : (من شغل) في دنياه وآخرته (بنا) أي من اعرض عن جميع الاغيار وتعلق بجنابنا (له) لاجل نفعه نفسه الدنيوي او الاخروي بان يكون مراده القرب الى الله تعالى والحصول على الدرجات العلى وسلامته من الشرك الخفي وانقاذ نفسه من المهالك في الدنيا والآخرة فقد (عميناه) عن رؤيتنا وشهودنا في كل شيء بسبب ذلك الغرض الحقير عندنا بالنسبة الى الذي قصده في اشتغاله بنا وانهماكه بمعرفتنا ، واذا عمي في الدنيا فهي في الآخرة كذلك ، قال تعالى : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) لان المرء يبعث على ما مات عليه كما ورد في الحديث ، وقد مات على الغفلة فيبعث عليها مع انه صرف عمره في الطاعة والعبادة والمجاهدة في الله تعالى ، فما بالك بمن صرف عمره في المعصية والاعراض عنه تعالى فهو أضل سبيلا ، ولا هو الأعمى فقط (ومن اشتغل) كذلك (بنا) واعرض عن كل ما سواه (لنا) أي لاجلنا لا لاجل نفسه بان لم يقصد شيئاً في اشتغاله بنا غير مرادنا منه من خلق الأشياء من اجله كما ورد في الخبر : « يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من اجلك وخلقتك من اجلي فلا تشتغل بما خلقت لأجلك عما خلقت لأجله » .

(بصيرته) بتشديد الصاد المهملة على صورة المبالغة أي جعلت بصره وبصيرته غير محجوبين عن شهود كل محسوس ومعقول فلا يحس بشيء ولا يعقل شيئاً إلا ويشهد في ذلك الشيء من غير حلول فيه ولا اتحاد به ، ومما نظمته في هذا المعنى :

سرك المراد لـه فكـان مـراداً   وجـرى بميـدان الفنـاء جـواداً
طلب الحبيب لاجله منـه ولـم   يطلب له مـن نفسـه ليـنادا[1]
فهو الذي شرب الحقيقة صرفة   فاختـال إطـلاقـاً وفـك قيـادا
وبدا بافلاك الوجود على الورى   شمس ... ... وبلادا

ولنا من النظم أيضاً :

عـرف المحبـوب فابتهجـا   وعـن الاكـوان قـد خرجـا
... ...   غير لحظ العـين نهب رجـا[2]
ضـاق حتى لو تكون لـه   وسعـه الـدارين ما انفرجـا
والـهوى والشـوق الفـه   لـم يـزل في الحب منزعجـا
لو لمـن يهواه كـان درى   منزلا مـن شـوقـه عرجـا
آه من لي لم أجد احـداً   عنـه بـالادراك لي بهجـا
ليـت لـو ألقى لـه سبباً   أو ارى لـي نحـوه درجـا
ذاب صبري وامضى جلدي   والـهواني احـرق المهجـا
رام بـالاكـوان يشغلنـي   عنـه كي اسلـو فشـوقي جا
بـي علبم غـير ان لـه   حكمـة تهزا بكـل حجـا

ثم بين ما ذكر فقـال (... ...) ... واضمحـل عنـك ... ... العوائق) ... ... من اعراض ... ... أو اعم من ذلك (يكشف) الله تعالى (... ... الحقيقة) التي عليها أمرك

---

(١) « ب » يطلب له من نفسه لينادا •
(٢) « ب » غير لحظ العين وهب رجا •

ومن كل شيء فلذا الحق تعالى بصره الذي يبصر به كما ورد في حديث التقرب[1] بالنوافل . فإذا كان الحق تعالى بصره الذي يبصر به انكشفت له حقائق الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر فإن الحق تعالى هو بصره الذي يبصر به على التنزيه المطلق في المبصرات فرؤيته [illegible] حقيقته وغفل عن الحقيقة لأنها واحدة وكل شيء بدونها . فقد انتفت عنه [illegible] كل شيء الذي هو به عرف الكثرة في الوحدة فبقي عليه أن عرف الوحدة في الكثرة (فنفى) أي صحح عنده بكليته (إرادتك) لله تعالى وأمر نفسي الا إرادة شيء مطلقا لا يريد الله تعالى ولا يريد غيره ولا يريد خيرا ولا شرا ولا يريد إرادة ولا يريد إرادة (فكشفت) الله تعالى (لك) حينئذ (عن) معنى (الوحدانية) التي هو موصوف بها على حد ما هو موصوف بها في حقيقته لا على حسب ما كنت تعلمه أنت من معنى الوحدانية في حقه تعالى من قبل (فتحققت به[2]) تعالى لا بنفسك إذ لا نفس لك حينئذ وما كان بالله تعالى كان حقا وما كان بنفسك كان باطلا لا محالة فتحصيل ما تعلمه من قبل هو والذي هو ما تعلمه الآن بالله تعالى فليهنك ذلك التحقيق (أنه) أي الله تعالى (هو) الموجود وحده (بلا أنت) أي أنت معدوم لا وجود لك (معه) سبحانه وتعالى الآن ولا وجدت معه في [illegible] ولا توجد معه من بعد . وكذلك كل ما هو سواه سبحانه وتعالى من جميع الأعيان لا وجد ولا توجد ولا هو موجود معه تعالى أبداً وإنما هو تعالى موجود وحده مع كل شيء وقبل [illegible] كل شيء ما كان في علمه شيء مطلقا . ولا شيء موجود في علمه [illegible] في نفسه ولا وجود له بالنسبة إلى الله تعالى البتة . كما أن الله تعالى موجود في أزله على ما هو عليه لا في عالم الأشياء . فمن أراده تعالى خرج عن عالم الأشياء [illegible] هو تعالى موجود لا غيره معه في أزله مطلقا .

([illegible]) أيها المريد مرة في الحضر والسفر (إليه) سبحانه وتعالى فله تطلبه تعالى منه ولا من غيره ولا تركت طلبه أيضا منه ولا من غيره بل كنت

---

(١) « ب » التقرب .

(٢) « أ » معنى الوحدانية (فتحقق به) .

جميع حقوقك منه تعالى من حيث أنك رحمت مسلماً اليه على كل حال (فقربك)
اليه حينئذ وادناك منه وخلعك على بساط الاستئناس معه لأنك سلمت اليه نفسك فسلم
اليك نفسه (وإن نازعته) من مصاف في الظاهر او في الباطن وجدته منه تعالى او
من غيره او تركت صفة منه تعالى او من غيره ولم تكن معه على حسب ما وصفه ثابت من
العطاء او المنع (أبعدك) عنه تعالى وصرفك عن حضرة القدس بما وصفه ثابت
من منازعة نفسك له سبحانه وتعالى كما طرد قبلك ابليس اللعين بسبب منازعته له تعالى
في عصيان آدم عليه السلام ، وذلك لأنك لم تسلم اليه فلم يسلم اليك فنازعته فنازعك ،
والجروح قصاص .

(إن تقربت بنفسك) أي طلبت القرب اليه تعالى (بعدك) أي بعدك بما توجبه
على إيجاد طلبك له تعالى قبل عين غير واستعماله إرادة نفسك مالكة (قربك)
حينئذ منه سبحانه وتعالى (لأنك لم تطلبه بغير قلبه وجدته بنفسه بمقتضى بعدك عنه وهو
إرادة نفسك (وإن تقربت بإرادته) سبحانه وتعالى (بك) أي بسبب
إرادته عنك بسبب الحق وحده عندك وكأنه في نظرك (أبعدك) سبحانه
وتعالى حينئذ عن حضرة القدس وصرفك عن شهود وجهه الكريم لأنك طلبته بغيره فحجبت
عنه تعالى ما طلبته به ، وهو الغير — في زعمك — ولا غير في الحقيقة ، فزعمك حجبك .

(إن طلبته) سبحانه وتعالى (لك) أي لأجل نفسك بأن قصدت
في طلبك له حصول شيء من الحظوظ الدنيوية والأخروية (كلفك) أي
أوقعك في الكلفة وهي المشقة بأن أقامك في تكاليف الشريعة أمراً ونهياً وذلك
لأنك موجود عند نفسك غير شاعر بما ينعم به عليك من الراحات فيلزمك أن تقتحم بها
حقوقه ما كلفك به مما لا يلائم غرضها من المتاعب ليقوم بعدها الميزان وتستوي منه
الكفتان ، وكما تدين تدان ، فحيث طلبته منه لك طلب هو أيضاً منك له (وإن
طلبته) عز وجل (له) أي لأجله لا لأجل نفسك بأن قصدت في طلب
قبول ما حققه فيك من عبوديتك له على حسب مراده بك من إظهار عبوديتك والكشف

(١) « ب » ظهور .

عن رؤيته لك ... (دنيت) أي جعلت في مقام

الإدلال عليه بسبب أنه ... وهو عبثت ، فلما زالت نفسك زال عنك

كل ما كنت تتوهمه أنه غير تصرف تدل عليه بعد ما كنت تدل بنفسك بين يديه ،

... من التعب ... و تخلصت من مرارة الهجر والجفاء بحلاوة

الوصال (قربت) أنه تعالى كما قال : (ونحن أقرب إليه من حبل

الوريد) إنما هو (حين وجدت) أي اضمحلالا وزوالا بالكلية (عنك) أي عن

نفسك بحيث تحقق أنه على قلب رؤيته ... على الإيجاد والإمداد وعملا واعتمادا

(وبعدت) عنه عز وجل كما قال تعالى : (أولئك ينادون من مكان بعيد)

إنما هو (وقد وجدت) أي عندما ... في ... الأطوار على ... الإرادة الإلهية والاقتدار

من غير شعور ... بهذا الأمر ... واقف مع الغير ولا غير ، وإنما زعمك أوقعك في

هذا الصغر (معك) أي مع نفسك متحققا بوجودها مع وجود معبودها ومشتغلا

بحوائجها عن فعل الله على الصوبة بها .

واعلم أن الحركة الوجدانية شيء معدوم إذا ورد عليه أمر الله تعالى بالوجود على وجه لا يعلمه إلا الله تعالى لا بد أن تقتضي صورة خلقية تسمى شيئاً ، فإذا وردت تلك الحركة الواحدة على قلب عبد أول ما تقتضي فعل شيء أو تركه اقتضت صورة خلقية اشتغلت بها تلك الحركة الواحدة عن نفسها ، فإذا أعرضت عما اقتضته والتفتت إلى نفسها لتعلم ما هي في نفسها اقتضت صورة أخرى خلقية هي تصوير نفسها[1] ، وهكذا لا تزال كلما أعرضت عن صورة اقتضت صورة أخرى غير الأولى فهي مشتغلة بما تقتضيه[2] من الصور ، فلا يمكنها أن تعرف ما هي نفسها من حيث هي حركة واحدة عن أمر الله تعالى أبداً بل كل صورة اقتضتها هي صورتها في طور من أطوارها وشأن من شؤونها وهي لا تعرف ذلك وتعتقد في تلك الصور كلها المغايرة لها ولا مغايرة ، بل عين تلك الحركة الواحدة عين تلك الصورة ، فإذا عرفت ما اقتضته من الصور حقيقة

(١) « ب » اقتضت صورة أخرى غير الأولى هي تصوير نفسها .

(٢) « ب » تقتضيه .

المعرفة عرفت نفسها ، وإذا عرفت نفسها عرفت ربها فهي محجوبة عن معرفة نفسها بصورها التي تتصور نفسها بها كما تحجب الرب بصورها التي صورها بنفسه ، وتلك الحركة المذكورة هي حقيقة الإنسان الذي هو آدم عليه السلام وما زاد عليها في الإنسان من الجسدية والنفسية والحيوانية صور لها تحجبها عنه ، وهذا معنى قوله عليه السلام . « إن الله خلق آدم على صورته » ، وفي رواية : « على صورة الرحمن » وخص آدم عليه السلام بوجود حقيقة الإنسانية فيه دون غيره من جميع العالم ، وقد عرفناك طريق الله تعالى فعرج على هذا المعراج واحذر من الاعوجاج .

(إن جئت) أيها المريد إلى حضرة الله تعالى بأن تقبل على الاشتغال به تعالى في عين اشتغالك بكل شيء وأعرضت عن كل شيء (بلا أنت) أي بدون نفسك ، وهي الحركة الواحدة الصادرة عن أمر الله تعالى كما ذكرنا قال تعالى : (وما أمرنا إلا واحدة) أي حركة واحدة ، ثم قال تعالى : (كلمح بالبصر) تشبيه بما صورت من لمح البصر الذي هو صورتها في الحس . وقال تعالى : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) فالروح واحدة والنفوس كثيرة ، والنفوس الكثيرة هي تلك الروح الواحدة ولا يصدر عن الواحد إلا واحد ، فالأمر واحد والروح واحدة ووجود الروح كثيرة وهي النفوس الكثيرة ، وهذا طريق آخر قد عرفناك به إن كنت من أهله ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

(قبلتك) وقبل عليك حتى أقبلت عليه وتركت نفسك (وإن جئت) حضرته تعالى (بك) أي بنفسك واقتصرت تلك الحركة الواحدة منك صورة وجهتك إليه فاشتغلت بتلك الصورة وغفلت عن معرفة نفسها[1] (حجبتك) عنه ... في كل شيء ... وجهتك إليه فلم تقبل عليه ... وقبلت عليه ... التي ...

(...) ... على ... مع الأحوال والمحسوس ، ويرد ... لا فليس ... لأن

(١) ب . واشتغلت بتلك الصورة الواحدة وغفلت عن معرفة نفسها .

عمله من لا علم له بمعاملة [illegible] (لا تكاد تخلص) أي
تسلم (من رؤيته) أي ملاحظته (عملك) واعتباره في نظره وإن اجتهد
نفسه في عدم ذلك ، إذ من تمرن [illegible] واشتغل بعمله ليكشف عنه بعلمه ويطلع
على حقيقته ونفسه لتحذر من عهدة تكليفه به فلا تكاد تسلم من رؤيته والالتفات
إليه على كل حال وإذا كان الأمر كذلك (فكن) أيها المريد للوصول إلى أوج
الخصوص في القسم الذي كلفت به فعلاً وتركاً نظراً لذلك فيك (من قبيل إمداده)
من الله تعالى عليك بخلق ذلك بك من غير استحقاق منك له بل محض فضل وإحسان
من الحق تعالى عليك (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو
الفضل العظيم) (ولا تكن) نظراً ذلك منك (من قبل العمل)
الصادر منك به تعالى فتسلم حينئذ وتخلص من رؤية عملك . فإن أهل الله تعالى لا عمل
لهم في نفس الأمر عند الله تعالى فيهم ، وهم أهل منة من الله تعالى حيث خلق ونسب إليهم العمل(1)
في صور أهل الحجاب والغفلة لا في نفس الأمر بل ظهورهم محبة فقط كما ذكرناه فيما
سبق ، وأما قوله تعالى (فينبئكم بما كنتم تعملون) فهو خطاب لأهل
الغفلة والحجاب الذين حسبوا أنهم يعتقدون أن لهم عملاً منهم ، وكذلك قوله تعالى :
(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) ، وأما قوله تعالى :
(اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) فهو خطاب لأهل الخصوص
بجميع ما خوطب به أهل العموم ، ثم صرف حاله أهل العموم عن أهل الخصوص
فتميزوا عنهم بعد أن [illegible] بقوله : شكراً ، والشكر رؤية
النعم [illegible] في الصورة [illegible] في الحقيقة ، والعمل من غير شرك خفيا
[illegible] فهي ثلاثة ، ولا توحيد
مع التلبس بما سبق ذكره ، وقال تعالى : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة) ويطلق الشرك فيشمل الخفي والجلي وفي الحديث : « لن يدخل أحدكم
الجنة بعمله » أي بسبب عمله الموجب للشرك الخفي قالوا : ولا أنت يا رسول الله من

(١) [illegible] خلق الأعمال ونسبها إليهم والعمل .

فبين قوله عملا الذي علمه السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك)
فسماه عملا مشتركا للمشركين في أعمالهم ، لأن المراد تعريضهم بذلك ، قال : « ولولا أن
إلا أن يتغمدني الله برحمته » ونظير الكلام : فيصرف على رؤية العمل ويرمي منه
على الوكيل وحده مع الشرك عمل أو شرك محبط للعمل بنص الآية .

(إن عرفته) أيها العبد السالك في طريقه ، أي عرفت الله تعالى معرفته بالله وحقيقته بحقيقته (سكنت) إليه تعالى ، يعني اطمأنت جوارحك الباطنة والظاهرة وسلمت من الحركة والاضطراب في أحوال الدنيا والآخرة ولا يبقى لك حركة ولا سلوك ورجعت إلى عدمك الأصلي في ظهور وجوده المصون .

قوله : سكنت أي رأيت حركاتك الأمرية المتحركة بها لكل متحرك وساكن في عالم الخلق ، وإذا رأيت حركاتك الأمرية رجعت إلى سكونك الأصلي فانعدمت (وإن جهلته) أي الله سبحانه وتعالى بأن لم تعرفه أي فلم تعرفه (تحركت) أي معرفته بنفسك فتحجبت بها عنه فوقعت في الريب والضلال واضطربت جوارحك عند ذلك الذي لم ترض بحكمه الأقدار ووقع قلبك في مهلك التعب والأكدار .

ثم أجمل ما فصله من قبل بقوله . (فمراده) أي مراد الله تعالى منك (أن تكون) هو على وحده موجودا في ممكنات الحوادث كما هو موجود في علمه القديم (ولا تكون) أنت ولا غيرك أيضا موجودا معه سبحانه وتعالى في الوجود، قال تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا هو واستغفر لذنبك) فلا إله إلا الله : لا موجود إلا هو ، ولكن يحتاج هذا المعنى إلى علم ، ولهذا قال : فاعلم ثم أمر بالاستغفار بعد ذلك من الذنب ، وليس إلا ذنب دعوى الوجود معه تعالى كما قال القائل: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ، فمراده أن تكون هو ولا تكون أنت معه ، ثم ابتلاك بالمحنة بما كلفك به من الأمر والنهي كما قال . (فسننظر كيف تعملون) يعني هل تعملون بالتسليم أو تعملون بما فيه شغلك بتكليفه لك أمرا ونهيا عن مشاهدته وأوجب زوال الوجود معه وقيامه فيهلك هالك عن بينة ويحيا حي عن بينة كما قال تعالى (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) .

ثم قال رضي الله عنه : (العوام) من الناس ، وهم المحجوبون بنفوسهم عن معيتهم

مع الله تعالى ، القائمون بنفوسهم في الأشياء على وجه خداعهم ، ساء عليهم الإسلام ،

المستندون بنفوسهم الأمر به عن الاجتهاد ، المحجوبون بنفوسهم عن واقعه (عقائدهم)

كلها في وأحسنهم وفيما يرعى فقه ترك (شبهات) في شرع الله تعالى لا يعلم

أحد الحكم على القطع في بطلانه لأنه بنية كلها من العوام(1) على الشرع الحقي ،

والشرع الحقي عن ظهر في أحد مخصوص بعينه ، وليس ثم كلمة يرحم عنه متى

سمعت من أحد حكم عليه به ، وكلمة شبهة منه ذنب يجب توبته شرعا إذا صدر ممن

يدعي الإسلام كالعوام فيبقى الشبهة في اعتقادهم حتى يلقوا الله تعالى فيحكم بينهم فيما

كانوا فيه يختلفون ، ومتى ظهر من أحدهم مراده من الشرع الحقي فليس من العوام

وإلا فهو عامي متهم في العمل والاعتقاد .

(والخواص) وهم الموحدون بالله تعالى لا بنفوسهم ، القائمون بالله تعالى لا

بنفوسهم في الأعمال والأقوال والأحوال (أعمالهم) كلها التي يعملونها باطنا

وظاهرا فعلا وتركا (قربات) يتقربون بها إلى الله تعالى ، فكلما عملوا عملا من

الطاعات يشهدون الله تعالى لا نفوسهم فيرفعهم ذلك العمل عن حضيض البعد عن الله تعالى

إلى أوج القرب إليه تعالى كما ورد في الحديث القدسي : « لا يزال عبدي يتقرب إليّ

بالنوافل حتى أحبه » (وخواص الخواص) هم الفانون بالله تعالى وبنفوسهم

في تجليه ، الغائبون بنفوسهم في الأعمال والأقوال والأحوال ظهورا من ظهوراته

سبحانه ، الراجعون من حضرة الخواص التي برأوا فيها من نفوسهم إلى حضرة العوام التي

قاموا فيها بنفوسهم ، كما قيل : « إن النهاية الرجوع إلى البداية » ، ولكن قاموا بنفوسهم

في ظهور ربهم بهم ظهورا محكوما بحكم وتصوروا به تصورا مفهوما منهم ، فحالة العوام

قاصرة عن حالتهم وإن وافقوهم في الدائرة الصغرى فقد فارقوهم في الدائرة الكبرى

فجاء كلام الله تعالى عن العوام بطريق الغيبة لغيبته عنهم ، فقال تعالى : (والله من

ورائهم محيط) وجاء كلام الله تعالى عن هؤلاء الذين هم خواص الخواص بطريق

---

(١) ب « لا يعلم احد في صحتها على القطع او بطلانها لانها بنية كلها من العوام .

الخصوص والخصوص محصورهم عدده قليل جدا (أعني بهم خواص وخاصة الله) .

(أغنتهم) التي تجليها الله على قلوبهم بأنهم غائبون في شهود الله تعالى عن شهودها كلها بهم (عن حضرتك) راجعون به عن مقامهم في مقامه ، فالعموم والخصوص والخواص ساترون وخواص الخواص ذاكرون . كما نقل عن سهل رضي الله عنه أنه أرسل إلى أبي يزيد يخبره أن ههنا رجلاً شرب شربة فلم يظمأ بعدها أبدا ، فأرسل اليه أبو يزيد رضي الله عنه يقول له : إن ههنا رجلاً شرب جميع الأكوان وفاه فاغر يطلب المزيد ، فالأولى : حالة الخواص ، والثانية : حالة خواص الخواص .

ثم أخذ الشيخ رضي الله عنه يحث المريد بحثه لابتدائه به بما تقدم فقال : (كلمَا اجتنَبْت) أيها السالك مع الله تعالى (هويت) أي ميلك الى كل ما سواه تعالى من عبده أو عادة أو معرفة أو شهوة (قوي) اي ازداد واشتد (إيمانك) به سبحانه وتعالى ، إذ لا تجد ما تهواه وتميل له سواه تعالى فتكثر رغبتك فيه فيزيد تصديقك به حتى يعمر نفسك وتعشق به قلبك وتخشع اليه جوارحك (وكلمَا اجتَنَبْتَ ذاتَك) أي نفسك التي هي حجبتك عنه تعالى (قوي توحيدك) له سبحانه وتعالى التوحيد الذوقي الكشفي الحقيقي الذي ليس معه شرك جلي ولا خفي حتى يكمل شهود توحيده تعالى بأن تبصر تعالى هو الموجود ذاته بذاته اولا وأبداً ، وأما توحيد بقية الخلق فهو شهود لا يكمل بسبب غلبة الغفلة عليه في حضرة من الحضرات الكونيه .

(الخَلْقُ) مصدر بمعنى المخلوق ، والمراد به كل ما سوى الله تعالى من ملك ظاهر وملكوت باطن وجبروت كامن (حجبٌ) لك ايها العبد عن شهود نفسك ولم يقل حجاب لتسويتهم في صفة الحجابية لأن الواحد منهم حجب كالكثير (وأنْتَ) أي نفسك المحجوب انت عنها بالخلق (حجبٌ) لك عن شهود الحق تعالى ، فانت حينئذ محجوب عن شهود الحق تعالى بمرتبتين من الحجب : مرتبة نفسك ومرتبة غيرك[1] ، فنفسك حجبتك عن شهود الحق تعالى وغيرك حجبك عن شهود نفسك ،

(١) « ب » مرتبة بنفسك ومرتبة بغيرك .

(والحق) سبحانه وتعالى من حيث هو (ليس بمحجوب) عن أحد ظاهراً، إذ لا يحجب الأعظم، ولا أعظم من الحق حتى يحجبه، وليس هو موجود ظاهر كمال الظهور ومع ذلك يخفى على غيره كما المعقول، فهو ظاهر لا غيره وباطن لا عن نفسه لذاته ولذاته وحين تجليه (ومحجوب) عز وجل (عنك) أي عن نفسك وعن إدراك عقلك به وحسك (بك) أي بنفسك وبإدراك عقلك غيره وحسك (وليس) أيها العبد (محجوب عنك) أي عن نفسك فلا تعرف نفسك ما هي، ويلزم من ذلك أن لا تعرف ربك، لأن من عرف نفسه فقد عرف ربه (بهم) أي بالخلق، لأنك تنظر إليهم فتشتغل بمعرفتهم عن معرفة نفسك، إذ هم في الحقيقة صور نفسك ظهرت لك في نفسك عند تجلي الحق تعالى عليك في حضرات مختلفة، فالمعقولات صور تطبع في النفس على مقدار استعداد العقل، وهو قوة إدراك النفس لذلك الانطباع، ولهذا تختلف الإدراكات العقلية بحسب الأشخاص الإنسانية الفاضلة، والقاصرة، وذلك الانطباع عند تجلي الحق تعالى للنفس بأنواع أسمائه وصفاته في حضرة كونه معلوماً بعد تجليه للنفس عينها في حضرة كونه عالماً، وكذلك المحسوسات كلها صور تطبع في الحواس الخمس التي هي قوى تلك النفس وصور تجليها من كونها عالمة على الجوارح الخمس التي هي: العين والأذن واللسان والأنف وباقي البدن من كونها معلومة، وذلك الانطباع من تجلي الحق تعالى على النفس أيضاً بأنواع أسمائه وصفاته في حضرة كونه مشهوداً عند تجليه بحواس نفسها في حضرة كونه شاهداً، فهو العالم والمعلوم والشاهد والمشهود وكذلك أنت العالم والمعلوم والشاهد والمشهود لأنك نسخة آدمية، وقد قال عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته»، وفي رواية: على صورة الرحمن، وقد أشرت إلى ما ذكرته من أن جميع الخلق هم صور نفسك ظهرت لك في نفسك بقولي من جملة أبيات – في ديواني المسمى: «سحر الأحداق وبث الأشواق»:

أنا كل الوجود والكائنات   أنا كل الأرواح كل الذوات
أنا كل العقول من كل شيء   في جميع الأزمان والأوقات

ليس كل الوجود إلا اسامي والمسمى بأنفس ذاتي

والتبس علك حين تنسى كل شيء بالقلب و الآفات

(وتنفصل) انه المحجوب عن ربه بنفسه وعن نفسه بعزته (عنك) أي عن نفسك التي حجبتك عن ربك وبعد أن تنفصل عن غيرك الذي حجبك عن نفسك (تشهده) أي تشهد ربك سبحانه وتعالى الذي ما غاب ولا غيب ولا هو غائب أبداً بل هو حاضر ناظر دائماً سرمداً ، وأنت الذي غبت عنه وحضر بين يديه وغبت عنه وتعبر إليه ، فاذا شهدته لم يمكنك أن تشهد معه غيره بل تشهده عين غيره فيه ذهب إسم الغير عنه ، فالأغيار أسماء لمسميات هي كما قال تعالى : (إن هي الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) والاغيار تماثيل لحقائق هي ، كما قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام اذ قال لقومه : (ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون) واذا ذهب اسم الغير عنه ذهب رسم الغير ايضاً مع ذهاب اسمه فلا يبقى تصوير ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعريف ، بل الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم الذي قامت به الأشياء وأمسكت بقدرته جميع الصور في الأرض والسماء (والسلام) أي الأمان منه تعالى عليك حينئذ من كل مخوف في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . وقال تعالى : (لا يحزنهم الفزع الأكبر) .

إلى هنا انتهى بنا الكلام في شرح الرسالة الشريفة والصحيفة المنيفة ، رسالة قطب العارفين وقدوة الواصلين الشيخ أرسلان الدمشقي قدس الله تعالى سره في الأسرار ، وجعل ضريحه مطلعاً لشموس الأنوار ما تعاقب الليل والنهار .

وقد نظمت قصيدة في ختام هذا الشرح المبارك ان شاء الله تعالى وبركاته ، مادحاً بها صاحب هذه الرسالة اللطيفة ، رحم الله تعالى روحه الشريفة ومؤرخاً عام الختام ، وهي هذه الابيات[1] :

---

(١) مما يشار اليه في هذا الصدد ، ان شيخي المرحوم العارف بالله تعالى الشيخ احمد الحارون الحجار العسل طلب الى الاخ في الله تعالى السيد محمود خدام السروجي اثناء حياته ان يبدأ بتجديد ضريح الشيخ أرسلان الدمشقي ، وذلك بالاسهام مع عدد

[illegible] — [illegible] الله [illegible] (1)
[illegible] الموحد [illegible] — [illegible] المحقق [illegible]
يا ابا العرفان انت فتى — كم بدا لي منك عرفان
[illegible] (2) — أكمل ما به نقصان
[illegible] سرف — وعلى الحسرات [illegible]
[illegible] التي اشتهرت (3) — [illegible] في [illegible]
من رجال الحق [illegible] — [illegible]

من تلامذته ومريديه . وكانت البداية الى المفكر في قيامي بدراسة عن الشيخ ارسلان . ان شيخي قد طلب الي ايضا ان اسطر على الضريح بعض ما جاء في قصيدة الامام عبد الغني النابلسي . الى جانب تثبيت اسم الشيخ ارسلان مع تاريخ وفاته ومكانها . وقد قمت بهذا العمل ، وكلفت المرحوم الخطاط نابغه عصره الاستاذ بدوي الديراني بكتابة ما هو مسطور الآن على الضريح ، ثم باشرت بدراسة عن تاريخ الشيخ ارسلان وعن علم التصوف والتوحيد واصدرتها في كتابي الاول عنه ، واتبعت ذلك بهذا الكتاب ولله الحمد .

وبعد الانتهاء من عمليه تجديد الضريح ، وعلى الضبط قبل يومين من وفاة المغفور له شيخنا الشيخ احمد الحارون العسلي أوصى زوجته السيدة النبيلة المحترمه خديجة الحداد امد الله في حياتها ، بان يدفن في ضريح الشيخ ارسلان بالذات على يد مريده السيد محمود خدام السروجي ، كما أنه في اليوم الذي سبق يوم انتقاله الى الرفيق الاعلى ، اكد على صهره الشاب المؤمن والاخ الكريم السيد سعيد الهبري بان يعنى بعائلته ، كما اكد على زوجته بتنفيذ الوصيه التي اليها اشرنا .

ونقل الوصيه الاولى الى السيد محمود خدام السروجي ، الابن الروحي لشيخنا الاخ العزيز في الله تعالى الحاج ممدوح النص والاخ العزيز في الله تعالى الحاج محمد الطباع .

وقام السيد محمود خدام السروجي مع اخوانه في حي الساغور المجاهد وفي غيره من الاحياء في دمشق الشام بتنفيذ الوصيه على خير الوجوه ، ودفن الشيخ احمد الحارون الحجار العسلي في الضريح ، حيث يرقد الى جانب الامام « ابو عامر المؤدب » شيخ الشيخ ارسلان ، والشيخ أرسلان ، وتلميذه ابو البركات ، والشاعر الرقيق محمد بن سوار وعدد من كبار الائمه ، جزاهم الله عن امتنا خيرا واجزل ثوابهم .

المؤلف

(1) قال المؤلف : هذه الابيات ساكنة النون وهي زيادة ساكن في مجزوء الرمل كما هو هنا .

(2) « ب » غشوم يوم الوغى بطل .

(3) « ب » ذو الكرامات التي شهرت .

كله صدق ومعرفه   كله ـس وإيمان
مات حتى في الضريح له   ـاهدى ـوح وتحسان
وكأن الترب وهو به   دس منه فيه قرآن(١)
كـر ـانشـر مكتسبا   عشته في الله فيـان(٢)
ينشر الأخشاب وهو على   مـن هداد فيه تكلان
لم يمل مال به لسوى   مع ان المال فتان(٣)
ثم ان الله رام بأن   عتب الأسرار اعلان
فأراد منه بارقه   عنها ب كشف هسن
عدم المنشار كلسه   قائلا : ما فيه بهتان
ما لهذا قد خلقت فدع   عـلـ هذا ب أرسلان
وغدا المنشار منكسراً   حيث منه بان برهان
وهو بحصر في ولايته   كم أمدى منه عدران
صاحب الوقت الذي اقتبست   من سناه الانس والجن
غوث مثلي كم به كرب   فرجت عني وأحزان
تقضي حاجات قاصده   سيما ان جاءه لهفان
نور حق ماله أبداً   عن دمشق الشام كتمان
طالما قد كان مشتغلا   بالتقى في الله نشوان
وله الأسرار قد كشفت   وأزلت عنه أكوان
وهو فرد في حقائقه(٤)   زان منه الحسن احسان
حيث ابدى في رسالته(٥)   ـه به كم حار انسان

---

(١) « ب » درس بمن فيه قرآن .
(٢) « ب » عيشته في الله فينان .
(٣) « ب » مع ان المال فتيان .
(٤) « ب » وهو في رقى حقاً .
(٥) « ب » حيث ابدا في رسالة .

علم بتوحيده محتجب — في قلوب القوم أوطان
خمرة في الحان صافية — أشرقت من نورها الحان
وحسا الكئوس من [illegible] — عند أهل الاسم أخدان
كم بها الأرواح قد سكرت — [illegible] نحسن أبدان
عندها [illegible] — عنهما [illegible] وسرحان
كلما قد حثت [illegible] — [illegible] ورد [illegible] وريحان
أطربت سمعي بنغمتها — فاستدرت في الشجان
والمسك اليوم [illegible] — أودعته فيه آذان
فلهذا قمت أشرحها — وأنا بالنور ملآن
ثم جاء الشرح وهو بها — من غيوث الفتح ريان
روض حسن يانع سرحه — قد أتى بالتاريخ غزلان(١)
فاقتطف منه قند زهرته — ثمرات فيه أغصان
كل لفظ من عبارته — لأولي الألباب بستان
شاده عبد الغني من — عقله في الله ولهان
وهو بالتوحيد منشغل — ما له عن ذاك سلوان
شرب الأكوان أجمعها — وهو صاحي القلب يقظان
لا لذي كيف ولا شبه — ربه تبر وعقيان
دينه تجسيم خالقه — وهو أعمى القلب حيران
طبعه كصخر ليس به — رقة والقلب صوان

(١) قال مؤلف شرح رسالة الشيخ أرسلان : وقولي بالتاريخ غزلان . فلفظ غزلان بالحساب تاريخ السنة التي فرغنا فيها من تصنيف هذا الشرح اللطيف ، وكانت مدة التصنيف ما ينوف على شهر . فالغين المعجمة ألف والزاي سبعة واللام ثلاثون والألف واحد والنون خمسون ، وجملة ذلك ألف وثمانية وثمانون . وقد فرغنا من تصنيفه نهار الخميس الرابع والعشرين من شهر رجب المبارك من السنة المذكورة . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده .

[illegible] بشمس [illegible] … [illegible]

[illegible] عن [illegible] … [illegible] فهو [illegible]

حيث لا [illegible] الإله [illegible] … توقد والشوق [illegible]

فقذف المعنى عقيدته … من كلامي وهو [illegible]

فقذف ورد يانع نضر … عندما شمته جعلان (١)

قل له عني كلامي لم … يدره فكر [illegible]

خل عنك الغي لست ترى … هذه الأنوار [illegible]

فلكف السوء عن كلمى … إن خلف [illegible] [illegible]

ليس قصدي الجاهلون وإن … مدحوا قولي [illegible] (٢)

واذا شمس الضحى ظهرت … ما لها بالقول [illegible]

ومن الله الثواب لنا … نرتجي [illegible] [illegible]

وعليه الأجر مكتملاً … رحمة منه وغفران

حيث بالتوفيق ألهمنا … علم [illegible] قبل [illegible]

ثم أبقانا نفصله … بعدهم طبق [illegible]

عن أرسلان الإله عفا … وعليه منه رضوان

جنة [illegible] … [illegible]

وسقا قبراً حواه حيا … من عظيم [illegible] هتان (٣)

[illegible] الأزمان [illegible] … [illegible] في [illegible] أغصان

---

(١) « ب » عنه ما شمته جعلان .

(٢) « ب » مدحوا قولي وإن شانوا .

(٣) « ب » من عظيم اللطيف هتان .

فتح الرحمن بشرح رسالة الولي أرسلان

لشيخ الاسلام

أبي يحيى زكريا الانصاري الشافعي الخزرجي

اعتمدت في تحقيق هذا الشرح المسمى « فتح الرحمن شرح رسالة الولي ارسلان » على نسختين اثنين . احداهما مطبوعة كطبعة مخروه الحان ورنه الالحان، اي ان اخطاءها كثيرة . وذلك في مطبعة جريدة الاسلام بمصر سنة ١٣١٧ هـ : وهي موجودة في المكتبة الظاهرية في آخر كتاب « حل الرموز ومفاتيح الكنوز » من تاليف الامام العالم المرحوم شهاب الدين الاستاذ العز بن عبد السلام . وقد جاء الشرح في آخر الكتاب . اما النسخة الثانية فقد عثرت عليها مخطوطة في المكتبة الظاهرية . ورايت فيها الكثير مما تصحح الاخطاء المشار اليها . ولكن لم يذكر فيها اسم الكاتب ولا سنة الكتابة . وقد أدت بي الدراسة التي قمت بها الى ان النسخة نقلت في القرن الحادي عشر للهجرة .

وقد رمزت الى النسخة المخطوطة الموجودة في المكتبة الظاهرية . بحرف (أ) وجعلتها هي الشرح المعتمد . وللنسخة المطبوعة بحرف « ب » واشرت الى ما جاء فيها او إلى اخطائها بايجاز في الهامش .

بسم الله الرحمن الرحيم

• فتح الرحمن بشرح رسالة الولي أرسلان
للشيخ زكريا محمد الانصاري

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، قال سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام والمسلمين ، فريد أوانه ووحيد زمانه ابو يحيى زكريا الانصاري الشافعي ، رحمه الله واعاد علينا من مدده في الدنيا والآخرة بمحمد وآله ، انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير •

الشرح

الحمد لله الذي تفرد بوحدانيته وتعزز بنعوت ربوبيته[1] ، والصلاة والسلام على النبي وصحبه ، وعلى آله وحزبه • وبعد فان علم التوحيد من اشرف العلوم ، واشرف ما ألف فيه الرسالة الأرسلانية للامام العارف بالله تعالى الشيخ أرسلان الدمشقي ، طيب الله ثراه ، وجعل الجنة مأواه •

وحيث انها كانت من ابدع كتب في علم التوحيد صنف ، واجمع موضوع على مقدار صغر حجمه ألف ، استخرت الله تعالى ان أشرحها شرحا يحل الفاظها ويبين مرادها وسميته بـ « فتح الرحمن بشرح رسالة الولي أرسلان » والله اسأل ان يجعله في حيز القبول انه اكرم مأمول ومسؤول •

اعلم ان المطلوب هو علم التوحيد[2] ، قال تعالى : (فاعلم انه لا إله الا الله)، وهو مستلزم لانتفاء الشرك ، والشرك نوعان : ظاهر جلي وقد ذكره مع اقسامه الائمة العراقي وغيره وباطن خفي وهو ما ستوقف عليه النفوس من الاكوان فحجبت بها عن

---

(١) « ب » وتعزز بالنعمة •
(٢) « ب » واعلم ان علم التوحيد مطلوب •

لقي الله من عدم الحس فصار شرك حقاً بعد عن حضرة القدس شواهد الحس.

وقد ذكر مؤلف شرحه (كلت) أنه عند ذات وصفه وفعلا (شرك خفي)

عند الوهم والحس ، شهد الغير كالمراتب والمقامات الزائلة ، وإذا نفيت عنك الغير بل علم الخفي وجدت الذي شرك بنوعيه ، استطرد على الوهم والحس

(ومن بعد) في شهر ما (بوحدت الذات خرجت) اي فيت ات (عنك)

وعن سائر الاغيار ، من راها كلها من الله ، والله خلقكم وما تعملون ، وسببه اعمالك

ايت سببه كسبيه ، والى الله تعالى خلقية .

فالله تعالى خالق ، وانت كاسب سبب او هدف (فكلما اخلصت) بخروج

عن ذلك (يكشف لك أنه) تعالى (هو) الفاعل الموجود (لا انت) ، فاذا

لم شهد غيره على انت موحدا له حقيقة ، وهذا الشهود قد يدوم ، وهو نادر ، وقد

يكون كالبرق الخاطف ، فإذا الكشف بعد ذلك علمت ان شهودك ذلك ذنب

(فستغفر منه) اي من شهودك له ، فحلوت من ذلك يكشف لك عن علم

التوحيد ، الذاتي والصفاتي والفعلي (وكلما وحدت) وعنه منه (برئ من

الشرك) في صدد ، مما نسبه الى الخلق وهو مقام الفرق (فجدد في كل ساعة

ووقت) بل في كل نفس (توحيدا) له الفاعل الموجود (وايمانا) أي

تصديقا بذلك ، اي ان كمل عنك ، فكلما ارتقيت من مقام فرق الى مقام جمع زاد

توحيدك وايمانك .

كما قال (وكلما خرجت) انت (عنهم) أي من نصرك الى توحيدك

(زاد ايمانك) أي تصديقك ، أي في مقام الكشف والمعاينة ، اذ الخروج من أحد

الضدين دخول في الآخر (وكلما خرجت) عنه (قوي يقينك[2]) بالوحدانية ،

لان الامر قد تم منه في غيرك ، وهذه مرتبة الصديقين ، والاولى مرتبة خواص المؤمنين ،

واليقين علم بعد شك ، ولهذا لا يوصف به العلم القديم ، ولا العلوم الضرورية ، لكن

---

(١) « ب » حضيرة .

(٢) « ب » (زاد يقينك) .

المراد به ههنا الذكر بعد ، وقد يراد به العلم بعد ، وهو يقين(١) لا يحتمل معه النقيض .

وأعلم أن خروجك عنك حسبك ، وزيادة يقينك غاية للجمع(٢) ، بها يستولي الحق عليك ، وهو المراد بخبر كان سمعه الذي يسمع به ، ومن لم يأت له ذلك عسيه ، فكان مغرورا واقفا مع غيره ، ومغترا بالمقدمات والمكاشفات سيرا به حجبه بها ، كما أشار بقوله : (ما أسرك الشهوات والعادات ، ... المقدمات والمكاشفات إلا مغرور) بما أوقعك فيه الوهم والحسبان . (أن تشتغل به عنك أي الاشتغال به عنك) حيث الشهوات أسر به والشهوات ... عنه ، وإن وجدت الشهوات من الغير) فواقف مع الشهوات كحال أهل الغفلات ، وواقف مع العبادات كحال بعض أهل المعاملات ، وواقف مع الكشف كحال بعض أهل الرقبات ، وواقف مع المقامات كحال بعض أهل الارادات ، كأنهم مشغوفون بغيره ، وأما الواقف مع الله تعالى المستغرق به عن غيره فهو المشغوف به كحال أهل العنايات(٣) .

(وهو غير وجد حجب) بعد عليه (باسر) فاسم بحانه : (وهو معك) بعلمه وقدرته وعنايته (معك كنت في الدنيا وفي الآخرة) ، اذا علمت ذلك علمت انه حجب معك كنت ... به في سرك(٤) وغائبا عنك ، فلا تكن معه(٥) بالاستغراق في التوحيد لذلك ، (فلا تكن معه) كنت (محجوبا عنه) أي بعيدا عن رؤيته بنفسك فسلم من الشرك الخفي ، وهذا حاله يسمى بعينه في التوحيد وبعده الجمع

(١) « ب » وهو لا يحتمل .

(٢) « ب » غاية الجمع .

(٣) « ب » ابن الاستغال به تعالى (عنك) مع كونك اسيرا لغيره ، وكل من احب شيئا فهو أسيره . فرب واقف مع الشهوة وهذا حال أهل الغفلات ورب واقف مع العباده وهذا حال بعض اهل المعاملات . ورب واقف مع المقام وهذا حال بعض اهل الارادات ، ورب واقف مع الكشف وهذا حال أهل العنايات .

(٤) « ب » علمت انه معك في سرك .

(٥) « أ » فلا تكن انت معه .

(وإذا كان معك) عند استغراقك في وجوده(١) ([illegible]) أي جعلك متعمداً [illegible] حرق أي حالة الغرق كمن وقع [illegible] يرجع العبد الى عباداته وغيرها .

([illegible]) [illegible] (خروجك عنهم) على أن لا تشركه في شيء من صفته(٢) المختصة (والبقاء خروجك عنك) أي عن حولك وقوتك ووجودك تشهد أن لا حول ولا قوة ولا وجود إلا في محل عجزك وضعفك . (إذا زاد إيمانك) بخروجك عن الأغيار (نقلك من حال الى حال) أي من ضعف الى قوة الى أن يكمل [illegible] وهو [illegible] ، وإذا [illegible] اليقين فيحصل الايمان الكامل (وإذا زاد يقينك) بخروجك عنك وعن [illegible] الأغيار (نقلك من مقام الى مقام) ، أي من معرفة الى [illegible] ومن [illegible] الى [illegible] ومن مشاهدة الى معاينة ومن معاينة الى الاتصال ومن الاتصال الى [illegible] ومن [illegible] الى غير ذلك من المقامات المعروفة لأهلها .

واعلم أن [illegible] شريعة وهي أن تعبده [illegible] ، وطريقة وهي أن تقصده بعلم والعمل ، وحقيقة أي العلم [illegible] وهي أن تشهده(٣) [illegible] في سويداء القلب ، وأن كل باطن له ظاهر وعكسه ، فالشريعة ظاهر الحقيقة والحقيقة باطنها ، وهما متلازمان معاً ، فشريعة بلا حقيقة عاطلة ، وحقيقة بلا شريعة باطلة ، وشبهوا الثلاثة بالجوزة ، فالشريعة كالقشر الظاهر ، والطريقة كاللب الخفي ، والحقيقة كالدهن الذي ببطن اللب ، فلا يوصل الى اللب الا بخرق القشر ، ولا الى الدهن الا بدق اللب .

والخلق أقسام [illegible] وهم العوام ، وخواص وهم الأولياء ، وخواص الخواص وهم [illegible] ودونهم الكمل ويترتب(٥) على ذلك قوله (الشريعة جعلك [illegible]) أنها

---

(١) « ب » لعدم استغراقك .
(٢) « ب » صفاتك .
(٣) « ب » وحقيقة وهي ان تشهده .
(٤) « ب » معنى .
(٥) « ب » وهم الانبياء ويترتب .

الضعيف (حتى تطلبه منه وتعرفه) (... عليه خالص وصدق والا فهي
عيب لأنه (والحقيقة) هي (حتى تطلبه) هي (لله عز وجل)
لم يلد ولم يولد (حيث لا حين ولا أين) . بخلاف الشريعة .

(والشريعة) لكونها أمراً ونهياً شرعية بها (حدود) ككون هذا الأمر كذلك
أو بلا (وجهات) لكونها موقتاً أو غير موقت أو غير موقت (والحقيقة لا حد
ولا جهة) لها لأنها سر معنوي ، ولأن القائم بها عارف بالله تعالى قد أعرض عن حظوظ
البشرية لأنه في مقام جمع لا يرى إلا فعل الله وتدبيره ، فمعلومه غير محدود لأنه الحق
المعبود ، ومطلوب القائم بالشريعة محدود (القائم بالشريعة فقط) أي دون الحقيقة
(يحصل عليه بمجاهدة) ، وهي القيام بعبادات الظاهر وبعمود به الحقيقة ، والعبادة
للنفس لأنها ظاهره ، والعبودية للقلب لأنه باطنه . (والقائم بالحقيقة يحصل عليه بمنة)
أي نعمة ، وفضل منه ، والمراد علم الملكوت الذي علمه الله للأرواح حين
خاطبهم بقوله : (ألست بربكم) ، والمراد بقوله : (وعلم آدم الأسماء
كلها) ، لأنه مخزون في الأرواح ، مستور بظلمة الوجود وشواغل الطبيعة ، فإذا
ما وفقه الله تعالى وهو المراد بقوله من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم ،
فكشف عن قلبه غطاء ذلك ، فيعرض عن كل مخلوق حتى عن الجنة ، فهذا قائم بحقوق
الربوبية ، وذاك بحقوق العبودية والعبودية (وشتان) أي بعد (ما) زائدة
(بين المجاهدة والمنة) فشتان بين من هو بالمجاهدة بغير كشف وشهود في محل الفرق
وبين من كشف له عن سر الجمع ، فشهد معنى الجمع بالجمع . فكل من مقامي الفرق
والجمع مطلوب ، لكن في الاقتصار على الأول نقص ، وعلى الثاني غرور وابطال ، كما
عرف الأئمة ... ، والشتات ... ، في القاموس ... شتان ،
أي بعد ما بينهما .

(القائم مع المجاهدة) لكونه قائماً بالشريعة أي عبادته (موجود) بنفسه

(واقفاً مع اسمه) لكونه قائماً بحقوق ربوبيته من غير التفات الى غيره (مفقود) عما سواه تعالى لفنائه واستغراقه به تعالى .

(الأعمال) المتعلقة بكسب ذات العبد الظاهرة كالشهادتين واقامة الصلاة وايتاء الزكاة والصوم والحج والجهاد (متعلقة بشرع الشرع) لأنه جاء التكليف بها (والتوكل) ونحوه مما يتعلق بكسب الذات الباطنة كالزهد والورع والصبر والخوف والرجاء (متعلق بالايمان) بأن الله تعالى فعال لما يريد ، فالتوكل هو الاعتماد على الله تعالى ، وقطع النظر عن الأسباب مع تهيئتها ، ويقال هو ترك السعي فيما لا تسعه قدرة البشر ، ويقال غير ذلك كما بينته مع فوائد في شرح رسالة القشيري (والتوحيد) وهو حكمك وعلمك بوحدانية الله تعالى (متعلق بالكشف الصحيح(١)) ، أي بكشف الله عن بصيرة العبد الغطاء أعني حجب الكائنات بأن يفنى عنها ويراها مندرجة في انوار العظمة الربانية والكشف ثلاثة :

كشف نفسي ، وكشف قلبي ، وكشف سري(٢) وهو المراد هنا ، ويعبر عن الأول بعلم اليقين ، وعن الثاني بعين اليقين ، وعن الثالث بحق اليقين ، والثلاثة علوم لأنها اقسام العلم ، لأن العلم باعتبار معلومه ان تعلق بالذات الظاهرة ، فعلم اليقين او بالذات الباطنة ، فعين اليقين أو بالحق تعالى فحق اليقين .

واعلم ان العلوم مع الكشف محاضرة ومكاشفة ومعاينة ومشاهدة ، وكلها تتعلق بالتوحيد ، كما بينته في شرح الرسالة القشيرية (الناس تائهون) حائرون (عن الحق) تعالى بطلبهم له (بالعقل) الطبيعي الجسماني لأنه بانفراده محجوب عن استجلاء الالهية والمعارف الربانية مقصور على ما في الصور الظاهرة من حسن وقبح وخطأ وصواب ، بخلاف العقل الروحاني النوراني فإنه ملكي لا تيه معه .

(والتائهون عن الآخرة) الراسمة بطلبهم لها (بالهوى) ، أي هوى النفس وحظها ، لأنها انما تنال بمجاهدة الشريعة (فمتى طلب الحق بالعقل) المذكور

---

(١) « ب » متعلق بالكشف .
(٢) « ب » كشف سره .

(فقد ضللت) عن الوصول اليه (ومتى ضللت الآخرة للهوى فقد ضللت) عن الوصول اليها •

(المؤمن) الكامل وهو من تطهر من الشرك الظاهر والخفي (ينظر بنور الله) ، أي[1] مما من به عليه من الجود ، إذ به تنكشف الأشياء ولهذا : أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس وفي الخبر : «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» (والعارف) هو المعرض بقلبه عما سواه (ينظر به) أي بنور الله (إليه) لانكشاف حجاب الغفلة عن قلبه (وما دمت أنت معك) ، أي مع نفسك غير مستغرق فيه (أمرتك) ، أي كلفتك بالمجاهدة ، لأنك في محل التكليف (وإذا غبت) مستغرقاً فيه (عنك) ، أي عن نفسك (نورتك) بنور [illegible] والعمل وغيرهما [illegible] لأنك في الحضرة (فما تولاهم) ، أي الله [illegible] (الا بعد فنائهم [illegible]) ، أي [illegible] وجوداً وعملاً وارادة (فأنت مريد فإذا أفنيت عنك) مولاك (فأنت مراد) ، والارادة هي ارادة الحق [illegible] والاعراض عن كل ما سواه ، والمريد هو السالك المبتدئ الذي [illegible] وجوداً وعملاً ، والمراد هو المحبوب [illegible] المعروف بالله تعالى ، فالمريد [illegible] ، والمراد محمول عنه الكد ، وشتان بين الحامل المكدود وبين المحمول المعزز •

(اليقين الاكبر) ، وهو [illegible] (في غيبتك عنك ووجودك به) تعالى ، وذلك بان تغيب عما سواه تعالى ، ولليقين ثلاث حالات : بداية ووسط ونهاية[2]، على سواء علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين[3] [illegible] ، ووسطه [illegible] وهي اعلا مراتب اليقين ،

---

(١) «أ» الى •
(٢) بداية وتوسط ونهاية •
(٣) علم اليقين وعينه وحقه •

فكن بنفسك مع الله فقط ، وقيل (فكم بين من يكون بالله) عن ... الاعتبار والمجاهدات المتكلفة (وبين من يكون به) عاريا عن رؤية النفس والمجاهدات الربانية .

(إن كنت وثقت بفرد) عن ... ثاني وثقت به (حضضت بك الأسباب) بل يسّره الله لك . قال الله تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) . وقال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) ، (وإن كنت وثقت به) تعالى بأن لا تشهد غيره (فصفيت) أي خلصت ، وذات (ـك الأكوان) فلا حجبك شيء منها عن مشاهدة مكونها .

فهل الطريق إما علم بالله فتشهد الأشياء بالله ، وإما علم بالأحكام وهو السالك بالنظر والاستدلال فتشهد الله بالأشياء ، والأول من الصديقين والشهداء وبقية الخمسة والثاني من الصالحين وبقية الفرق ، ولما كان بين مقامات السالكين تفاوت بينها(1) قال : (أوقف المقامات الصبر) أي الرجوع إليه تعالى وحبس النفس (على مراده) تعالى ، وقيل : الصبر حمل(2) النفس على مشاق التكاليف طلبا للجزاء عليها ، (وأوسعها الرضى) وهو الطمأنينة (بمراده) تعالى أي من حيث إرادته أو إن جعلنا الرضى به فلا تنافيه حرمة الرضى بالكفر ونحوه (وآخرها أن تكون) أنت (بمراده) تعالى فتكون عارفا ، فالصابر في مقام العبادة والراضي في مقام العبودية ، وكل منهما يرى له وجودا وعملا ، والعبد إذا صبر رضي وإذا رضي كان بمراد الله تعالى ، ففني عن فعله وقوته بمشاهدته من الحضرة الربانية ، لأن من فني عن ذلك بقي بالله فكان سمعه وبصره وغيرها كما في خبر : "كنت سمعه الذي يسمع به" ، ومقام الفناء مقام الخواص وهو مقام العبودة ، أما العارف فهو في مقام العبودة لا يرى له وجودا ولا عملا ، ذلك لأنه قائم بالله لا بنفسه ولا بنفسه لله .

(العلم) العملي (طريق العمل) إذ لا يصح عمل إلا بعلم وبكيفية طريق العمل (والعمل طريق العلم) اللدني .

---

(١) « ب » ولما كان بين مقامات السالك بعد التوبة مفاوته بينها .
(٢) « ب » ويقال حمل .

قال الله تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) وقال صلى الله عليه وسلم : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » (واعلم) أيها المريد (طريق المعرفة) بالله لأنه لا يحصل إلا بما أمدك الله به من المعرفة ، وهو معنى يتعرف إلى عباده بعد ما وهبهم من العلم اللدني ، ومن عرف الله عرف نفسه ، ومن عرف نفسه عرف ربه ومن عرف ربه جهل نفسه .

فالمعرفة يتعلق بمعرفة النفس ، ومعرفة النفس تتعلق بمعرفة الرب ، ومعرفة الرب تتعلق بجهل النفس ، وفي الخبر : أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه . (والمعرفة) بالله (طريق الكشف) عن حقائق الأشياء (والكشف طريق الفناء) عن ما سوى الله تعالى بأن لا ترى غيره ، لأن العبد إذا علم أنه مخلوق وأن كل مخلوق فان ، شاهد بعين بصره أنه فان ، وفناء الفناء أن لا ترى فناءك ، وهذا يسمى بفناء المقصر برؤيته : « إن الله محيط بكل شيء » والفناء يكون علماً ثم عيناً ثم حقاً ، لأن الفناء ثلاثة أقسام : فناء في الأفعال بقولهم : « لا فاعل إلا الله » ، والأقسام الثلاثة مراده بقول بعض العارفين « من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد حاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل » .

(ما صلحت لنا) بفتح اللام أشهر من ضمها أي لا تصلح لنا ما دامت (وفيك بقية سواها) دنيوية أو أخروية ، لأنك حينئذ ما وصلت بعد لمقام العبودية الذي هو القائم بالله لله[1] ، لأن أعظم ذنباً عندهم ، أو من الذنوب العظيمة عندهم أن ترى لك وجوداً مع الله تعالى ، وإليه أشار الجنيد بقوله : وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ، فما دمت ترى وتشهد أن لك وجوداً معه لا تصلح له (فإذا حولت السوى[2]) عنك بأن خرجت عنه حتى عن الفناء (أفنيناك) بعلمنا ونورنا (عنك) حتى صرت لا ترى لك وجوداً صلحت لنا وصرت محلاً لسرنا الرباني[3] ، وهو معنى يعجز

---

(١) « ب » لأنك حينئذ لا تصلح لمقام العبودية الذي هو المقام بالله لله .

(٢) « أ » (فإذا حولت عن السوى) .

(٣) « ب » حتى صرت لا ترى لك وجوداً . بل ترى الله الوجود وهو لله . فصار قلبك محلاً لسرنا الرباني .

الفكر عن تصوره[1] ، والمراد على تقدير غيره (اصطلحه) حتى (حسه ودونك سره) فاصطلح السر الاعتبار الذي هو مع الوجود وشهوده فصار حرا عن الغير ومحلا للاسرار فحاصل المطلوب التجرد عما سواه تعالى .

(فإذا سبق عندك حركة نفسك) خرجت عنك (كمل عشقك) لا تعلق له بغير (فإذا لم تعرف وجود غيره) من نفسك عما سواه تعالى (كمل وجدك) بعجزك عن ادراك ما حصل لك من المعرفة ، فهي المعرفة التي لا تدرك وإليه الاشارة بخبر : « سبحانك ما عرفناك حق معرفتك » ، وبخبر : « من عرف الله كلّ لسانه » .

(أهل الباطن) أي الحقيقة (مع نفس) حظوظهم من وهم الرسوم والكشف العلم الذي لهم فعرفوه وشاهدوه فصدروا على يقين ثابت جزم ، وابتداء يقين المكاشفة ثم المعاينة ثم المشاهدة ، ومن ثم قال عامر بن عبد قيس : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً » .

(وأهل الظاهر) أي أهل[2] الشريعة (مع الايمان) بالغيب لا بالمشاهدة ، لبقاء الرسوم بوقوفهم مع ظاهر معتقدات الايمان (فمتى تحرك قلب صاحب اليقين) بغير الأمر من الحق بحظه من حظ أو مقام غيره (نقص ايمانه) عند أهل الباطن (ومتى لم يحضر له خاطر) بغير الله (كمل عيانه) فعلى صاحب اليقين المراقبة على الدوام ، وهي مراعاة السر بملاحظة الحق مع كل خطرة ، وشبه حاله بحال الهرة في حال مراقبتها الصيد ، فمتى اختلت المراقبة احتمل العرض (ومتى تحرك قلب صاحب الايمان) بالغيب (بغير الأمر) الالهي (نقص ايمانه) ، لأن الايمان ينقص بالمعصية كما يزيد بالطاعة ، أخذاً من خبر : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » (ومتى تحرك بالأمر) الالهي وقام به (كمل ايمانه) بالله تعالى .

(معصية أهل اليقين كفر) عندهم لاخلاص ، ولابن الفارض قول :

ولو خطرت لي في سواك ارادة ... على خاطري سهواً قضيت بردتي

(١) « ب » عن تصورها .
(٢) « ب » أي الشريعة .

وأن : [illegible] الإبراز [illegible] [illegible]
[illegible] ([illegible]) [illegible] •

واعلم ان الخاطر [illegible] على [illegible] وهو خمسة اقسام : خاطر
[illegible] وهو [illegible] وخاطر ملكي وخاطر نفسي [illegible]
[illegible] ، والاول
[illegible]
[illegible] •

والخاطر الملكي والعقلي هما لاهل المجاهدة ، والنفساني والشيطاني لاهل الغفلة ،
[illegible]
[illegible] فعل
ولا [illegible] فعل ولا
فعل [illegible]
[illegible] الا
المباشرة معه فهو عزم ونية وهو المرتبة الخامسة •

[illegible] الاول لا [illegible] عليه ان [illegible] في [illegible] ولا [illegible] عليه ان [illegible] في [illegible] ،
واما الرابع [illegible]
[illegible] عليه ان [illegible] في [illegible][1] •

(المتقي) في [illegible] ([illegible]) في [illegible]
[illegible] : ([illegible]) [illegible]
[illegible] : [illegible]
([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] على [illegible] حضرة

(١) « ب » والخاطر الملكى والعقلى هما لاهل المجاهده ، والنفساني والشيطاني لاهل الغفله . والخاطر اذا مكث صار هما واذا تمكن ثابتا صار محرجا ويصير قبل الشروع قصداً ومع اول الفعل نية •

محبوبه [illegible] عن عمله بمشهوده ووجوده واتكل على الله تعالى [illegible] بخلاف المحب فإنه باستغراقه بمحبوبه فهو في راحة مشهودة له[1] •

([illegible]) (ساكن) لأنه لا يتحرك إلا [illegible] ولا يخطر له خاطر إلا [illegible] (والموجد) له (مشهود) عنه [illegible] (لا ساكن لغير) [illegible] حركة في حبه [illegible] (ولا حركة لمحب) لأنه لا يرى في الوجود إلا الله ولأنه فني عن وجوده وارادته بوجود [illegible] (ولا حركة لعارف[2]) [illegible] (ولا وجود مفقود) أي من غاب عن نظره بوجوده •

واعلم أن أول مقامات [illegible] على المحبة • فالمحبة بعد المعرفة كما قال : (ما حصلت محبة إلا بعد معرفة) بوجود المحب ، إذ كيف يحب الشيء قبل معرفته (والمحب الصادق[3]) في محبته[4] (قد خلا قلبه مما سواه) تعالى لأن حقيقة المحبة شهود المحبوب ، ولا يحصل إلا مع الفناء وظهوره [illegible] عما سواه [illegible] ([illegible]) [illegible] (فهو ناقص المحبة) له •

([illegible]) [illegible] (فهو موجود ومن تلذذ) وفرح (بنعمه فهو موجود) ، ([illegible]) الله تعالى ، أي الذي استلذ بهما أو عن استلذ بهما ([illegible] والنعمة) ، لأن مشاهدة المحبوب دهشة ، والمدهوش من البلاء والأنعام •

---

(١) ب ، فني عن عمله ووجوده واتكل على الله تعالى ، فالمجتهد واقف على عمله ووجوده والمحب مفني عنهما باستغراقه بمحبوبه فهو في راحة بشهوده له •

(٢) ، ب ، جاء المتن في النسختين (ولا حركة لمحب) مع ان المتن الصحيح ـ على الارجح ـ جاء فيه (ولا حركة لعارف) •

(٣) جاءت الجملة في المتن المعتمد (المحب الصادق) ، واما في النسختين المطبوعة والمخطوطة للشرح فقد جاءت الجملة : (والمحب الصادق) •

(٤) « ب » في حبه •

(المحب الفانية) أي كلامه (حكمة) لأنه شاهد محبوبه يسمع منه ويفهم عنه[1] فلا ينطق الا بالحكمة لأنها تعليم عن الله (والمحبوب) لكونه قد تزايد قربه من ربه بزيادة حبه له (انفاسه قصد) مستورة في الاكوان بقدرة الملك المدبر ، فالمحب سالك وهو أعلى وأخص من المريد لأن المحبوب مراد والمحب مريد ، ولانه مجذوب أمر وسالك أمر ، وهما مذكوران في المنقولات ، والعابد سالك وهو الناظر بوجوده الطالب للعوض عن عمله[2] كما أشار اليه بقوله : (العابد للمعوضات) ، قال تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) ، (والمحبة للقربات) أي للتقرب اليه تعالى بصدق واخلاص .

واعلم ان المؤمنين خمسة اقسام : فالاول عوام المؤمنين والثاني عبادهم ، والثالث خواصهم ، والرابع خواص خواصهم وهم المحبون ، والخامس أخص خواصهم وهو العارف بالله على المعاني الله في الله ، ومن ثم قال الله تعالى في حديث قدسي : (اعددت لعبادي الصالحين) وهم العارفون بالله تعالى (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ، وهؤلاء هم عبيد النعم لا عبيد النعمة وهم قليلون .

قال الله تعالى : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وقال تعالى : (وقليل من عبادي الشكور) ، وهم مع الخلق بابدانهم ومع الحق بقلوبهم لا يفترون عن مشاهدته طرفة عين ، وقال في حديث قدسي ايضاً على ما قاله المؤلف : (ما أرادوني) أي يا عارفون بي (الا اعطيتهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت) ، وهذا مع ما قبله نتيجة ما أمدهم به من المحبة .

(إذا أفناك عن هواك بحكمه[3]) أي بالامر المنزل من حضرة الربوبية الى عالم حس العبودية ، وهو حسب الأدب وتركه ، بحيث ترى ان ما يجري من الكائنات فعل الله تعالى (وعن ارادتك بالعلم) الغيبي (صرت عبداً صرفاً[4]) أي خالصاً

(١) « ب » لانه لا يشهد الا محبوبه ولا يسمع الا منه .
(٢) « ب » الطالب لعرض علمه .
(٣) « ب » (إذا افناك عن هواك بالحكم) .
(٤) « ب » (تصير عبداً صرفا) .

[illegible] ([illegible]) [illegible] فتعلمن
ان الا[illegible] ([illegible]) ، (فحينئذ
[illegible]) [illegible] ([illegible]) عن (العبودية)
اي [illegible] (في الوجد [illegible]) [illegible] (وشي الرب تعالى) فشهد العبودية .

([illegible]) [illegible] والحامل مقبوض مكدود (وعلم) [illegible] ([illegible]) [illegible] ومشاهده ، وصار العمل عند صاحبه عادة لا [illegible] ولا [illegible] وجود في عمله بل راه فضلاً من الله ورحمة [illegible] (والمعرفة) [illegible] (كلها دلال) [illegible] بها احد على ربه كتدلل المرأة على زوجها بان تزيد [illegible] شكل حسن كأنها محبة [illegible] خلاف ، وهذا محض [illegible] ، ومقام الدلال يقع فيه الانبساط في الاقوال والافعال .

(طريقتنا) اي الموحدون (كلها محبة لا عمل) مكدود منغصون إليه ، (وقيد لا يبعد) [illegible] ان طريقهم محبة [illegible] لا عمل [illegible] (إذا دخلت في العمل[1]) وهو العبادة ([illegible] واذا دخلت في المحبة) [illegible] واخلصتها ([illegible]) [illegible] (العابد راى لعبادته) لانه مجاهد فيها وفي نفسه (والمحب راى لمحبته[2]) لانه خاضع لعظمة محبوبه متجرد عما سواه ، والعارف فوقهم لأنه احرز ما احرزوا وزاد عليهم بعلومه [illegible] ومعارف [illegible] وواردات روحانية .

(اذا عرفته) [illegible] عرفت انه [illegible] الفاعل ولم [illegible] الى عملك ولم

---

(١) « ب » حذف الشارح شيخ الاسلام الانصاري حرف الواو الذي يسبق جملة (اذا دخلت في العمل) ليستقيم الشرح . اما المتن المعتمد فقد ورد فيه (واذا دخلت في العمـل) .

(٢) قال الشارح (اذا العابد راى لعبادته) لانه مجاهد فيها وفي نفسه (والمحب راى لمحبته) والصواب على الارجح ـ هو ما ورد اعلاه ، طبقاً لما ورد في الشرح المعتمد ، والله الهادي الى الصواب .

تطلب له عوضاً (كانت الهمة منه) أي (وحركاتك) لأنك متحقق
بخلافه (وإذا جهلته) أي لم تكن كذلك (كانت حركاتك لك) لأنك
شهدتها صادرة منك بخلاف العارف وما لم تشهد(١) فعلاً إلا لله تعالى .

قال الله تعالى : (الله خالق كل شيء) و (والله خلقكم وما تعملون) .

(العابدون) أي منهم (له سالكون) في حركاته لأنه مجاهد كثير
(والزاهدون) أي منهم (له راغبون) في غير الله (والصادقون) أي منهم
(له تاركون) يذكرون أن غير الله إذا صدقوا عند الأمر ونهيه [illegible] (والعارفون)
أي منهم (له فهو ولا قوة ولا اختيار ولا إرادة ولا حركة ولا سكون) فهو بالله .
و (الموجود) بالله (ما) أي منهم (له وجود) مع نفسه لغيبته
باستغراقه بالله وتقدم هذا .

(إذا استأنست به) على من شهدته محيط بكل شيء خلقاً وعلماً وتطهرت من
الشرك الخفي (استوحشت) من غيره حتى (منك) لأنك كنت ترى أن
لك منك .

(من اشتغل به) وبعبادته (أو عمته) عن رؤية المعارف وفوقه مع عمله
(ومن اشتغل به بصرته) برؤيته [illegible] كشفه عنه حجب الكائنات .

(إذا زال هواك) الدنيوي (بكشف [illegible]) ما استولت (عن باب الحقيقة)
الربانية بحيث غلب على القلب (فمتى أراد بك فيكشف لك عن الوحدانية) فترى
الوجود كله لله سوى [illegible] الله في قلبك (فتحقق به) غائباً عن غيره تعالى
(أنه) أي (هو) أعني الموجود (فلا آت معه) فلا ترى إلا هو بعينه
(أن تسبب فيه) أمورك و [illegible] نفسك اعتمداً عليه (قربك) بنظره إليك
بعين الرحمة والعناية كما وقع لإبراهيم عليه السلام لما قال له جبريل عليه السلام حين
ألقوه بالمنجنيق وأرادوا وقوعه في النار . ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا وأما إلى الله

---

(١) « ب » فلا يشهد .

قبلي ، قال : سله ، قال : حسبي من سؤالي علمه بحالي » .

(وإن [illegible]) [illegible] وإذا [illegible] [illegible] من حضرة أنسه .

(إن [illegible]) [illegible] وجوده [illegible] عمله (قربت) [illegible] ([illegible]) [illegible] (بعدت) أي حجبت واشغلك بك .

(إن [illegible]) [illegible] جعلت [illegible] الدرجات والكرامات والمقامات[1] (فكذلك) العمل [illegible] لأن من طلب الاجرة [illegible] بالعمل وطولب به[2] .

(وإن [illegible]) [illegible] ([illegible]) أي جعلت من [illegible] واقتصد كما مر [illegible] (قربت) [illegible] ([illegible]) [illegible] (عنك وبعدك[3]) [illegible] (بوقوفك معك) [illegible] : ان حسنات الابرار سيئات المقربين كما مر ، وهذا [illegible] من قوله : (إن [illegible]) وقوله [illegible] (وإن [illegible]) [illegible] وجودا [illegible] (حجبت) عن حضرة انسه .

(العامل) أي والعامل في عبادته (لا يكاد يتخلص من رؤية عمله) طلب الاجرة عليه (فكن من [illegible] منه) أي منة الله وتفضله عليك (ولا تكن من قبيل العمل[4]) [illegible] من رؤيته [illegible] لا [illegible] من العارفين

(١) « ب » اي جعلك من اهل الدلال بان عاتب منه الدرجات والكرامات والمقامات .
(٢) « ب » لان من طلب الاجره طولب بالعمل .
(٣) ان اصل المتن المعتمد قد وردت الجمله فيه (عنك . وبعدك) في حين ان الاصل التي اعتمده الشارح قد جاء فيه (عنك وبعدك) .
(٤) « ب » (عامل) أي والعامل في عبادته لا نكاد بخلص من رؤية عمله لطلب الاجره عليه (فكن من قبيل المنه) اي منه انه وتفضله عليك (لا من قبيل العمل) .

أنت (إن عرفته) أنه الفاعل موجود (حببت) اليه في حركاتك وسكناتك ، فتصير إن نطقت نطقت به(1) وإن سمعت سمعت منه ، وعملت بلا نسبة ولا أجر ، ولهذا قيل : علامة العارف بالله أن يكون ... من النسبة والأجرة (وإن جهلته تحركت) برؤية عملك ويطلبك الاجرة عليه (فأبرأ) من ذلك كله (أن يكون) هو تعالى عندك (ولا تكون) أنت إلا شيئا عن غيره غنيا .

(العوام) وهم العباد الذين هم دون عوام العارفين (أتعابهم منهمات) تطلبهم الأجرة عليها ، فهي مشوبة بخصوصهم وهم إن أعطوا الأجرة عملوا وإلا فلا (والخواص) وهم العارفون على خصوصيتهم (أعمالهم قربات) لا نظر لهم الى عمل ولا الى ثواب ، بل الى القرب منه تعالى ، (وخواص الخواص) وهم الفانون بالله لله ، الباقون من الله بالله ، (أعمالهم درجات) يصعدون فيها فلا يشهدون لهم عملا ولا قربا ، بل أفناهم الله عنهم وأبقاهم له لأداء حقوقه .

(وكلما أحسنت) أيها العابد (عملا) وحصلت (قوي إيمانك) فيكشف لك سر الحكمة الربانية والقدرة الأزلية وأنه الفاعل الموجود (وكلما احتجبت ذاتك) أي غبت عنها وعن سائر الخلق وتحققت بحقيقة الفناء ، وأن الله محيط بكل شيء (قوي توحيدك) وعلمت أن التوحيد توحيد في الأفعال وتوحيد في الصفات وتوحيد في الذات ، والأول توحيد العوام والثاني توحيد الخواص والثالث توحيد خواص الخواص .

(الخلق) مع وقوفك معهم (حجبك) عن رؤيته تعالى (وأنت) مع ذلك (حجابك) عنهم أيضا (والحق) تعالى (ليس بمحجوب) عنك إذ لا قدرة على حجبه (وهو تعالى محتجب بنفسه عنك) فصرت أي وجودك وعلمك (وأنت محجوب عنك بك) أي إذا نظرت الى وجودك الذي حجبت به عنك (فانفصل أنت (عنك) أي عن وجودك بحولك وقوتك (تشهده) أي تشهد ما من به عليك من النعم والجود (والسلام) عليك ورحمة الله وبركاته .

(1) « ب » وسكناتك نطقت به .

نهاية البيان في شرح رسالة أرسلان

للشيخ علي بن صدقة الشافعي

في الصفحة ٦٨ شرع بعد السادة العلماء الذين قاموا بشرح رسالة الشيخ أرسلان وعددهم اثنا عشر عالما ، ووصف منهم هذا العالم العامل الشيخ علاء الدين علي بن صدقة الشافعي رحمه الله تعالى ، وقد شرح رسالة الشيخ أرسلان الدمشقي في التوحيد ، تحت عنوان : « نهاية البيان في شرح رسالة أرسلان » وعثرت على مخطوطه الفريدة واقتنيته في مكتبتي ، ويلاحظ أن هذه كتبه مع الحكم العطائية » لابن عطاء الله الاسكندري ، وضم اليه كتاب « فيض الرحمن » وصايا وحكم الأنبياء والمحبين والاخوان للمرشد الكامل الشيخ محمد العلمي .

وختم الكتب الثلاثة بما يلي :

وافق الفراغ من هذه الكتب نهار الأحد ثلاث وعشرين يوما خلت من شهر ذي الحجة ، سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف على يد حقير المسكين الضعيف العاجز المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه المجيد محمد سعيد بن الشيخ محمد العراقي النقشبندي ، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ هذه الصفحة ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، انه مولانا سميع قريب مجيب الدعوات ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

[illegible]
وجعل الجنة مأوانا ومأواه :

(كلك) [illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible]) [illegible]
[illegible]) [illegible]
[illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible]) [illegible] ([illegible])
التوحيد [illegible] ([illegible]) [illegible]
بعد [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] وجود الحق
[illegible] ([illegible]) [illegible] على
[illegible]
والغرض [illegible]
[illegible] وجود الأشياء حينئذ
بالنسبة الى وجود الحق تعالى باطلاً .

[illegible]

وقد [illegible] ما خلا الله باطل

[illegible] ([illegible]) [illegible]
([illegible]) [illegible] التوحيد .

[illegible]

فتجدد له في كل ساعة ووقت) بل في كل دفعة ([illegible]) [illegible] (شاهد [illegible]

اليقين الا الله تعالى [illegible] (إيمانا[1]) [illegible] من شهود [illegible]

[illegible] الا و [illegible]) ،

[illegible]

[illegible]

[illegible] في شهود

الباقي باقياً به •

(و [illegible]) [illegible] الى شهوده

[illegible] الاحدية

([illegible]) [illegible] على [illegible] واجلى من الأول الى غير نهاية ،

[illegible] من [illegible] عنهم

[illegible] ([illegible] عنك) حتى (تكون

[illegible] ([illegible]) [illegible] من حيث انت فتعلن

لله تعالى بالوحدانية على الاطلاق •

فصل في وصل

([illegible] ان مغرور)

[illegible] ([illegible]) [illegible] عن [illegible]

لوقوفك في معراج العرفان عند مقام او كشف •

[illegible] وعلم

ان العارف [illegible] الله تعالى ،

(١) جا في الاصل [illegible] (ايمانا) وبما ان الشرح جا (وايمانا)
[illegible] المؤلف = •

[illegible] في جميع الاحوال ، فهو مشتغل [illegible] مع الشهوات [illegible] فهو مشتغل بحظوظه عن الله تعالى .

[illegible] ([illegible]) حتى [illegible]

[illegible]

[illegible] ([illegible]) [illegible] (وهو معكم [illegible]) [illegible] والرحمة (في [illegible] والآخرة) [illegible] ([illegible] معه) [illegible] ([illegible]) [illegible] مشاهدة [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] سواء .

فصل بل وصل

([illegible]) [illegible] وهو [illegible] ([illegible]) [illegible] مشهدك الاول ، وهو مقام المحو [illegible] الاحدية الجمعية ، فيقوى حينئذ نور عين يقينك المعبر عنه بقوله : ([illegible]) [illegible] (نقلت من مقام الى مقام) في مشاهد [illegible] .

---

(١) جاء المتن في المخطوط (الايمان [illegible] عنه) اما المتن المعتمد فقد جاءت الجملة (الايمان خروجك عنهم) .

(٢) جاء في المتن المخطوط (واليقين خروجك عنه) والصواب في المتن المعتمد : (واليقين خروجك عنك) .

فصـــل

[illegible] (حتى تضيئه) [illegible] لاشك [illegible] عن [illegible] وحال [illegible] (حتى الى [illegible]

[illegible] (والحقيقة [illegible] (فالشريعة تفصيل [illegible] (واعلم [illegible] على قلبه حقائق المعرفة بالوجود الفضلي ، [illegible] لا ينفك احدهما عن الآخر ، اذ الشريعة بلا حقيقة [illegible] الله الكمل رضي الله عنهم .

[illegible] (العام [illegible] (مفقود)

(١) جاء المتن في المخطوط (حتى تضيئه له) والصواب ما اوردناه اعلاه ، اعتمادا على النص الاصلي .

(٢) جاء المتن في المخطوط (فسريعة) والصواب : (فالشريعة) كما في المتن المعتمد .

(٣) حذفت (..) من المتن المخطوط والصواب ما سطرناه ، طبقا للنص المعتمد وهو: (وشتان ما بين المجاهدة والمنة) .

أي [illegible] شهوده [illegible] [illegible] لا بد للعبد من [illegible] مع [illegible] حتى [illegible] مع [illegible] •

فصـــل

(الأنفاس [illegible] الشرع الشريف) [illegible] الظاهر (و [illegible]) كل [illegible] ([illegible]) [illegible] والحروف [illegible] (والوجد [illegible] الصحيح) لأنه أي وجد [illegible] الحواس [illegible] بحيث يصير الغائب حاضر •

([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] وراء [illegible] والمستحيل ، والواجب من حيث التعقل •

(و[illegible] الآخرة [illegible]) [illegible] ([illegible] الحق [illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] وهو الشرع [illegible] ([illegible] الآخرة [illegible]) [illegible] (فقد [illegible]) وطلب الآخرة [illegible] صلى الله عليه وسلم •

فصـــل

(المؤمن [illegible]) في [illegible] ([illegible]) [illegible]

---

(١) حذفت كلمة (الشريف) من المتن المخطوط والصواب ما أثبتناه ، طبقا للنص المعتمد •

(٢) حذفت كلمة (الصحيح) من المتن المخطوط والصواب ما أثبتناه طبقا للنص المعتمد •

[illegible] الله [illegible] (والعارف ينظر

[illegible]) اي [illegible] الى [illegible] لانه بعد العروج الى [illegible] المعرفة [illegible] ([illegible]) شهوده وجوده (أمر [illegible]) [illegible] اي [illegible] الاسباب و [illegible] التكليف (فاذا فنيت عنك) أي عن شهودك وجودك (تو[illegible]) بالالطاف والمواهب و[illegible] ولا [illegible] كلفة [illegible] شهود [illegible] [illegible] فيمتثل الاوامر و[illegible] من [illegible] كلفة [illegible] ([illegible] الا [illegible]) عن [illegible] وفي هذا إشارة [illegible] الى مقام الولاية الكبرى الا بعد فنائهم [illegible] سوى الله تعالى [illegible] شهود [illegible] الحضرة الربوبية . لأن [illegible] الروح وجميع [illegible] [illegible] مشغول اي جمع الجمع الشهودي [illegible] ([illegible]) مع [illegible] من [illegible] [illegible] ([illegible]) والامر في مقام الارادة ([illegible]) وانقاد [illegible] ([illegible]) [illegible] (مراد) الحق من الخلق .

([illegible]) [illegible] على [illegible] من حجب النفسانية (في غيبك) اي [illegible] (عنك ووجودك) اي [illegible] (به) تعالى ، فكلما كنت غائباً عنك فأنت في يقين بلا شك ، وكلما إياك عدمت فأنت في وجود بلا عدم .

(فكم بين من يكون بأمره وبين من يكون به) [illegible] (به) [illegible] ، فالاول مع العادات والثاني مع المعبود ، [illegible] في العبادة مع المعبود [illegible] في العبادة مع العبدة ، والاول مع الامر والثاني مع الامر في امره .

(إن كنت) [illegible] ([illegible]) اي [illegible] ([illegible] الاسباب) الموصولة الى المسببات (وان كنت) [illegible] (به) تعالى ([illegible] لك الاكوان) أي [illegible] لك و[illegible] دون الله مسبب الاسباب ومسير الامور الصعاب .

فصل

(اول القصد) سلوكه (بصبر على مراده) في حبس النفس على مراد الله تعالى وهذا هو صبر بخاصته (وأوسطه الرضا) وهو طمأنينة القلب (بمراده) تعالى (وآخره ان تكون) انت العارف في كل تصرف (بمراده) أي الله تعالى سبحانه ارادتك بقدرتك عنها كما قال : مرادي منك نسيان المراد •

فصل

(العلم) الكسبي (طريق العمل) ثم الكسبي تارة تكون طريقا لاعمال الجوارح وتارة تكون طريقا لاعمال القلوب ، فالاول كعلم الشرائع والثاني كعلم التوحيد والاحوال والمقامات والاخلاق (والعمل) بالعلم الكسبي (طريق العلم) الوهبي اللدني (و) هذا (العلم) الوهبي (طريق المعرفة) بالله تعالى وبصفاته وافعاله (والمعرفة) بالله تعالى هي سمو اليقين عن حد التلقين الى كمال العيان من مطارح البرهان •

(طريق الكشف) الذي هو رفع الحجب من عين العقل لعين الحقيقة الروحية (والكشف طريق الفناء[1]) في الله تعالى عما سواه ، والفناء طريق الخلة وهي سقوط الاشارة من السر برده الى الرسم لظهور الاسم •

(ما صلحت لنا) أي لشهود قدسنا (وفيك بقية) من (سوانا) فمن عن كل بقية في نفسانيتك تصلح بروحانيتك لشهود قدسنا الباقي (فاذا حولت السوى) أي صرفت عن نفسك ما سوى الله تعالى حتى لا يبقى فيك متسع لغيره (افنيناك عنك) أي شغلناك عن وجودك بمشاهدة شهودنا (فصلحت لنا) أي كنت اهلا للمشاهدة الأنسية (فأودعناك سرنا) لاهليتك له من بين الحقيقة الانسية ، والسر الالهي ما شهده الجنان وخرس عن النطق به اللسان •

(١) الصواب ان تضاف كلمة « والكشف » كما فعلنا اعلاه •

فصـــل

(اذا لم تجد لقلبك حركة لنفسه) خرجت عنه كلها به على (كمـل نفسك) والنفس هنا روح الرب شهود العين تلوى في كل حركة قلبه وقالبه مستعملا ذلك على مستعمل له عما سواه وهذا غاية كمال القلب (واذا لم تر لقلبك وجود عندك) لفقدك نفسه من استيلاء انوار التجليات الالهية على قلبك (كمل توحيدك)، التوحيد هو عبارة عن نفي الغير واثبات الواحد من كل وجه واعتبار ، وكمال التوحيد زوال النسبة وذهاب الغيبة •

(اهل الباطن) أي علم الحقيقة (مع اليقين) لصيرورة الغائب عندهم حضراً (واهل الظاهر) أي علم الشريعة (مع الايمان) بالمغيبات •

واعلم ان علم الحقيقة هو روح علم الشريعة ولبه وثمرته ، فهو في الحقيقة من علم الشريعة (فمتى تحرك قلب صاحب اليقين) بأن يخطر فيه خاطر لغير الله تعالى (نقص يقينه) ولذلك قال :

ولو خطرت لي في سواك ارادة   على خاطري سهواً قضيت بردتي

(ومتى لم يخطر له خاطر) لغير الله تعالى (كمل يقينه) كما قلت :

انقض بيت القلب من غيرها عسى   وكمده بها يكمل ملحه

يقين بلا شك ووصل بلا نوى   وجمع بلا فرق على كل محة

(ومتى تحرك قلب صاحب الايمان بغير الامر نقص ايمانه ومتى تحرك بالامـر كمل ايمانه) لأن الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهو مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ، وبعده على ذلك غير واحد من جهابذة الامة ومحققي الصوفية ، شهدوا أن الايمان الحقيقي ثمر الخشية ، ولذا كلما كان صاحب الايمان ممتثلاً مجتنباً زادت خشيته وكلما كان غير ذلك نقصت خشيته الى ان يذهب بالكلية والعياذ بالله تعالى فينقص ايمانه ، لأن الايمان بمنزلة الشجرة والخشية بمنزلة الثمرة ، واذا انعدمت ثمرة

شجون [illegible] في [illegible] عند [illegible] العيون في السر [illegible] [illegible] كما قلت :

شهدت [illegible] [illegible] في حسي [illegible]
[illegible] كنت [illegible] [illegible] [illegible]

([illegible]) [illegible] الله [illegible] ([illegible]) عندهم كما قال :

ولو خطرت لي في سواك إرادة [illegible] على خاطري سهواً قضيت بردتي

ومن ثم كانت [illegible] حسنات الابرار سيئات المقربين [illegible] على قدر [illegible] ، وعلى قدر [illegible] يكون [illegible] على قدر القرب يكون العتاب ، ألا ترى ان الملوك [illegible] [illegible] ([illegible] الاسر قمر) في ايمانهم لما تقرر .

فصــل

([illegible]) [illegible] وحقيقتها امتثال ما امر به العبد [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] في [illegible] على اسرار [illegible] بدوام [illegible] (والعارف) بالله تعالى ([illegible]) [illegible] كل نفسه تحت مجاري سطوات الاقدار (والموجود) [illegible] ([illegible]) [illegible] الاجتهاد [illegible] والمعرفة [illegible] الوجود [illegible] ([illegible]) على هذا (لا سكون متقي) [illegible] ([illegible]) [illegible] قلبه محبوبه في كل حال (ولا حركة عارف[1]) [illegible] الى [illegible] القلوب

(١) وردت الجملة في المخطوط (ولا عزم العارف) والصواب كما في المتن المعتمد .

(ولا وجود مفقود) يعني لا وجود له عنده لغيبته عنه وعلاوة مع إدراج العلويه على طوالع اللوامع الغيبية .

(من حصلت المحبة له فقد حصل) لأن من حصل له حصول المحبوب غيبة وحضوراً ما حصلت له من المحبة إنه حبه ، لا يشاهد إلا حبه فيشهد حبه ، ولذلك قال : « من طالع حسن المحبوب في غيبته وحضوره استوى عنده الأمران :

وعزة الحب ان احب التهدي عن الحسن الذي أهواه في خلدي

فحال حضوره كحال غيبته ، وهذا دفعه ... في خلد أحد ، واستواء الأمر عند المحب هو النفس الحقيقي المنتج للمحبة الحقيقية .

(المحب الصادق) في حب مولاه (قد حال عليه مما سواه) لاستغراق المحبة بكمال وجمال محبوبه عن كل شيء سواه حتى عن نفسه ، ولذلك قلت :

وما بقيت لمعنى نفسي اعنى وقد ذهبت فمني فلم ندر في أبا
حسبت فيه اد حلوت بحسنه وغبت بها ثم ادن وصلا ولا بين

(ومن دام عنده بقية محبة سواه فهو ناقص المحبة) فعليه قلع السوى من قلبه وطرحه من أنه يكون كامل المحبة ربه كما قال :

كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بحبك يا ديني ودنيائي

(من تلذذ بالبلاء فهو موجود ومن تلذذ بنعمه فهو موجود) أي غير فان ، فلو كان فانياً ما وجد من نفسه لذة للشعور باللذة ، ولو كانت اللذة غير نفسية ، اذ هو مؤذن بعدم الفناء فلو كان فانياً ما وجد من نفسه لذة ، ولذلك قال : (فإذا أفناهم عنهم ذهب التلذذ بالبلاء والنعمة) في شهود المبلي والمنعم .

(المحب العاشق حكمه) المراد بالعاشق الكلام وعبر به عنه لاشتماله عليها من باب تسمية الشيء بما اشتمل والحكمة المعنية كل نفع وافق الصواب المقصود بالحصر عبارة وأخصر إشارة وانما كان العاشق المحب حكمه لأنه لا يشهد إلا محبوبه ولا يسمع

لا منه ولا فهم إلا عنه ولا يعطي إلا منه فإذا كان عبده في محبته وحينئذ فلا

يتعلق إلا بلطائف الإشارات [illegible] (والمحبوب) منه تعالى

(العارف بقدره) أي العبد [illegible] في حبه والواقف على [illegible] حتى

[illegible] عبده يحبهم ويحبونه [illegible] محبوب محبوبه [illegible] الله على [illegible]

[illegible] الشريعة [illegible] من [illegible] تعالى [illegible] في [illegible] بقدره [illegible]

(العادات للمعروفات) أي [illegible] عبده في [illegible]

[illegible] والنفس [illegible] قال الله تعالى : ([illegible] وكان سعيكم

مشكورا) (فالمحبة [illegible]) [illegible] في الأنس [illegible] أي

المحبوب بكل [illegible] في [illegible] المحبوب فله من

الموالاة والإنعام [illegible] على [illegible] ولا [illegible] والإكرام [illegible]

الحق [illegible] في [illegible] ([illegible] ما لا عين رأت ولا أذن

سمعت ولا خطر على قلب بشر) [illegible] الله تعالى ،

ولذلك قال : (لما ارادوني لي[1]) ي قصدوني ببذل النفوس والمهج في محبتي

(اعطيتهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت) [illegible]

[illegible] مشاهدة [illegible] •

(إذا أفرد عن هواه [illegible]) [illegible] شيء في موضعه وهي

[illegible] الله تعالى : ([illegible] خيرا كثيرا)

(وعن ارادته العلم) [illegible] من [illegible] ([illegible] من [illegible]

علما) (صرت عبدا صرفا) [illegible] عليهم أي صرت بعد ذلك

متصفا بصفة العبودية [illegible] وهي [illegible] ربوبية وصرت داخلا

في زمرة : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) بصرت عبدا حقا

(لا هوى لك ولا ارادة) [illegible] ارادة [illegible] الى [illegible] يقتضيه

[illegible] البشري [illegible] ارادتك [illegible] مع ارادة الحق [illegible]

(١) ورد خطأ (لما ارادوا وربي) والصواب في المتن (لما ارادوانى لي) •

(وحينئذ كشف[1] لك عن نفسك [illegible] عنك
عن [illegible] ([illegible] في وحدانيته) فلا ملاحظها
العبد [illegible] العبودية المتلبس
[illegible]) [illegible] بصفات الربوبية أولا
[illegible] في [illegible] وبعد [illegible] للعبد
من حققه ذلك في المستقبل بعد المجاهدة •

فصـــل

(الشريعة كلها قبض) [illegible] عن الأمور الظاهرة من [illegible] المكلف
ولأن الشريعة [illegible] حد وقواعد لا [illegible] أحد [illegible] إلى الهمة ، وسط
[illegible] الله على كلها قبض ، [illegible] بذلك
إلى الوقوف مع الأحكام الشرعية [illegible] في طي قبضه والقبض وارد يرد على
القلب [illegible] على ترك أدب أو على [illegible] أو على عدم القيام شروط الأدب
والشريعة كلها [illegible] ([illegible] كله [illegible]) [illegible] العلم اللدني ، وهـو
ما يوجد في القلب من [illegible] بعد الإسلام ، هذا العلم [illegible] في معنى الشهود
الغيبي الذي [illegible] وكذلك كان كله بسط ،
لأن [illegible] الروح في [illegible] الذي لا [illegible] (والمعرفة كلها دلال)
[illegible] لأنه [illegible] رفع
[illegible] ، والدلال [illegible] الأنس بعد الوصلة •

(طريقنا) معشر [illegible] (كلها محبة[2]) صادقـة
خالصة مصفاة لا يشوبها [illegible] ([illegible]) [illegible] العمل الخالص

---

(١) وردت الجملة في المخطوط (فحينئذ تكشف لك) والصواب (فحينئذ يكشف لك عن نفسك) •
(٢) ورد في المخطوط (محبه) والصواب (كلها محبة) •

طريق إلى مقام المحبة الصادقة والمحبة الصادقة هي الطريق الموصل إلى شهود المحبوب ، ولذلك كان طريق المحبين الموصل إلى حضرة المحبة بعد الوصول إليها بعمل الصالح الخالص واستدامته معها (و) طريق معشر المحمديين الموصل إلى مقام المحبة الحسم (فناء) عن الأكوان والمكون بشهود المكون (لا بقاء) مع الشيء سواه ، فالفناء عن الخلائق بشهود الخالق يتحرر في قدم عيون الحقائق .

(إذا دخلت في العمل كنت به) أي تكون في العمل الصالح لخلاص نفسك وتزكيتها وتطهيرها من أحداث الطبيعة (وإذا دخلت في) مقام (المحبة) بعد الحصول على الصلاح بالتزكية (كنت) على كل حال (له) خالصاً مخلصاً بكليتك وجزئيتك وكونك له لا شيء سواه هو المراد الأعظم .

(العبد ذاكر لعبادته) من حيث إنه يسعى في تحرير رقبته من استرقاق رق الأكوان (والمحب ذاكر لمحبته) من حيث استعداد حقيقته الروحانية الثابتة في صورته الجسمانية ، والإنسان الكامل العارف هو من فني في شهوده عن جميع وجوده وعن كل ما سوى الله تعالى وهو ذاهل عن ذاته لا يحس ولا يشعر به ، فمتى أحس بنفسه لا يغيب على وجود ذلك الشيء (إذا عرفته) بأن شهدت من مقام الإحسان أنه مطلع عليك في حركاتك وسكناتك وخطراتك على الدوام (كنت الساكت) جوارحه (به) أي بذكره فيكون لسانك كله ذكراً وهو الناطق (و) كانت (حركاتك) جميعها (له) فيكون هو موجدها ومحركك بها وأنت تشهد تصرف الحق فيك وحكمته عليك واحتياجك بين قبضته ، الفاني في هذا المقام عابداً ، وهو مقام مراقبة المحبوب في السر والعلانية حتى لا تطرف عين طرفة عين (وإذا جهلته) بأن غفلت عن مراقبته (كانت حركاتك لك) من غير أن تشعرها منك وجعلت عنك كأهل الغفلات والبطالات فتكون محجوباً بظلمة نفسك ، وبحركاتك النفسانية الشهوانية ، وأما أهل المراقبة لله تعالى في الخلوات والجلوات فإنهم لا يشهدون جميع الحركات والسكنات والإرادات إلا من رب الأرضين والسموات ومدبر الكائنات .

(الغايه) المعنى عند الصوفية حق (ما ساكون) الا دهر ولا بعضا

لاجتهاده في الرق بحيث عبودية في ... كما ... العبادة المعبدي

(والزاهد) ... (في غير الله تعالى) (والعبد سو)

نفسه ... في ... وقوته وحوله مع الله عز

وجل (...) أي ... قال الله تعالى: (من المؤمنين

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه). (والصادق ... حول) عن شيء

(ولا قوة) على شيء (ولا احساس ولا ...) لشيء (ولا حركة ولا سكون)

في شيء الا بالله وحده ... وهذا العارف هو

(الموجود) في ... (... وجود) في ...

عنه ان يكون في شيء من هذه الاشياء الا بالله تعالى ... وجوده مع ... لاستئناسه

بوجود ربه، وبذلك قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: (اذا استأنست به) أي بوجود

الله تعالى في مشاهدة ... (استوحشت منك) أي من وجودك في ...

النفسية فقد قلت:

وحشتي ... أنسي ... على ...
عدمت بها ... ... في كل حال ...

(من اشتغل ...) أي ... (...) أي ... عن التمتع ...

الأسمى ... الاسمى ... محجوب ... ومن اشتغل ... محجوب ...

... بمحبوبه مطلوب ... الحب عن ... في ... (ومن

اشتغل ... ...) أي ... حتى شهد ... في

... بمحبوبه لأن ... محجوب ... فهو محب مخلص ... في

الحب يستحق ان يبصر بحقائق الاشياء.

فصل

(اذا زال هواك) ... (كشف) السر (لك)

اي حين قلت ([illegible]) [illegible] (فلاسف [illegible])
استحق (عن) [illegible] (او [illegible]) [illegible] العرداية على [illegible]
مواقف الالهية في قصة [illegible] ([illegible]) [illegible] (انه)
على (هو) الموجود [illegible] (لا) [illegible] ([illegible] معه) لا معنى ان
يكون معه غيره [illegible] وجود [illegible] مع وجوده لا [illegible]
[illegible] مع [illegible] (ان [illegible])
[illegible] (انه) [illegible] على المواقف [illegible]
كالموات [illegible] ([illegible]) [illegible] ممسوحا بالمعب [illegible] من [illegible] واحبت
حية [illegible] (وان [illegible]) [illegible] ملتف باختياره وتدبيره
([illegible]) [illegible] الحسن والاحسان [illegible] من موارد [illegible] الى [illegible]
قفار الجفا •

([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible]) اي [illegible]
واذ حلت في زمرة [illegible] ([illegible]) [illegible]
([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] اهل [illegible] في [illegible]
اهل [illegible] ([illegible]) [illegible] رفيع [illegible] ومواهب
[illegible] الاعمال [illegible] الاقوال [illegible] لانك في [illegible] وانت بك
عنه مشغول ، [illegible] الكتب [illegible] وانت قائم به
حتى [illegible] سواه [illegible] في [illegible] وهو مشغول
[illegible] في [illegible] لا يشتغل بشيء سواه وان كان
[illegible] يديه ، الا [illegible] احترق [illegible]
[illegible] اذا راى المعشوق [illegible] وجوده [illegible] وجود [illegible] بل
[illegible] معشوقه [illegible] في
كل ما [illegible] ولا [illegible] المعشوق [illegible] الراحة
فاذا كان هذا [illegible] عشق [illegible] بحسب [illegible] ؟ ،

[illegible] الاشياء [illegible]

[illegible] محبوبه

[illegible] شهود الاغيار

[illegible] ومحبوب [illegible] (خروجك)

[illegible]) اي مع وجود

(الخلق) من [illegible] ([illegible]) [illegible] وجود

(انت) مع [illegible] ([illegible]) [illegible] اثره

(وان خلت [illegible]) [illegible] المحبوب [illegible] من شهد

فيه مع محبوبه غيره اوقعه شهود السوى في غيره .

[illegible] ولا يرى نفسه عملاً

ولا [illegible] هو العارف الذي

[illegible] على عمله وهذا

هو ([illegible]) [illegible] ([illegible] عمله) فليس يكون من اهل

الاخلاص [illegible] وجوده وطلب [illegible] الفضل

والامتنان : ([illegible]) [illegible] (من قبل الله) أي من قبيل

من [illegible] وقصده عليه من احسانه اليه

(ولا [illegible]) [illegible]

به على [illegible] ([illegible]) [illegible] لا موجود ولا فاعل الا هو

([illegible]) [illegible] قال : إذا قضى [illegible]

والمعصية [illegible] والمعصية [illegible] لا [illegible] والرضى

انما هو [illegible] (وان جهلته

تحركت) [illegible] (فمراد)

[illegible] (ان [illegible]) هو المشهود على كل

حال (ولا كون) اي لا ترى ان وجودا معه فانك عنه في شهودك اياه •

(العوام) وهم السالكون في اول سلوكهم (اعمالهم عقبات) لرؤيتهم عدم خلاصهم من عقباتهم (والخواص) وهم المتوسطون في سلوك المقامات والمشرفون على قطعها اي ما لا نهاية له (اعمالهم قربات) لهم الى ربهم وزوال ابقاء منهم وبقية الله خير (وخواص الخواص) وهم الذين استكملوا قطع المقامات حتى وصلوا الى حقائق معرفته فارتقوا في معارج العرفان الذي لا نهاية له (اعمالهم درجات) فلا يزالون يرتقون فيها •

(كلما احسست هواك) انه امرك (قوي اتصالك) اي وقوي اتصالك فتحرك به مقتضى امرك (وكلما احسست ذاتك) منفكة عنه (قوي وحيدك) اي قوي وقت وحدك مستغرقا به شهودك وحضورك انه امرك حسب الله تعالى (الخلق حجاب) لمن يقصر تقصيرك عن رؤيته الصانع في مصنوعاته (وانت) اقصى (حجاب) اي اشد حجاب عليك عن شهود ربك وانه كما انه حجاب لان رؤيتك الخلق اهون عليك من رؤيتك نفسك لانه من الاركان (والحق) تبارك وتعالى (ليس محجوب) لتنزهه عن ان يحجبه شيء عنك (ومحجب عنك بك) اي من اجل رؤيتك نفسك معه (وانت محجوب عنك بهم) اي وانت محجوب عن معرفتك نفسك بسبب رؤيتك الخلق ودعواك معهم والتفاتك اليهم • والمقصود ان لا تحتجب عن نفسك لكي تعرفها فاذا عرفت نفسك عرفت ربك فقد علمت ان معرفتك نفسك سبب لذاتها وانما هي لاجل معرفة ربك • واذا عرفت نفسك ولم تعقد معرفتك وكانت قاصرة حجبتك عن شهود ربك اي عن معرفته (فتفقد عليك) وافقد المعرفة الى من عرف نفسه لاجله (شهيدا) في كل شيء بما اظهره فيه من بدائع الصنعة المتقنه المحكمه ومع كل شيء علمه انه لا يخفى عليه شيء • وعلى كل شيء بقدرته الظاهرة القاهرة فلا تشهد في الوجود الا الواحد المعبود (والسلام) عليك ايها الاخ في الله تعالى ورحمة الله وبركاته••

تمت الرسالة بعون الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

شرح الرسلانية

للشيخ علي بن علوان الحموي

وقمت في الصحيفة ٦٥ من هذا الكتاب شيئا عما عانيته في الحصول على الشرح الرابع لرسالة الشيخ ارسلان الدمشقي . وهو للشيخ علي بن علوان الحموى . اذ عثرت عليه بعد الجهد في مكتبة توبنغن بالمانيا الاتحادية . وقد نقل اليها من مكتبة برلين إبان الحرب العالمية الثانية . لذلك اكتفي بما اثبته سابقا . واضيف بان للشرح مخطوطين اثنين في تلك المكتبة . وهما اللذان اعتمدتهما في تحقيق الشرح . في اعقـاب مخـابرات دامت اربعة اشهر تقريبا . ونقلت الافضل منهما . واشرت في الحاشية الى الخلاف بين النسخة الاولى وبين النسخة الثانية . ورمزت اليها بحرف (ن) أي النسخة الثانية . كي يكون القارئ العزيز على اطلاع كامل على ما فيهما . دون ان افرط بشيء في طريقة التحقيق التي استندت اليها في هذا الشرح وفي غيره من الشروح .

والذي لاحظته ان المخطوطين تضمنا اخطاء كثيرة في المتن المعتمد في ضوء الدراسات التي قمت بها ، سواء أكان في سورية أم في غيرها من البلاد العربية والاجنبية ، لـذلك نشرت المتن الخاطئ في الحاشية ، ووضعت نصوص المتن المعتمد في الاصل .

● شــــرح الرســـالانية

لعلي بن علوان الحموي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على [illegible] محمد [illegible] وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإن الفصل [illegible] على بن [illegible] الشمس [illegible] على بن [illegible] [illegible] من [illegible] علاق . [illegible] ([illegible]) [illegible] الرضى عنها .

[illegible] مات وهو مصر على الكبائر ، [illegible]

(١) « ن » فاطرح ايها الشفيق .

(٢) « ن » فكيف بسواه ؟ .

[illegible] وهي أشدهن » .

[illegible] حيث جعل المهلكات ثلاثاً :

[illegible] صلى [illegible]

[illegible] وسلم

[illegible]

لدفع سموم الذنوب .

[illegible] هو

النعيم الأكبر .

[illegible] إذا خرجت عنك) أي

[illegible] بخروجك

[illegible] فتشرق

[illegible] ويكون

[illegible]

[illegible] أنوار [illegible]

[illegible] لا إله إلا الله [illegible]

[illegible] محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible]

(١) « ن » ينحجب بصلاته .

ويكشف لك الحقيقة عند ذلك وتظهر لك الأمر عيانا ، فتستغفر مما كنت عليه من الأوصاف وتعترف بذنوبك . ومن اعترف بذنبه حقيقة الاعتراف .

كما قال رضي الله عنه : (فكلما تحققت كشف لك انه هو لا انت فستغفر منك[1])
اي كلما كشف لك حقيقة الأمر واتضح مقصوده وتحقق بدوام التوحيد ، وتحقق بما لك وظهر اليك الذي كنت تنسب الأمور اليه وتعتمد في حركاتك وسكناتك عليه ، هو الله تعالى لا انت ، لانه المتصرف في كل شيء المدبر لكل شيء المجري والمسلط لكل شيء ، اذ ما من شيء الا وله تدبير ولا فيه حركة الا وهي بارادته وقدرته .

قال تعالى : (والله خلقكم وما تعملون) ، فاذا تيقنت ذلك فتستوي على فعلك معك وعلمت حقيقة ما هنالك واتضحت لك الامور وتحولت من عندك نسبته في انه هو الفاعل لا انت فستغفر منك اي من افعالك واحوالك ونسبتها اليك ، اذ تحقق عندك حينئذ انها كلها ذنوب ، وان اوصافك واحوالك كلها عيوب ، واذا تحققت تلك العيوب والاستغفار وتخلقت بشريف الآداب والاذكار وتحليت بشعائر امتثال الشريعة وتأدبت بآداب الطريقة ظهرت لك شمس التوحيد وتحقق باسراره وتدفع عنك ظلام الشرك وتضمحل عنهم .

كما قال رضي الله عنه : (وكلما وجدت[2] ان لك الشرك تجدد في كل ساعة ووقت توحيداً وايماناً) اي كلما علمت ان الله تعالى هو المتصرف في جميع الامور لا سواه تحقق عند ذلك بحقيقة : لا اله الا الله ، وعرفت انه لا ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع ولا خافض ولا رافع الا الله ، وتدرج بجميع ذلك هذه المعرفة وصارت لك سجية ودامت ظهرت لك حينئذ الشرك[3] في جميع حركاتك وسكناتك واحوالك وتدبيراتك ومقاماتك ومكاشفاتك ، فتجدد في كل ساعة ووقت توحيداً وايماناً ، كما قيل : جددوا

---

(١) ن . المتن الخاطئ : وكلما كشف لك بان لك انه هو لا انت فستغفر منك .
(٢) ن . المتن الخاطئ : كلما وجدت بان لك الشرك فتجدد في كل مساء ووقت توحيدا وايمانا .
(٣) ن . المتن الخاطئ : حينئذ من الشرك .

الحاصلة بذكر: لا إله إلا الله ... الخاصة ... ومعناه عن ساحة القلب كل غير، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم: أفضل الذكر لا إله إلا الله. وقال في الحديث القدسي: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي. فمن دخل حصن مولاه كيف يصل إليه سوء. فلا يزال المسلم يذكرها بلسانه حتى يصل أثرها إلى جنانه فيمحى منه الشرك ويشهد سائر أركانه، إذ لا يعتريه لمخصص العجز عن مقاومة العدو إلا بذكر مولاه ولا مسلك يخلص من سخ الشرك إلا التحصن بحصن: «لا إله إلا الله». وكلما لازمها السالك زاد إيمانه وخرج عن الخلق، وكلما أمعن فيها وأكثر زاد يقينه وخرج عن نفسه ووصل الى الحق.

كما قال رضي الله عنه: (وكلما خرجت عنهم زاد إيمانك وكلما خرجت عنك قوي يقينك[1])، الخروج عن الخلق هو عدم السكون إليهم وعدم الاعتماد عليهم، وكلما خرج السالك بقلبه عنهم رجع بقلبه إلى مولاه، وزاد هو حقيقة إيمانه وعلاه، وقد خرج المؤمن عن الخلق، لكن بقي فيه بقية من رؤية النفس وتدبيراتها ورجوعه إلى إراداتها واختياراتها، ولا يحصل له مقام اليقين والكمال حتى يخرج منها كما خرج عن غيرها فيها من الخلق أيضا، ومن يصل إليه في الحق ... من الخلق، كما قال الطير وقصال ووصل، ولهذا قال المصنف رضي الله تعالى عنه: «وكلما خرجت عنك قوي يقينك».

ومن أحسن ما قال الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه في هذا المعنى: «إذا فنيت عن الخلق قيل لك رحمك الله، وإذا فنيت عن هواك قيل لك رحمك الله، وأفناك عن إرادتك ومناك، وإذا فنيت عن الإرادة قيل لك رحمك الله وأحياك، فحينئذ تحيى حياة لا موت بعدها، وتغنى غنى لا فقر بعده، وتعطى عطاء لا منع بعده»، وكيف لا يصير له ذلك وقد سار عند مولاه؟ وكيف لا يتحقق بهذا ومن بقي في قلبه إلا الله؟ ومن كان كذلك ارتفعت همته عن الأغيار ولا يركن إلى المكاشفات والمشاهدات.

كما قال رضي الله عنه: (يا أسير الشهوات والعبادات! يا أسير المقامات

(١) ن. النص الخاطئ: وكلما خرجت منهم زاد ايمانك وكلما خرجت منك زاد يقينك.

والمكاشفات ، انت معروف انت مشغول بك عنه •• اي الاشتغال به غائب وهو عز وجل
حاضر ناظر وهو معكم اينما كنتم في الدنيا والآخرة) ، فشرع رضي الله عنه يبين[1]
للسالكين طريق اهل التحقيق ويزيل عن ساحة قلوبهم اوساخ العوائق ، فان كل شيء
سكن اليه السالك واعتمد عليه فهو حجابه وعدوه كائنا ما كان من العبادات والطاعات
والمكاشفات فان القلب اذا مال الى الشيء كان اسيره وعبده ، كما قال : « ما احببت
شيئا الا وكنت له عبدا » ، وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا ، فكما لا يحب العمل
المشترك لا يحب القلب المشترك ، العمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه ،
ففرغ قلبك من الاغيار تملأه بالمعارف والاسرار والعبادات والطاعات والمكاشفات من
الاغيار ، فمتى اشتغل بها السالك ومال اليها كان اسيرا لها فيكون محجوبا بها ، فلذلك
قال رضي الله عنه : « انت معروف انت مشغول بك عنه » اي انك مشغول بحظوظ نفسك
عن ربك ، فمن اشتغالك بها عن الاشتغال بنفسك : لانه ما خلق قلبك الا ليكون محلا
الذكر ، فاذا وضعت فيه سواه فقد غصبته وظلمته •• وما احسن ما قال بعضهم :

لست من جملة المحبين ان لم … اجعل القلب بيته والمقاما
وطوافي اجالة السر فيه … وهو ركني اذا اردت استلاما

والحاصل انه ينبغي لسالك طريق الخواص ان يكون في الاشياء بائنا عنها اي
متصفا بها غير ناظر اليها مالكا لها غير مملوك لها ، فيكون في المعاملات بظاهره وقلبه عند
مولاه ، كما يشعر بذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » ولم
يقل بالصلاة ، فتأمل الحديث يظهر لك طريق العارفين ويتضح لك معناه ، وتدبره
بقلبك تجد الصراط المستقيم وتعثر بحقيقة « لا اله الا الله » ، اذ حقيقتها الاعراض
عن السّوى والاقبال على المولى •

فاجتهد ايها الاخ في تصحيح ذلك من قلبك ، وتحقق بالتواجه عليه وتدبره
لمثلك ، اذ هو عز وجل حاضر ناظر في سائر الاوقات : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا
كُنْتُمْ في الدنيا والآخرة) على سائر الحالات •

(١) « ن » ان يبين •

وما احسن ما قيل :

اعمل بعلمك [illegible] حتى ... واسترع [illegible] حسن الادب
واعلم [illegible] في كل حال وهو رب

فيجب ... في كل ... ورده ... جنته من ... وجد من قوله صلى الله عليه وسلم : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، واذا سألت فسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ، واذا كنت كذلك فقد ... ادب المعية (١) وحجبت عن نفسك وحزت المقامات العلية .

كما قال رضي الله عنه : (فاذا كنت معه حجبك عنك واذا كنت معك استعبدك له (٢)) أي اذا كنت حاضرا معه ومتأدبا بأدب المعية حجبك عنك واطلعك على النفس الأبية ، وللمعية مراتب : ادناها ان تكون معه فتشتغل بامتثال امره وتجتنب نهيه وترضى بما قضى عليك وقدر ، وتشغل جوارحك كلها بطاعته وتصرف اوقاتك كلها في خدمته ، فحجبك حينئذ عن رؤية نفسك واحوالها و بوقتك شهود منته عليك ، وأوسطها ان تكون معه بترك المنازعة بأن تكون في احكامه وأفعاله عنه ، اذ لا عمل للقلوب أرجى من عمل تغيب عنه شهوده وتحتقر عملك وجودك ؛ كما قال تعالى (والعمل الصالح يرفعه) ؛ أي يرفعه عن شهود العبد ولا يشهد في ذلك الا الفضل المالك ، كما قيل : الهي ان ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي ، وان ظهرت المساوئ فبعدلك ولك الحجة علي ، واعلاها ان تكون معه بعين الحقيقة وبأن تعرف مالك وماله ، فلك الفقر والضعف والعجز والذلة ، وله الغنى والقوة والقدرة والعزة ، فاذا كنت معه بهذا الادب حجبك فقرك بغناه وضعفك بقوته وعجزك بقدرته ، وذلك بعزته فلا تشهد حينئذ الا افعاله واوصافه ، وتضمحل وجودك وتذهب عنك كل اضافة وتستقيم في مقام التوحيد ، وتذهب الدعوى عنك وتصير من اهل المعرفة ، وما احسن اشارة

---

(١) « ن » اديت حق ادب المعية .
(٢) « ن » النص الخاطى : اذا كنت معه حجبك عنك واذا كنت معك حجبك عنه .

صاحب الحكم الى هذه المراتب حين قال : « شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة شهدك عدمك وجوده وحق البصيرة شهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك ، كان الله ولا شيء معه ، وهو الان على ما عليه كان » وكل ذلك من آثار المعية وحفظ آدابها والوقوف على رسومها والتمسك بمراعاتها وما احسن ما قيل :

لا أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي — وتقبلوني على عيبي ونقصاني

فان رضيتم فيا عزي ويا شرفي — وان ابيتم فمن ارجو لعصياني

ومن لم يحفظ ادب المعية بل كان مع نفسه مفتقراً اليها حيثما وجده فهو محجوب عن مولاه بنفسه ، وهي اشد الحجب ، كما قال ذو النون : « اشد الحجب واخفاه رؤية النفس وتدبيرها » وكما قال[1] صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ، فاذا علمت ذلك ايها الاخ فاخرج عن دعة نفسك وهواها وفارق الخلق يكمل ايمانك وتتحقق لنفسك تقواها .

كما قال رضي الله عنه : (الانس بالخروج عنهم والتقيد بالخروج عنك) ،

اذ حقيقة الايمان حقيقة : « لا اله الا الله » ومن رسخ في قلبه حقيقتها لم يشهد الفعل لأحد سواه ، فمن شهد هذا الشهود وتمكن منه ، كيف لا يخرج عن الخلق ويقبل على مولاه ؟ ، ومتى استقام في هذا الباب وثبتت له الشروط والآداب شرف بالدخول الى منازل الاحباب وادير عليه كؤوس اليقين واذ سقاه منها ساقي الشراب ، فحينئذ يخرج عن نفسه وعن صفاته ارادته وتشرق عليه أوصاف مولاه ويتحقق بالمقامات العلية ، لا يسكن بسره الا مولاه ولا يطرح ويكسر الا رفع علاه ، قد حفظ الله ظاهره فحفظه الله وحفظه باطنه فوجده تجاهه ، وذلك اعظم سؤله ومنه[2] ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « احفظ الله يحفظك » احفظ الله تجده تجاهك ، فمن حصل له مقام المواجهة والشهود كيف لا يخرج عن الخلق والنفس ويستبدل الوصل بالصدود كما قيل :

---

(۱) « ن » وقال .
(۲) « ن » وذلك اعظم سؤله .

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل   وعدت الى مصحوب اول منزلي

ونادتني الاشواق مهلاً فهذه   منازل من تهوى رويدك فانزلي

فلا تقعد بهمتك ايها الاخ عن غيره سبحانه ، لا تقصد امام الحسان ، وصحح اسبابك وتسبب في الاحوال ، ليكمل لك الرسوخ في الفن تتقلب في المقامات وتحوز صفة اهل الكمال .

كما قال رضي الله عنه : (اذا زاد السالك نقلت من حال الى حال واذا زاد يقينه نقلت من مقام الى مقام) . أي اذا زاد السالك بقوة والرسوخ نقلت من حال الى حال وصرت من اهل الاحوال ، واذا زاد يقينك كنت نقلت من مقام الى مقام وصرت من الرجال ، فوق المراتب التي تدخلها السالك احوال ، فاذا رسخ فيها واستقر فهي له مقام وكمال .

وانهض ايها الاخ بهمة سنية تطوى لك الحالات وتحوز المقامات العليه ، ولا يتم لك ذلك الا بلزوم الآداب الشرعية والتحلي بحلل الطريقة المرضية ، تتجلى لك الحقيقه وتشرق عليك انوارها البهية .

كما اشار الى ذلك رضي الله عنه بقوله : (الشريعة جعلت لك حتى تطلبه منه به تعالى لك والحقيقة(1) له حتى تطلبه به له عز وجل حيث لا حين ولا اين فالشريعة حدود وجهات والحقيقة لا حد ولا جهة(2)) أي المقصود من الشريعة والملحوظ فيها النفع الذي يعود لك ايها السالك فان همة صاحب الشريعه ومطمح نظره نعيم الجنة ولذاتها وذلك حظ من حظوظ النفس ، فلذلك قال : « الشريعة لك » ، واتى باللام التي تدل على نفع صاحبها ، وغاية صاحب الشريعة ان يطلب الحق من الحق لكن لنفسه لا لمولاه ، فلذلك قال : « حتى تطلبه » أي الحق منه ، أي من الحق لك ، أي يكون ذلك الطلب منفعته عائدة لك والحقيقة له ، أي للحق تعالى حتى تطلبه ، أي الحق

(١) « ن » النص الخاطي : الشريعة جعلت لك حتى تطلبه منه لك والحقيقة .
(٢) « ن » النص الخاطي : له حتى تطلبه به عز وجل حيث لا حين ولا أين فالشريعة حدود وجهات والحقيقة لا حد ولا جهة لها .

تعالى به ، أي بالحق تعالى له ، أي الحق تعالى أيضاً : « حيث لا حين ولا اين » ، لان الحق سبحانه منزه عن الزمان والمكان ، فالحين والأين لا يكونان الا لذي مكان وزمان، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ولذلك قيل : « الشريعة حدود وجهات » ، لانها محصورة متعلقة بمحصور ، « والحقيقة لا حد ولا جهة » ، لانها متعلقة بالحق ، وهو سبحانه منزه عن ذلك ، والحاصل ان الشريعة بمنزلة الباب والحقيقة بمنزلة مندمة الاحباب ، فمن لزم الباب وتأدب بالاداب انجلت له السريرة وتنورت له البصيرة ، وارتفعت همته عن المقاصد الدنيّة وجذبت بعناية الاهية الى المطالب العليّة فدخوله بالفضل الالهي الى دهليز الطريقة وارتقائه بعد ذلك الى منزل الحقيقة ، ولذلك قال الشيخ ابو عبد الله القرشي : « إلزم الادب وحدك من العبودية ولا تعرض لشيء فان ارادك له اوصلك اليـه » .

فالزم ايها الاخ آداب العبودية لمولاك واطرح بين يديه ، فان كلا من صاحب الشريعة والحقيقة قد تفضل عليه .

كما قال رضي الله عنه : (القائم بالشريعة فقط تفضل عليه بالمجاهدة والقائم بالحقيقة فضل عليه بالمنة ، وشتان ما بين المجاهدة والمنة) ، أي القائم مع الشريعة مبني امره على المجاهدة والخدمة ، اذ هو في البداية ، والقائم مع الحقيقة ملاحظه الفضل والتزام الحرمة ، اذ هو في النهاية[1] ، وشتان اي بعد ما بين مقام المجاهدة ومقام المنة ، فصاحب المجاهدة غارق في الفرق وهو بمعاملته محجوب ، وهذا غارق في الفضل وهو في سائر حركاته وسكناته محبوب ، ان نطق فبالله وان عمل فلله وان رجع فمن الله وان ذهب فالى الله ، فهو بالله ولله ومن الله والى الله[2] ، لا يعرف الا بالله ولا يشهد الا الله ، كما قيل : « من عرف الله شهده في كل شيء فلا يستوحش من شيء ويستأنس به كل شيء » ، صار شهود معنى : (واينما تولوا فثم وجه الله) سجية

(١) « ن » اذ النهاية .
(٢) « ن » وان ذهب فهو بالله ولله ومن الله والى الله .

وحقيقة : (وهو معكم اينما كنتم) ، محبوبه في قلبه ، فلذلك جاز حسن الطوية •

فاجتهد ايها الاخ في التخلي عن العمل ، والتخلي عن الوصف ، واخرج عن وجودك لعلك تصير مفقوداً ، وتحفك الالطاف •

كما قال رضي الله عنه : (القائم مع المجاهدة موجود والقائم مع المنة مفقود) ، لأن القائم مع المجاهدة ناظر الى مجاهدته مثبت لفعله وقدرته[1] ، فهو موجود لوجوده الوهمي ، معرور بصلاته الرسمي[2] ، والقائم مع المنة لم يشهد له مجاهدة ولا اعمالاً ولا حولاً ولا قوة ولا سبباً من الاحوال ، فهو مفقود فان مستغرق في فناه ، قد انخلع عن الكونين ولم يبق فيه بقية سوى مولاه ، لانه طوى المنازل والاحوال وشرب من المناهل حتى ارتوى ذي اهل الكمال ، قد حاز من الاعمال المتعلقة بالشرع اعلاها ، ومن الاحوال المتعلقة بالتوكل أسناها ، ومن التوحيد المتعلق بالكشف رتبة بالغة منتهاها •

كما اشار الى ذلك رضي الله عنه بقوله : (الاعمال متعلقة بالشرع الشريف والتوكل متعلق بالايمان والتوحيد متعلق بالكشف الصحيح) ، أي الاعمال متعلق معرفتها بالشرع لانه الباب ، ومن لم يقف على الباب لم يحظ بمنازل الاحباب •

فعفّر خدّك ايها السالك بثرى اعتاب الشريعة ، وكحّل ناضريك بكحل آداب الطريقة تنجلي لك انوار الحقيقة وتقتدر على التمتع برؤية معانيها الدقيقة ، واما التوكل فهو متعلق بالايمان ، اذ حقيقته الاكتفاء بعلم الله فيك عن تعلق القلب بما سواه ، وهذا الامر لا يحصل الا لمن تحقق بحقيقة : « لا اله الا الله » •

فعليك ايها الاخ بتصحيح ايمانك بالاقبال على مولاك ، واعرض عن سواه نحو مقام التوكل تطب مسعاك • واما التوحيد فهو ذوقي لا يحصل الا بالكشف الربّاني ولا يذوق جرعة من شرابه الا من اديرت عليه كؤوس المعرفة وشرف باصلاح الاواني ، فاصلح اواني قلبك يظهر لك معاني التفريد ، كما قال تعالى : (والّذين جاهدوا

(١) « ن » ناظر الى مجاهدته لفعله وقدرته •
(٢) « ن » مغرور •

فينا لنهدينّهم سبلنا) ، فمن لم يكن له قوة في الطريق لم تتم له فقعد مع القوم ولا يصحو له هذا الرحيق :

ايها الخاطب معنى حسننا	عبرت عنا من يخطبنا
جسد مضنى وروح في عنا	وجفون لا تذوق الوسنا
وفؤاد ليس فيه غيرنا	فإذا ما شئت ان [illegible]
وافن ان شئت فناء سرمداً[1]	فالفنا يدني الى ذاك الفنا
واخلع النعلين ان جئت الى	ذلك الوادي ففيه قد سنا
وعن الكونين كن منخلعاً	وازل ما بيننا من بيننا
واذا ما قيل من تهوى فقل	انا من اهوى ومن اهوى انا

وهذا مقام لا يحصل الا من تشرف باستماعه وصار من المحبوبين واقتفى الآثار واصلح الظاهر والباطن وصار من الوارثين ، فحينئذ تنكشف له الحقائق ويشرب من صافي هذا الشراب كل رائق ، واما من نكص في هذا الميدان بحواله عنده فلا يزال في فيافي الحيرة تائه ، ومن صدق احبه بنفسه فهو ، فقد وصل الطريق وصل بما امده الله من نعمه وآلائه .

كما قال رضي الله عنه : (الناس تائهون عن الحق بالعقل وتائهون عن الآخرة بالهوى ، فمتى طلبت الله بالعقل فقد ضللت ومتى طلبت الآخرة بالهوى ضللت[2]) ، الحق تعالى لا يعرف الا بنور الايمان ، والجنة لا تنال الا بمخالفة الهوى والاستقامة في مقام الاحسان ، فمن أحبه الى الحقيقة نال بعقله فرق ، ومن نظر اليها بنور ايمانه تحقق ، وغاية العقل ان يدلك على الباب .

وأما الوصول الى الحضرة فلا سبيل اليه الا بملازمة الآداب ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك » ، اي احفظ الله بملازمة

---

(١) « ن » وافن ان شئت بقاء سرمداً .

(٢) « ن » المن الخاطيء : الناس تائهون عن الله تعالى بالعقل وعن الاخرة بالهوى فمتى طلبت الله بالعقل ضللت ومتى طلبت الآخرة بالهوى ضللت .

الآداب فظهر بمقتضى المواجهة ونصح من [illegible] [illegible] احسن، فمن حمله [illegible] [illegible] [illegible] الا بمجاهدة النفس والهوى ، فمن غلبه [illegible] فقد ابعد المرمى ، كما قال تعالى : (واماَّ من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنةّ هي المأوى) •

فعليك ايها الأخ بالعض على [illegible] والهجر [illegible] بلازم الفرائض وتعرف [illegible] في سائر الاوقات حتى يحول [illegible] [illegible] في [illegible] نور الاسرار وتحصل [illegible] احديه ، فحينئذ تعرف المعرفة حتى تصير [illegible] [illegible] حتى لا [illegible] فلا تصرح الا بين يديه •

كما قال رضي الله عنه : (المؤمن ينظر بنور الله والعارف ينظر به اليه) ، المؤمن ينظر بنور الله لانه في البداية [illegible] [illegible] ينظر به اليه لانه في النهاية • فالمؤمن انمحت عنه ظلمات الشرك ولاحت له [illegible] ، والعارف قد فني عن نفسه واوصافه فلم يشهد الا مولاه وانمحت عنه الاغيار • [illegible] الاول قوله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » [illegible] قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي : « لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » فاذا كان الحق [illegible] [illegible] وبصره ، سمعه به ونظره اليه به ، وهذا غاية مقام [illegible] [illegible] [illegible] من اوصاف الربوبية ، فتحقق ان العبد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عبودية [illegible] بلطفه ، ولازم الاعتاب يظفر بمشاهدة الاحباب ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الشمول بالبركات وما احسن ما قيل :

اصبر على عضض الادلاج بالسحر (1)	وبالرواح على الطاعات في البكر
اني رأيت وفي الايام تجربة	للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في امر يؤمله	واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

(1) [illegible] اصبر على عضض الادلاج بالسحر •

فاجتهد ايها الاخ في التحقق بمقام الاحسان بامتثال الاوامر واجتناب النواهي حتى يحصل لك الفناء به فتفنى عنك وتبقى بالمقصد الالهي •

كما يشير الى ذلك قوله رضي الله عنه [illegible] (ما دمت انت معك امرناك فاذا فنيت عنك وتبقى [illegible] ولائه الذي [illegible]) [illegible] في مقام الترقي [illegible] وجودك امرناك • واذا كنت في مقام الجمع والغيبة عن السوى [illegible] انا كنت في البداية فانت في مقام المجاهدة وان كنت في النهاية فانت في مقام المشاهدة • فمن شهد مولاه كيف يبقى له التفات الى سواه [illegible] صلى الله عليه وسلم : (وجعلت قرة عيني في الصلاة) • والعارف [illegible] حقيقة الصلاة لاعراض عن السوى والاقبال على المولى • فمن [illegible] شهود [illegible] في الاعمال بظهوره خرج عنها بقلبه وسرائره • وهذا حقيقة [illegible] حيث جعل قلبه في العبودية وقلبه سائر حضرة مولاه • فعليك ايها الاخ بدوام المجاهدة والانطراح بين يديه عله يتفضل فيفنيك عنك ويجذبك اليه •

ثم قال رضي الله عنه : ([illegible] مريد ولو اقبل [illegible] مريد) •

اي ما دمت ترى نفسك ونسبتها فانت في البداية • فاذا خرجت عنها ورؤيتها كنت في النهاية • فاصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس • واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى عنها • والرضى عن النفس هو عين البعد ورؤية محاسنها • وعدم الرضى عنها هو عين [illegible] • فهم [illegible] ايها الاخ في سائر احوالك [illegible] مقام العبودية [illegible] • فسبحان من ستر سر الخصوصية في ظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية في ظهور العبودية •

فعليك يا اخي بالاخلاص [illegible] في هذا [illegible] واطرح الحول والقوة [illegible] لك اليقين الأدوم وتظفر بشمائل الاحباب •

---

(١) « ن » المتن الخاطي : اذا كنت معك امرناك فاذا فنيت عنك توليناك فما تولاهم الا بعد فنائهم •

كما قال رضي الله عنه : (اليقين الادوم في غيبتك عنك ووجودك به ، فكم بين ما تكون بامره وبين ما تكون به ، ان كنت بامره خضعت لك الاسباب ، وان كنت قائما به تضعضعت لك الاكوان (١)) . اي اليقين الذي تكون به اهل المعرفة و تحقق به الدوام ، هو اليقين الذي ينشأ منه غيبتك عنك وانت موجود به محفوظ بالذكر ، فكم بين ما تكون بامره من اهل البدايات وبين ما تكون به من اهل النهايات .

ان كنت بامره وتحققت باب مجاهدة خضعت لك الاسباب ، وان كنت به وتحققت بمقام الغيبة تضعضعت لك الاكوان ، و تحقيق الاول السلوك وقدم الصدق في الطريق هو امتثال الاوامر واجتناب النواهي ، والوقوف على حد الشريعة ، واذا تم له فتح هذا الباب شرف بالدخول الى معرفة الاحسان ، فحينئذ يظهر من اوصافه اثر ذلك ويخلع عليه فاخر الخلع الربانية ، فتنفعه دون مجتمع الاسباب ، لانه من اطاع الله اطاعه كل شي ، كما ورد في الحديث في قصة مشهورة مع ابي ... وقد ... عم و اطعته لاطاعك . وفي المقام الثاني تضعضعت له الاكوان ، لانه فني عن نفسه فلم يبق في شهوده الا مولاه كما يشهد بذلك قوله تعالى : (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) .

اذا علمت ذلك ايها الاخ تحقق بمراتب السلوك وجهد واحذر من التواني تكن من الملوك ، كما قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي : « ان اردت ملك الدارين فادخل في طريقنا هذه يوما او يومين ، واعلم انك لا تشم رائحة من عطر هذا الطريق ما لم تعبر المقامات وتترك من قلبك كل تعويق » .

وقال رضي الله عنه : (اول المقامات الصبر على مراده واوسطها الرضى بمراده وآخرها ان تكون بمراده) ، اي اول مقامات السالكين الصبر على مراد الحق كما قيل:

---

(١) « ن » النص الخاطى : اليقين الادوم غيبتك عنك ووجودك به ، كم بين مايكون بامره وبن ما يكون به ، ان كنت بامره خضعت لك الاسباب وان كانت به تضعضعت لك الاكوان .

اصبر فلاح ما يُرجى	وكل صعب به يهون
ربّما نيل باصطباري	ما قيل هيهات لا يكون

ولذلك قيل : « عنوان الظفر بالمطلوب التحقق بالصبر على مراد المحبوب » ، والصبر ثوابه بغير حساب كما قال تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) ، ومن تحقق في هذا المقام واستقام فيه صلح له أن يدخل[1] باب مقام الرضى ويتفكر بمعانيه ، وذلك من أعلى المقامات وأعلاها وبه يشرف على السالكين من الكمالات أفضلها وأحسن ما قيل :

يا أيها الراضي بأحكامنا	لا بد أن تحمد عقبى الرضا
فوض إلى الله وابق مسلما	فالراحة العظمى لمن فوضا[2]
لا ينعم المرء بمحبوبه	حتى يرى الخيرة فيما قضى

وإذا أحكم هذا المقام ارتقى إلى العبودية وفني عن نفسه وأوصافه وخلع أنانيته ، ويكون حينئذ بمراد الحق حيث لم يبق له إرادة ويتحقق بمقام : « بي يسمع وبي يبصر » ، وتشرق أنوار هذه السعادة ، وكل ذلك من نتائج ملازمة الأدب ودوام الذكر بالقلب والتمسك بعرى الأعتاب .

ذكر الإله الزم هديت بذكره	فبه الهموم تنفس والأفواد
واجعل خلالك فيه إن أحببت أنسه	لتسيح من كأس حلاه نفسه
واستعمل الأفكار في ملكوته	مستغرقا في الكشف عن معناه
وتخلع التعيين جمع تحقق	خلعا عن الكونين في مسراه
وتغيب حتى عن شهودك أنه	عين الفناء فقد دنا مسراه
فإذا بدا لك فاعلم أنك لست هو	كلا ولا أنت تكون سواه
سيان ما أبدا وكل هو	سر تضيق عبارتي عما هو

(١) « ن » واستقام صلح له أن يدخل .
(٢) « ن » فالراحة العظمى لمن فوضنا .

ب سامعاً لي قد اشرت به ألآ قلب بفكر ما وعت اذناه

ان احتجب [illegible]

ان الاله اجل من متعرف عن لم يراه قد استبان عماه

[illegible]

[illegible] ظهوره اخفاه(1)

يا ايها الراغب في [illegible] المعشق [illegible] جرعة من هذه الكؤوس الهنيئة [illegible] المعرفة [illegible] وحصل لك المعرفة والكشف [illegible] •

كما قال رضي الله عنه : (العلم [illegible] طريق [illegible] والعلم طريق المعرفة والمعرفة طريق الكشف والكشف طريق الفناء) ، والفناء غاية المنى [illegible] العلم الشريعة والمعرفة [illegible] طريق العلم الذي [illegible] قال تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) ، وقال صلى الله عليه وسلم : من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم ، والعلم الذي [illegible] المعرفة [illegible] لا يعرف العبد مولاه الا بمعرفة [illegible] الحقائق [illegible] وشرب من كؤوس المنى كل خمر رائق •

والحاصل ان [illegible] من معرفة الشريعة والطريقة في [illegible] حتى [illegible] بهما [illegible] الى نهاية [illegible] الى الحضرة [illegible] واصحب الرفيق [illegible] رضي الله عنه : (ما صلحت [illegible] وفيك بقية لسوانا ، فاذا حولت السوى عنك [illegible] فصلحت لنا واودعناك سرنا(2)) •

(1) « ن » لكن شدة ظهوره اخفاه •

(2) « ن » النص الخاطي : ما صلحت لنا ما دام فيك بقية لسوانا ، فاذا حولت السوى عنك افنيناك عنك فصلحت لنا واودعناك سرنا •

قال الجنيد : « الملامتي عندهم من لا رغبة في شيء السلوك ولا يطمع الى سوى مولاه وفيه بقية من حظوظه فلا يصلح لحضرة مولاه ، فاذا اخرج من قلبه السوى ولم يبق فيه الا الهوى اعانه مولاه ونزعه عنه وصلح لحضرته ورفعه السر وصار ممن يؤخذ عنه » ، وهناك قيل : « الطرق طرقات ، طريق المقتصدين وطريق المحققين » ، فطريق المقتصدين : التسليم والقيام بترك الهوى ، وطريق المحققين هجران الخلائق وقطع العلائق والاجتهاد في خدمة الخالق .

والى هذا المعنى يشير الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه حيث قال : « الحوابي ما وصلت الى الله بقيام ليل ولا صيام نهار ولا دراسة علم ولكن وصلت الى الله بالكرم والتواضع وسلامة الصدر » ، فبالكرم يخرج العبد من علاقة الدنيا ، وبالتواضع يخرج من علاقة النفس ، وبسلامة الصدر يخرج من علاقة السوى ، ولم يبق له مطلب الا المولى ، وهذا غاية بغية العارفين رزقنا الله ذلك بمنه آمين .

فعليك ايها الأخ بتصحيح هذا المقام وخروج من شهود نفسك وافن عن وجودك يحصل لك اليقين والكمال وتوحيد ويحصل لك شرف هذا المقام .

كما قال رضي الله عنه : (اذا لم يبق عليك حركة لنفسك كمل يقينك واذا لم يبق لك وجود عندك كمل توحيدك) (١) ، فاذا لم يبق عليك حركة لنفسك دل ذلك على شهودك ان المحرك والساكن مولاك ، واذا تم لك هذا الشهود كمل يقينك وتم لك من الاشياء فوق مقامك ، واذا لم يبق لك وجود بل فنيت عنك كمل لك التوحيد ، وصرت من اهل الكمال فكل يأخذ منك .

فوقوفك بالمضمون واسقاط حركتك بالتدبير هو ... ، وخروجك عن وجودك بكمال توحيدك هو الشرف بمجالسة الأحباب ، فرغ نفسك ايها الاخ من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك ، واخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض عبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا .

(١) « ن » المتن الخطي : اذا لم يبق عليك حركة لنفسك كمل يقينك واذا لم يبق لك وجود كمل توحيدك .

هذه الامرين لكل من اهل الباطن واليقين ، وتمسكت بعرى الاعتاب مع الآداب لكل من اهل الظاهر والايمان في كل حين ، ولهن مقام ورتبة عند العارفين •

(قال رضي الله عنه : اهل الباطن مع اليقين واهل الظاهر مع الايمان فمتى تحرك قلب صاحب اليقين نقص يقينه ومتى لم يخطر له خاطر كمل يقينه ومتى تحرك قلب صاحب الايمان بغير الامر نقص ايمانه ومتى تحرك بالامر كمل ايمانه[1]) ، أي اهل الباطن مع اليقين وصولهم الى مرتبة العيان بحصولهم في مقام الاحسان ، واهل الظاهر مع الايمان وصولهم الى مرتبة التصديق بحصول مقام الاذعان ، فهذه ولاية صغرى لابد من الوقوف على اعتابها في البداية وتلك ولاية كبرى لا بد من الوصول اليها في النهاية ، فمتى تحرك قلب صاحب اليقين من اهل النهايات نقص ايمانه[2] بدلالة دلت على شهوده السوى فلذلك حصلت منه حركته ، ومتى لم يخطر له خاطر لاستغراقه في لجة الجمعية كمل يقينه لدلالة دلت على استكمال الشهود وانه لم يبق فيه للسوى بقية ، ومتى تحرك قلب صاحب الايمان بغير الامر وتلبس بذلك نقص ايمانه دلالة دلت على انه في بحر المخالفات هالك ، ومتى تحرك بالامر وسلك هذه المسالك كمل ايمانه ، ودل ذلك انه مملوك لمولاه المالك •

والحاصل ان اهل الباطن وصلوا الى مقام الاحسان : مقام من يعبد الله كأنه يراه ، ومحال ان يراه ويشهد معه سواه ، ومن تم له هذا الشهود كيف يحصل له حركة وكيف ينسب اليه قيام او قعود ؟ ومن شرب من حميا الكؤوس كيف يخطر له خاطر وكيف يصل لسمع قلبه طنة من هذا الناقوس ، واما اهل الظاهر فهم واقفون مع الايمان على الباب سامعون مطيعون لما يرد عليهم من السنة والكتاب فلا يتحركون الا بما امروا به من الاحكام ، ومتى تحركوا لغير ذلك نقص ايمانهم ، ومتى تحركوا بذلك كمل ايمانهم

(١) « ن » المتن الخاطى : اهل الباطن مع اليقين واهل الظاهر مع الايمان فمتى تحرك قلب صاحب اليقين نقص يقينه ومتى لم يحضر له خاطر كمل يقينه ومتى تحرك قلب صاحب الايمان لغير الامر نقص ايمانه ومتى تحرك بالامر كمل ايمانه •

(٢) « ن » نقص يقينه •

وهم يهيمون ويطلبونه من هذا المقام • فتثبت ايها الاخ وعش اخدود بسوى الاعمال فيتطهر عند ذلك قلبك من السوى ويخرج من الحوف والخوف ويصير مصرحا بين يدي المولى ، واذا وصلت الى هذا المقام صرت من المقربين وكنت تؤاخذ بما لا يؤاخذ به غيرك من عامة المؤمنين •

كما قال رضي الله عنه : (معصية اهل اليقين كفر ومعصية اهل الايمان نقص)، لان اهل اليقين وصلوا الى مقام الاحسان فليس تغتفر لهم اساءة كما تغتفر في الموت الابيض ، فلذلك اشتد العقاب ، واما اهل الايمان فيسامحون بما لا يسامح به اهل العرفان ، فلذلك كان معصيتهم نقصا لما فيهم من الضعف الذي حطهم عن الوصول الى ذلك الشأن •

فاجتهد ايها الاخ في تطهير خاطرك وقلبك من خواطره حتى تدخل ممالك الحقيقة وتصير من المتقين المحبين اهل النهايات •

وقال رضي الله عنه : (المتقي مجتهد والمحب متكل والعارف ساكن والموجود مفقود ، لا سكون لمتقي ولا حركة لمحب ولا حركة لعارف ولا وجود لمفقود) ، المتقي مجتهد في الخدمة مترقب للهداية قوي الهمة ، كما قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ، وقد قيل : « من لم تكن له قومة لم تكن له قعدة » ، وقيل : « اسس هذا الدين على الجد والاجتهاد » ، وما احسن ما قيل :

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن رام العلى سهر الليالي

تروم العز ثم تنام ليلا يغوص البحر من طلب اللآلي

والمحب متكل في سائر اموره على مولاه ، لانه قطع همته عن كل احد سواه ، فلا تتعدى همته الى غيره ، فيكون لا يعتمد الا على الله ولا يرفع حاجته في سره ونجواه الا الى رب العالمين قائلا بلسان حاله وقاله ، متمسكا في تكوره واصله :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشدائد كلها يا من اليه المشتكى والمفزع

فمن حزن بلابسه في ثوب كل ... من ... الحسن ... جمعه
فما سوى ترغيب ... جمعه ... في باب اقرع
ومن الذي ادعو ... فضلك عن غيرك نسمع
حاشا لجود ... الجود الحب ومواهب اوسع

فالعارف بالله ليس له تدبير ولا ارادة قد خرج عن حوله وقوته فخدمته الاكوان وسيق له هذا السعادة وهو مستقبل ، فمن لم يدبر دبر له ومن وقع في ميدان التفويض زفت اليه المطالب كما تزف العروس » ، وما احسن ما قيل

ولما رأيت القضاء جاريا بلا شك فيه ولا مريه
توكلت حقا على خالقي والقيت نفسي مع الجريه

والوجود مفقود ، اي الموجود بالوجود الحقيقي مفقود عن الوجود الوهمي لا يشهد في الوجود الا مولاه ولا يركن لشيء سواه ، فاذا عرفت ذلك فلا سكون للتقي لانه في الاجتهاد ولا حركة لمحب لاكتفائه بعلم الله به ، واستعانته بمبدأ الاعتماد ، ولا عزم لعارف لخروجه عن حوله وقوته ، ومن ثم له الرب فنعم معينه ومسعده ، ولا وجود مفقود لمفارقته تلك الدمن واستبداله الوصل بالصدود .

فعليك ايها الاخ بدوام الهمة تنال شيئا من هذه الاحوال ، وفارق مواطن الشكوك وشعاب الاغيار لتحصل لك المحبة وتصير من الرجال .

لما قال رضي الله عنه : (لا تحصل المحبة الا بعد اليقين ، المحب الصادق قد خلا قلبه مما سواه ، وما دام عليه بقية محبة سواه فهو ناقص المحبة[1]) ، اليقين هو الاعتقاد الجازم ان لا محبوب في الوجود الا الله ، ومتى تحقق ذلك حصلت له المحبة واعتكف بباب مولاه ، ومن صدق فيما هناك خلا قلبه عما سواه ، ومن بقي عليه بقية محبة لغيره فهو ناقص المحبة كاذب فيما ادعاه .

وعند الهوى تنازعني عند زينة بمن شهوة او عند صدمة بليتي

(١) « ن » المتن الخاطي : لا تحصل المحبة الا بعد اليقين والمحب الصادق قد خلا قلبه عما سواه ، وما دام عليه بقية فهو ناقص المحبة .

فعليك ايها الاخ ان كنت طامعاً في هذه المراتب بالخروج من جميع التلذذات وافن عنك تحوز المراتب وتظفر باعلى المقامات .

وقال رضي الله عنه : (من تلذذ بالبلاء فهو موجود ومن تلذذ بالنعمة فهو موجود ، فاذا افناهم عنهم ذهب التلذذ بالبلاء والنعمة[1]) ، أي من تلذذ بالبلاء لكونه ناظراً ان ذلك صادر من مولاه فهو موجود لبقاء شعوره بما شرب من كؤوس حماه ، ومن تلذذ بالنعمة بقواه وحواسه فهو موجود وغارق في العرق من رأسه الى اسفله ، ومن فني عن الاكوان لم يشعر بتلذذ ودخل في مقام الاحسان .

كما قال رضي الله عنه : « فاذا افناهم عنهم ذهب التلذذ بالبلاء والنعمة[2] » ، فاجتهد ايها الاخ في الفناء به ، فبه تظفر بمقام المحبة وتظهر لك اعلامه ومعانيه .

وقال رضي الله عنه : (المحب انفاسه حكمة والمحبوب انفاسه قدرة) ، أي المحب انفاسه أي كلامه حكمة لكونه نور وعليه كسوة قلبه فما سمعه احد الا وادعن به وفهمه ، والمحبوب انفسه وكلامه قدرة ، فما تكلم بشيء الا وقع ، ولا تخالف الاكوان امره لكونه تشرف بخلقه : « كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر ولسانه الذي ينطق به » ، وتحلى بحلية : (وَمَا رَمَيْتَ اذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) فهو في الاكوان بظاهره ، بائن عنهم بجنانه وسرائره ، فعليك ايها الاخ بالهمة العلية واجتهد في العبادات ولا تقف معها تحز من مقام المحبة رتبة سنية .

وقال رضي الله عنه : (العبادات للمعاوضات والمحبة للقربات ، اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، لما ارادوني اعطيتهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت[3]) أي العبادات متاجرة[4] فلذلك كان الحاصل

---

(١) « ن » المتن الخاطيء : من تلذذ بالبلاء فهو موجود ومن تلذذ بالنعمة فهو موجود ، فاذا افناهم عنهم ذهب الملذذ بالبلاء والنعمة .

(٢) « ن » المتن الخاطيء : فاذا افناهم عنهم ذهب الملذذ بالبلاء والنعماء ..

(٣) « ن » المتن الخاطيء : العبادات للمعاوضات والمحبة للقربات ، اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، لما ارادوني اعطيتهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت .

(٤) « ن » اي العبادات متاجرة .

منها المعاوضات ، والمحبة مثل وفاء فلذلك رتب على الشرب ، فعبد مجتهد في خدمته لما يتوقع من نعم جنة ، والمحب بال عن الاعواض ليس له مطلب ولا مقصد الا ان يكون مولاه عنه راضياً ، فلذلك كان سيداً عن الحقيقة واستحق ان يقال في شأنه وشأن من كان على هذه الطريقة : « اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ، لانهم اخلصوا المحبة ولم يبق لهم رهبة من نار ولا رغبة الى الجنان ، فلذلك صح في شأنهم ايضاً قوله : « لما ارادوني لي اعطيتهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت » وفي ذكر هذا نابه بعد ما تقدم اشارة الى انه كالعلل بعد النهل ، وان الكريم لا يزال عليهم بفضله يتكرّم .

فانهض ايها الاخ لعلك تظفر بشربه من هذه المناهل ، وافن عن هواك وارادتك لعلك تصير عبداً صرفاً فتحوز من حضرة الانس الاكمل .

وقال رضي الله عنه : (اذا افناك عن هواك بحكمة وعن ارادتك بالعلم صرت عبداً صرفا لا هوى لك ولا ارادة فحينئذ يكشف لك فتضمحل العبودية في الوحدانية فيفنى العبد ويبقى الرب تعالى[1]) ، أي اذا افناك عن هواك بامتثال الاوامر واجتناب النواهي، كما قال تعالى : (واما منْ خافَ مقامَ ربِّه ونهى النَّفْسَ عنِ الهَوَى)، وعن ارادتك بالعلم ، أي افنى ارادتك في ارادته لعلمك ان الارادة له حقيقة ولك عرية خرجت حينئذ عن الهوى والارادة ودخلت مقام العبودية وصرت عبداً صرفاً لا هوى لك ولا ارادة ، فحينئذ يكشف لك الحجاب وتتشرف بمجالس القرب وتصير من الاحباب، وتشرق عليك انوار الحقيقة ، وتأخذك عنك وتفنيك فتضمحل عنك العبودية في الوحدانية ، فيفنى العبد حيث خرج عن اوصافه ويبقى الرب فيتحفه حينئذ عظيم الطرفة ، كما يشير الى ذلك قوله : (وما رميتَ اذ رميتَ ولكنّ اللهَ رمَى) ، ومن هنا تصدر الخوارق والعجائب من الانبياء والاولياء من غير ان شهدوا لهم في ذلك حولاً

(١) « ن » المتن الخطي : اذا افناك عن هواك بالحكم وعن ارادتك بالعلم صرت عبداً صرفا لا هوى ولا ارادة فحينئذ يكشف لك فتضمحل عنك العبودية في الوحدانية فيفنى العبد ويبقى الرب عز وجل .

ولا قوة لهم الا بالله في غلبة الشهوة ؛ كما ان السوء ، وحكاياتهم في ذلك مشهورة ،
وعرائب احوالهم من شدة الجوع في الكتب مسطورة ، وعما يشهد لذلك قوله صلى الله
عليه وسلم في الحديث القدسي : « لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه
فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها » - الحديث ، فان كنت لا تستغرب عليه شيء من هذه الاذواق ،
واصبح يتسلط على النفس عنده حتى عاد شيء من خلع العشاق(1) ، وبات يرى ...
الشريعة وان اتسعت لنا ، واعتكفت في ... علم واستدل في جوانبها ، فدخل
حينئذ عرف المعرفة وتصير من اهل الدلال في معانيها .

كما اشير الى ذلك قوله رضي الله عنه : (الشريعة كلها قبض والعلم كله بسط
والمعرفة كلها دلال) ، الشريعة كلها قبض لانها حدود ومجاهدات ومخالفة للنفس فيما
تهوى ونحو ذلك ، واعلم كما ان الشرع من الفوائد وتبهر من الفضل العظيم
فتهتز النسمات وتتسع للبلوغ الى المشاهدة من علم الله بالامة حقيقة يدل شجرة
في الجنة طولها مائة عام كما لا تبرح في شرف النفس في مثل هذه الانعام ،
وهذا من تزكت نفسه الى طلب الاحوال ، فكيف بمن تعلق نفسه الى الوصول الى
مقام الاحسان .

فمن بقي من نفسه الحظ والحضور ، وبقي من همه النعم والسرور ودوام الحضور ،
وان المعرفة فانها كلها ذلك حيث تكشف له على حقيقة قدره ، ان كنت من اهل
الوصف ، قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : « لو كشف نور المؤمن العاصي
لطبق ما بين السماء والارض فكيف بالمحسن بنور المؤمن الطائع ، فكيف بنور العارف » ،
ويدل على ذلك قوله تعالى : (قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) أي
أخفاها بظلمة معاصيه .

فاجتهد ايها الاخ في الجهاد وتنفر الاذواق واشرف الهمة في المحبة حتى
تفنى وتصير من اهل السعادات .

---

(1) ن « لعل يخلع عليك شيء من خلع العشاق .

كما قال رضي الله عنه: (طريقنا محبة لا عمل [illegible] اذا دخلت في العمل كنت لك واذا دخلت في المحبة [illegible] والمحب راء لمحبته(1))،

أي مدار طريقتنا على محبة لا على [illegible] في محبته كما هو شأن اهل الكمال، ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، ولم يقل بالصلاة، وعلل الشيخ [illegible] «اذا دخلت في العمل كنت لك»، أي اذا دخلت في العمل ناظراً [illegible] عليه كنت لك، أي كنت في هذه المعاملة ناظراً لنفسك [illegible] حيث نظرت لعملها، واذا دخلت في المحبة كنت له لان المحبّ لا يشهد في كل شيء الا مولاه، ولا يعوّل ولا يسكن لاحد سواه، فتحقق بحقيقة: «لا إله الا الله»، ومن كلام [illegible]: «العابد راء لعبادته»، أي معتمد عليها [illegible] أي [illegible] مولاه، فلذلك يحرص على كل ما يوصله اليه [illegible] «والمحب [illegible] في محبته» لكان اظهر في المقصود، ولعله كذلك في بعض النسخ التي لم تصل الينا في هذه الحدود(2).

[illegible] ايها الاخ [illegible] المحبة [illegible] المعرفة [illegible] الولاية اعظم رتبة.

وقال رضي الله عنه: ([illegible] وإذا جهلته كانت حركاتك لك)، أي اذا عرفته [illegible] والعجز [illegible] كانت انفاسك به في [illegible] بعزته، تحقق بعجزك يمدك بقدرته، واذا جهلته بجهلك [illegible] برؤيتك لها وتدبيرها كانت حركاتك بك لا بمولاك، [illegible].

فانهض ايها الاخ [illegible] من هذه المراتب السنية.

---

(1) في «المتن الخاطي»: طريقنا محبة لا عمل وفنا لا بقا اذا دخلت في العمل كانت لك واذا دخلت في المحبة كانت له. العابد رائي لعبادته والمحب رائي لمحبته.

(2) ان المتن المعتمد قد جاء فيه: «والمحب راء لمحبته»، لذلك نرى ان القول بغير ذلك في نسخ أخرى غير وارد.

وقال رضي الله عنه : (العابد ما له سكون والزاهد ما له رغبة والصادق ما له ارتكان والعارف ما له حول ولا قوة ولا اختيار ولا ارادة ولا حركة ولا سكون والموجود ما له وجود) ، فالعابد ما له سكون الا في تعبده ، والزاهد ما له رغبة لانه اعرض عن الزوائد ، وقد عكف على الطاعة ، والصادق ما له ارتكان لدخوله في مقام الاحسان ، والعارف ما له حول ولا قوة ولا ارادة ، اي متمكن فانٍ واسلم له قياده ، ومن وصل الى هذا المقام يستحي ان يختار او يريد مع اختيار مولاه وارادته ، ويأبى همته ان يتحرك او يسكن بنفسه وحظه ، والموجود بوجود الحق بعد فنائه ما له وجود بكونه فني عن وجوده الوهمي وتحقق بمقام الوراثة فهو مستقيم على العهود .

فعليك ايها الاخ بتقديم الطاعة بقطع هذه العوائق فتستوحش منك وتحصل الانس معه .

وقال رضي الله عنه : (اذا استأنست به استوحشت منك) . ان الاستئناس به تعالى لا يحصل الا بعد الانفصال من الاغيار ونفسك من الغير ، فلذلك كان الاشتغال بها مما يوحشك ويشغل قلبك عن هذا المقام ، فاعرض ايها الاخ عن نفسك بالكلية واقبل على مولاك واهجر الاعراض الدنية وصحح النية في هذا السفر فانه اسرع مطاياك .

كما اشار الى ذلك رضي الله عنه حيث قال : (من اشتغل بالله لله اغتنم ومن اشتغل بما لله خسر) ، اي من اشتغل بخدمته لحظوظ نفسه فقد خسر واغتنم ، ومن اشتغل به ليس قصده الا حضرته قربته وبصره ، فلا تعد بنيتك همتك ايها الاخ الى غيره فتكون كحمار الرحى الذي المرتحل عليه هو الذي ارتحل عنه ، وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ، فتعلق ايها الاخ عن العبرة هذا الكلام بهواك وتكشف لك عن الحقيقة فتتضح لك حينئذ المراد .

كما قال رضي الله عنه : (إذا زال هواك تكشف لك عن باب الحقيقة فتفنى ارادتك فيكشف لك عن وحدانيته فتحقق انه هو لا انت معه(١)) ، اذا زالت هواك ان عرفت عبدك بالفقر والضعف والعجز ... فتعرف ربك حينئذ بالغنى والقوة والقدرة والعزة فيكشف لك عن باب الحقيقة فتفنى ارادتك واختيارك وتدبيرك وتشهد ان المريد والمختار واحد لا سواه ، وانه المتصرف في سائر الاحوال لا انت ، فتحط رحلك في حضرته وتعتكف لديه وتتحقق بحقيقة : « لا اله الا الله » ، ويكون شربك التفويض والتسليم(٢) ، ويدار عليك من كؤوس هذا الرحيق ما تذوق به شمة من نعيم القرب ، فياله من نعيم ! .

كما قال رضي الله عنه : (ان سلمت اليه قربك ، وان نازعته ابعدك) ، ان سلمت اليه قربت بحقيقتك حينئذ بمقام العبودية وان نازعته ابعدك لمخالفتك احكام الربوبية ، فاخضع وانكسر بين يدي مولاك وتقرب اليه ولا تقرب بنفسك تظفر بعلاك .

(ان تقربت اليه به قربك وان تقربت اليه بك ابعدك(٣)) .

اليكم بكم سيدي جئتكم   فلا تهملوا من اساء الادب
وقولوا : عفا الله عما مضى   فليس التفضل منكم عجب

(ان طلبته بك كلفك) وقوفك مع اعراضك (وان طلبته به دللك(٤)) لسلامتك من امراضك (ان جئت بلا انت قبلك) لتحققك بمقام التوحيد (وان جئت بك حجبك) لسوء أدبك وشركك وافلاسك عن مقام التفريد .

(العامل لا يكاد يتخلص من رؤية عمله) لبقاء غبار الشرك فيه .

(فكن من قبيل المنة ولا تكن من قبيل العمل(٥)) ، ليتم لك شرب التوحيد وتدار عليك كؤوس معانيه .

---

(١) « ن » المنن الخاطي : إذا زال هواك تكسف لك عن باب الحقيقة فتفنى ارادتك .
(٢) « ن » ويكون شربك التفويض فيكشف لك عن الوحدانية فتحقق انه هو لا انت .
(٣) « ن » المنن الخاطي : ان تقربت به قربك وان تقربت بك ابعدك .
(٤) « ن » المنن الخاطي : وان طلبته لك دللك .
(٥) « ن » المنن الخاطي : فكن من قبيل المنة لا من قبيل العمل .

(ان عرفته سكنت) ، فحققت بمعرفته ان لا تجد الا الاضطرار بين يديه (وان جهلته تحركت) ، فتحركت بجهلك ، فتعبت واتعبت الجوارح عليك ، (فالمراد ان يكون ولا تكون[1]) ، وهو المقصود منك ان تحققت به وشربت من الرحيق وشربت من شراب المعرفة وادرت عليك كؤوس من اهل الكيس ، فبعض ايها الاخ ستقي بمنه عليه وجود الهوام عند ... خصوص الخواص وخواص الخواص يكرع منها وتتم لك السعادة الابدية .

(العوام اعمالهم متهمة) ، لوجود بقية الشرك فيهم (والخواص اعمالهم قربات) ، لشهودهم التقصير وانكسارهم في معاملتهم (وخواص الخواص اعمالهم درجات) ، لارتفاعهم في مقام التوحيد وخروجهم عن مقاماتهم .

(وكلما اجتنبت ذاتك قوي وجدك[2]) ، فلاعليك من المعترضات . وكلما اجتنبت ذاتك قوي توحيدك عليك واعتدت في بحر الموافقات ، فان اردت ايها الاخ الصدق ان يدار عليك كأس من صفا الرحيق فعول على المولى واعرض عن السوى .

(الخلق حجاب وانت حجاب والحق ليس بمحجوب[3]) ، اذ لو حجبه شيء لستره ولو ستره لكان له حاصراً ولو كان له حاصراً لكان له قاهراً : (وهو القاهر فوق عباده) . (وهو محتجب عنك بك) ، اي بشهودك نفسك والا فهو اقرب اليك من حبل الوريد . (وانت محجوب عنك بهم[4]) ، اذا صدقت في الاقبال عليه وغبت وانطرحت بين يديه . (فانفصل عنك تشهده واستلام[5]) ، واخرج عن الموافقات تشهده وادخل مقام الاحسان تستقي حينئذ من الرحيق الذي اعطاهت ، كما

(١) « ن » المتن الخاطي : فالمراد ان يكون ولا تكون انت .
(٢) « ن » المتن الخاطي : كلما اجتنبت هواك قوى ايمانك .
(٣) « ن » المتن الخاطي : فالخلق حجاب وانت حجاب والحق ليس بمحجوب .
(٤) « ن » المتن الخاطي : فانت محجوب عنك بهم .
(٥) « ن » المتن الخاطي : فانفصل عنك .

[illegible]

تجاهك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله .

[illegible]

(إيّاكَ نعبُدُ وإيّاكَ نستعينُ) ثم ثبت شرفك وعلاك .

[illegible] وعلى

آله وجميع أصحابه [illegible] الله .

التعليقات الكمالية على الرسالة الارسلانية

للعارف العلامة مصطفى كمال الشريف

تعتبر التعليقات الكماليه على الرساله الارسلانيه ، احدث شرح لرساله التوحيد ، لان صاحبه العلامة الشيخ مصطفى كمال الشريف عالم عامل معاصر ، وقد بدأ الشرح ثم انتقل الى رحمته تعالى قبل ان يكمله ، ومع هذا رايت ان انقله لما في هذا الجزء من الشرح من نفحات سامية رفيعة ، تميز بها الاستاذ الشارح ، في كل ما كتبه من تعليقات ومنتخبات كماليه ، ابان حياته الحافله بجلائل الاعمال .

ومما يلاحظ ان الشارح نحا نحوا يختلف عن غيره من اولئك الذين قاموا بشرح رساله التوحيد ، اذ اتبع اسلوب المقاطع ، فكان يكتب المقطع ويتبعه بالشرح ، وتوقف، قبل وفاته ، عند مقطع من مقاطع متن رسالة التوحيد .. وهو : قال رضي الله عنه : (الايمان خروجك عنه تعالى واليه من خروجك عنك . اذا زاد ايمانك نقلت من حال الى حال واذا زاد يقينك نقلت من مقام الى مقام) .

التعليقات الكمالية على الرسالة الارسلانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلال وجهه الكريم وعظيم سلطانه العظيم والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المرسل بالحق نوراً ورحمة للعالمين بظهوره اذ به خرج الذين اجابوا دعوته من الظلمات الى النور وهدوا الى الصراط المستقيم وعلى آله الكرام واصحابه الاعلام ضياء القلوب ونور الابصار ونجوم يهتدى لمن بهم اقتدى بهم الى يوم الدين .

اما بعد فان هذا العبد الضعيف ... بن محمد شريف قد شرع في اليوم الثاني والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة ١٣١٥ في دمشق الشام ان يعلق بعض كلمات على رسالة الارسلانية التي هي في بابها جوهرة فريدة ودرة يتيمة رضي الله عن مؤلفها الولي الكبير والعارف الخبير والمعلم الجليل ونفعنا به وبهم في الدارين وكان ذلك خدمة له وابتهاجاً به لانه نور عيني وجلاء قلوب في كل من خدمه ، المهم لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد .

قال رضي الله عنه : (كنت سرا خفيا ولا يبين لك وجودك الا اذا خرجت عنك فكلما اخلصت تكشف لك انه هو لا انت فتستغفر منك وكلما وجدت بدا لك الشرك فتجدد في كل ساعة ووقت توحيدا وايمانا وكلما خرجت عنهم زاد ايمانك وكلما خرجت عنك قوي يقينك) .

(شرح)

اعلم ان من قال : « لا اله الا الله محمد رسول الله » فقد تحقق بقوله صلى الله عليه وسلم : « اعبد الله كأنك تراه » لكن من حيث حركاتك وسكناتك وخطراتك وارادتك شرك خفي منك لانك تعتقد انك موحد بسبب اقرارك بالاسلام واعتقادك بالايمان ، وظننت ان التوحيد هو الاقرار الذي كاقرارك والاعتقاد الذي كاعتقادك .

[illegible] قد خرجت بهذا [illegible] على الاقل امواج واشرك الصراح وذهبت في [illegible] على الارتقاء الى مرتبة الاحسان فتدخل في [illegible] : (إنّ اللهَ مع الذين اتّقوا والذين هم مُحسنون) . [illegible] كله حقيقة وحقيقة وعدوه بين كأنهم [illegible] .

ولا تشهر [illegible] وجهت [illegible] خرجت عنك ولا تبين [illegible] وحيدك نفعه واحد [illegible] وخرجت عنك عن اخلاصك في توحيدك ، والاخلاص في هذه [illegible] الاحسان [illegible] تكشفت الى فهم معنى . كنت [illegible] كله شهرت لك اسرار هذا المعنى كل [illegible] الشرف الحقيقي [illegible] مدارج الاحسان [illegible] وكشف لك [illegible] أي [illegible] الدائم لا انت أي لا انت [illegible] هو من حيث هو بك وانت عدم من حيث [illegible] : (بل هُمْ في لَبْسٍ من خلق جديد) [illegible] كيفيتك وخطراتك وارادتك وحركاتك وسكناتك [illegible] كنت موجود معدوم بين الكاف والنون : (إنما أمرُه [illegible] كُنْ فيكون) .

[illegible] بصرورة [illegible] أي علمك [illegible] الشرف شهودا [illegible] ، أي من شهود [illegible] شهود موجوديتك قبل شهود الوجود الحق الذي [illegible] الذي انت به موجود ، وسر القبض الذي [illegible] انه صورة فعله ، وان هو بك صورة [illegible] صورة اسمه وانه [illegible] الا اسمه ووصفه وفعله وأنك مرآة له وانه هو مرآة لك ، فان عرفت [illegible] كنت عبداً محضا وان حرمت [illegible] وحرمت

بسبب جهلك ، وجهلك بسبب ضعف نور ، المجهول او عدمه . (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) .

وكلما وجدت هذا التوحيد في مراتب الاحسان الاربعة كما ذكرنا بان لك وجه الشرك ، لانك اذا وجدت شهوداً أنيتك به بان لك ان شهود آنيتك به فلا شرك ، وهكذا في المراتب بعدها ، فتجدد في كل ساعة ووقت من ساعاتك واوقاتك مدة وجودك في المرتبة التي ترقيتها اليها توحيداً وايماناً ، وكلما خرجت منهم ، أي كلما ترقيت من هذا التوحيد والايمان الى المرتبة التي فوقها زاد ايمانك بالنسبة للمرتبة التي قبلها ، فانك اذا شهدت الوجود الحق قبل شهودك موجوديتك بعد ان شهدت آنيتك به زاد ايمانك أي صار عندك شهودان وذوقان ، وكلما خرجت منك أي تنبهت سر البسط وانك موجود به وسر القبض وانك مفقود به وغبت عن شهود موجوديتك آنين اي شأنين متعاكسين من شأن وجوداً اضافيا وشأن عدماً حكميا ونبهت ايضا شخصيتك وكيف هما صورة الفعل والامر زاد يقينك أي قوي اتساعك به : (لا إله الا هو الاول والآخر والظاهر والباطن وانه بكل شيء عليم) وقلت : في تشطير كلام سيدي ابن الفارض قدس الله سره في هذا المعنى :

وليس معي في الملك شيء سواي والمعية معي دق عن فهم فتيي

وليس هناك الاين ذات كذاك فالمعية لم تخطر على المتمني

قال رضي الله عنه : (يا اسير الشهوات والعبادات ، ويا أسير المقامات والمكاشفات انت مغرور انت مشتغل بما عنه أي الاشتغال به عنك وهو غير وجل حاضر ناظر وهو معكم اينما كنتم في الدنيا وفي الآخرة فاذا كنت معه حجبت عنك واذا كنت معك استعبدك له) .

(ش)

يا أسير النفس فانك محب لشهواتها من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ، فكونك اسيراً للشهوات كونك اسيراً لنفسك ، وكونك أسيراً لنفسك كونك أسيراً للدنيا أي عبداً للدرهم والدينار والخميصة ، فدخل حينئذ

تحت قوله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة » فهذه سبع عقبات فلا تنجو من أسر حب الدنيا حتى تقطعها أي حتى تخرجها من قلبك فلا تذكرها أصلا ، وأما وجودها في يدك فلا يضرك إذا صرفت فيها تصرف الخازن الأمين تقبض بأمر سيده وتدفع بأمر سيده وتعطي بأمره وتمنع بأمره ، فحينئذ تقول لك : رحمك الله وأمنت هولك ، قلت هذا أخف سير المتشوفين لأن هذه كلها أسرار متعلقة من حيث حيوانيته وحظها الحسي وهذا أسير به من حيث عقلها المعاشي وحظها المعنوي ، فهذه الدركة لها عقبتان الخلق والأسباب أي المخلوقات والتدبيرات أعني المقدمات العقلية ونتائجها والتأثيرات والمؤثرات الكونية ونحو ذلك ، فلست تقدر أن ترتفع عنها فلا تنجو من هوة المهالك ، فمتى لزمك الخوف والهم والغم ولعب الفكر والتدبير والسعي والاضطراب والقلق ، فمتى علمت علم يقين أن الفاعل في الخلق والأسباب هو الله تعالى وتيقنت بعود المقادير أمره فيهم ومن تحرك حسه تحرك بقدره حول المحل فيه وبك بل في الله وبالله أي جهدك في صنعة الله وبحوله وقوته لا في صنعة نفسك وحولك وتدبيرك وقولك وتصرفك في الأشياء الانقطاع والإياس عن الخلق والأسباب فما تنظر إليهم إلا كما ينظر المضروب للعصا والتحقق بأن الضارب المضروب بها لا للعصا ، وتيقنت نفسك بأنك أنت المقصود من جملة الخلق الذي ينبغي الخروج عنه فخرجت عن نفسك وما التفت إليها إلا التفات الشفوق بنفسه والكمي بسيفه والكريم بضيفه فحينئذ يقال لك : رحمك الله وأمنت أرأيتك ، فسوف هؤلاء أطلقك من أسر العقل المعاشي والحظ الشيطاني وهما الخلق والأسباب كما قلنا ، ومن جملة الأسباب العادات فإنها بجنس الظاهر ومثله مثل الخيرات والمعادن والملابسات ونحو ذلك وجرى فيها الموت خرجت عن التعلق بها أيضاً وعلمت أنها وسائل لا مقصد وأنه لا يتم لها أن تكون وسائل إلا إذا كانت بوجه الله وبحوله وقوته ، فإن أخذتها بنفسك وبعقلك وهواك ونحو ذلك دخل عليك الغرور من حيث لا تشعر فحق عليك آية : (إن الكافرون إلا في غرور) أصراف دليله فتهوي في مهوى ونيلها ، وأما إذا علمت وتيقنت ذلك تتشعشع في قلبك من اليقين نور تتوضح من الشهود بأنه معك ، فتستحي أن تنظر سواه بعين السوى بل بعين العين ؛ أي أنك تنظر للخلق والأسباب أنها فعله وحكمه وأمره ظاهرها وباطنها كثيفها ولطيفها فتكون معه بموافقته دائماً فتصحبك حينئذ ملك فتتقي نقية الغائب ، وعلامة ذلك

[illegible] ولا مراء [illegible] في عين الامر ويكون [illegible] مكرمه : (في مقعد صدق [illegible]) [illegible] عليه [illegible] أي [illegible] من حيث الاركان والاحوال ويقام عليك الميزان وتكون رهين قوله تعالى : (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية) .

قال رضي الله عنه : ([illegible] خرجت عنهم وابقى خرجت عنك ، اذا زاد

[illegible] من مقام الى مقام) .

الملحق الاول

١ ــ المواهب الالهية
٢ ــ مدخل « فصوص الحكم » للشيخ الاكبر
٣ ــ ذكرى لمطالعي « فصوص الحكم » للشيخ الاكبر

للعلامة الاستاذ مصطفى كمال الشريف

ضمن « لمعات الكاشية » أو « الاذواق الخمسية » للعلامة المرحوم الاستاذ مصطفى كمال الشريف ، كثيراً من الكنوز العلمية النفيسة التي ارجو الله تعالى ان تظهر الى حيز الوجود مجتمعة ، بعد ان انتقيت اربعة ابحاث منها ونشرتها على انها أول الغيث ان شاء الله ، وهي شرح الرسالة الارسلانية ، التي قدمتها في آخر الشروح الخمسة لرسالة التوحيد التي حققتها للشيخ أرسلان الدمشقي ، ثم يتقدم قراؤنا الاعزاء فيما بعد بحث تحت عنوان : المواهب الالهية ، وفيه توضيح لكثير من الامور المهمة الغامضة الواردة في بحثي : مدخل « فصوص الحكم » و « ذكرى لمطالعي فصوص الحكم » للشيخ محي الدين ابن العربي ، وهما البحثان اللذان كتبهما العلامة الشريف ، وفيهما دراسة علمية عن فصل من فصوص الفصوص ، واستمساكه بالكتاب والسنة فيما كتبه وقدمه في مؤلفاته الكثيرة الغزيرة .

المواهب الكمالية

للعلامة مصطفى كمال الشريف

ان الحق سبحانه وتعالى يهب عباده الصالحين مواهب جليلة كثيرة تطلق اي بعض الاسماء: العطاء وهو المعبر عنه بالاسماء غير محجوب ، وهذا يطلب سره بغير سؤال ، اي الدعاء ، وهو الغيب ، وتارة بسؤال و سعي وهو الاعلى ، وتارة بسعي من غير سؤال وهو الاقل ، والمراد من السعي هو التسبب بالاسباب شيئا فشيئا حسب التوفيق والجهد ، وتارة يكون نتيجة السعي عدم حصول ما كان عليه ، وذلك ان العبد يريد شيئاً فيسعى لحصوله وهو يظن ان هذا السعي موافق لمطلوبه والحال انه موافق ما اراد الحق سبحانه ان يعطيه بيد وهذه رحمة ونعمة من الله سبحانه وتعالى بمعنى : « عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل » والعطاء اربعة انواع :

١ ـ عطية من حيث النفس ، وهي المال والجاه والنساء والاولاد ، ولها ثلاث درجات :

أ ـ عطية تشبه مكر واستدراج في الدنيا والاخرى ، وهي عطاء الكافرين .

ب ـ وعطية تشبه مكر واستدراج في الدنيا فقط وفي الآخرة سعادة المخلصين وهي عطايا العاصين .

ج ـ وعطية غير مشوبة بمكر وهي التي تكون لاهل الاستقامة قال تعالى : (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) .

٢ ـ وعطية من حيث القلب وهو العلم فقط وله مرتبتان

أ ـ علم ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة وهو العلم الذي امر الله سبحانه نبيه بطلب الاستزادة منه بقوله سبحانه : (وقل رب زدني علما) وبعد هذا علم من ولايته صلى الله عليه وسلم العامة ، وهي التي تستمد منها الرسل عليهم الصلاة والسلام من حيث رسائلهم وشرائعهم .

ب ـ وعلم لا ينتفع به لا في الدنيا ولا في الآخرة او ينفع فيها لا في الآخرة ، وهذا هو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « اعوذ بك من علم لا ينفع » .

٣ ـ ونصيبه من حيث الروح وهو الشهود ، وهذا هو نصيبه من ولاية النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة المعبر عنها بالمحبة وهي التي يستمد منها بالنسبة لكل شيء وفي وراثته كل ولي لان الحقيقة الاحمدية هي النسبة الخاصة عليه الصلاة والسلام ، وهذا الشهود له وجهان : وجه الظاهر ووجه الباطن فالوجه الذي يظهر به حال ومقام والوجه الذي يبطن كذلك فالحال يتميز بالحس ، والمقام يفصل والمقام احسان ، والمقصود الوصف والاحسان اسماء لهذا الوصف ، فصاحب هذا الشهود من الاولياء المحمديين بعد قطع المنازل ، وهي بالنسبة لصاحب الوصول مرتبة يرث مقاما من المقامات الالهية ، وهو اما ان يخلع الله عليه سبحانه وتعالى خلعة الاوتاد او الافراد او الابدال وما ثمة اعلى من الابدال ، وبعد تشريفه بهذه الخلعة يهبه سبحانه وتعالى منصبا مستمدا من سر اسمه تعالى الهادي ومن سر اسمه تعالى المحسن ، وهو الذي يقوم مقام المعلم والهداية والارشاد ويسمى عالما واماما كالائمة المجتهدين والمشايخ العاملين واما ان يقوم في مقام التصرف وهذا لا يعرفه الا صاحب هذه الخلعة ، وهذا المقام له درجات ، ومما اعلمني الله تعالى به ان سيدنا الامام ابي حنيفة وسيدنا الامام الأوزاعي وسيدنا الامام عبد القادر الجيلاني وسيدي احمد البدوي وسيدي احمد الرفاعي وسيدي محيي الدين ابن العربي وسيدي الامام ابو حامد الغزالي وسيدي عبد العزيز الدباغ كانوا من اصحاب مقام الغوثية وسيدنا الامام مالك وسيدنا الامام الشافعي كانا من الافراد وسيدي الامام احمد بن حنبل كان من الاوتاد ، وكل من لم يخلع عليه خلعة من هذا الخلع لا يقدر على الحل والعقد ، وكل منهم له اسم خاص في هذه المرتبة ، وقد اعلمني الله تعالى باسمي في هذه المرتبة والحمد لله تعالى واليه اشرت في قصيدتي الحائية بقولي :

به ، كملت بروض حسن جماله   واسحب ذيول العز فيه مراحا

٤ ـ ونصيبه من حيث السر وهو مقام القرب ، فلكل صاحب مرتبة الشهود به حظ في مقام القرب تدق بل تختفي معرفته حتى على اهل الكمال الا بالاعلام الالهي ، فكم من بدل او فرد يظن انه الغوث وليس هو الغوث وما هو الا من المكانة التي عرفها بالوهب

الإسم الأصلي وعند هؤلاء في اصطلاح بعض كبار الصوفية افراد ولكن غير الافراد السابق ذكرهم ... اسمه ... في هذه ... اسمه ... في مرتبة الشهود ، وقد اعلمني الله تعالى سبحانه عن نسبي الذي شرفني به في هذا المقام ، فلله الحمد والثناء والفضل والاعتراف على هذا الامر ... في قصيدتي النونية من هدية المستهام بقولي :

اسعدني عناية صرتني   بين اهل الهوى شنوف مصون

ومما اعلمني به سبحانه في هذا المقام ان نسبي من جهة أبي متصل بسيدنا الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن جهة والدتي بسيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه فحصته رضي الله عنهم به صلى الله عليه وسلم واليه اشرت في النونية بقولي :

يا سيد الشرفا يا ملجأ الضعفا   عطفاً على من غدا للآل ينتسب

مدخل فصوص الحكم

للعلامة مصطفى كمال الشريف

« الفصوص » يتكلم عن اذواق الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين ذكر اسماءهم الشريفة ، من حيث كمالاتهم الانسانية ، ولما كان غير المفتوح عليه بالفتح الكبير ، ومن حسبته شهود الحضرات العلمية الالهية مع فهم ما يشير اليه من العلوم والاذواق لا يقدر على ادراك اسرار « فصوص الحكم » احببت ان اضع هذا المدخل ليكون بابا للدخول عنه لاهل العلم المحبين المخلصين ، وسلما للصعود الى غرف مقصوره المنيعة لاهل اليقين ، فأقول وبالله التوفيق •

الكون اي العالم عبارة عن قوى روحانية ، وان شئت قل معنوية مشهودة بالبصيرة ومستورة عن البصر تسمى الباطن ، وهياكل حسية مرئية محسوسة تسمى الظاهر ، فالقوى المعنوية اذا عُلمت بالنظر الفكري فهي البرزخ بين الظاهر والباطن وللظاهر أقرب ، واذا لم تعلم بالنظر الفكري اصلاً فهي الباطن الصرف ، فاذا كانت تشير الى الحقائق الأنفسية ، أي الى النفوس البشرية من حيث كمالاتها فهي الباطن الاول ، واذا كانت تشير الى اسرار تلك الكمالات من حيث العلل والاسباب فهي الباطن الثاني ، واذا كانت تشير الى اصل تلك الكمالات وموردها تسمى الباطن الثالث ، واذا كانت تشير الى حقيقة تلك الكمالات من حيث قيامها بنفسها تسمى الباطن الرابع ، واذا كانت تشير الى سر إسم الله الهادي من حيث مرتبة الاسلام تسمى الباطن الخامس ، واذا كانت تشير الى سر اسم الله الهادي من حيث مرتبة الايمان تسمى الباطن السادس ،

---

(١) كتاب « فصوص الحكم » ألفه سلطان العارفين الشيخ الاكبر وسلطان العارفين محي الدين ابن العربي •

وإذا كان مشيراً إلى سر اسم الله الهادي من حيث مرتبة الإحسان سمي قطب السبع .

فالحق سبحانه وتعالى جعل الهيكل الجسمانية مرئية المحسوسة بنسبة تعالى الظاهر ، وجعل القوى المعنوية بنسبة الباطن ، ولا شيء قبل الذي من البطون النسبة المذكورة والبطن لذاته الشروع مثل الانسان ، لكن باعتبار جمعيته الكلية أي عدالته الكاملة ، وهي أن لا تغلب عليه الوصف الملكي او الشيطاني او الحيواني او النامي او الجمادي بل يكون بحقيقته الانسانية على الاعتدال الكامل ، فبسبب هذا القول الذي أعطته الانسان صار انساناً عين العالم في الكون ، ومرآة كاملة للمكوّن ، فهي مجلى ظهر فيه ومنه وبه تلك الكمالات التي هي في الحقيقة كمالات الحق .

ثم ان الحقيقة الانسانية هي صورة الانسان الباطنة اللطيفة وهي كرسي الروح ومجلاه والروح مظهر الجسد ، فالحياة لا تظهر الا بالروح والروح لا تتمكن من إفاضة الحياة من حيث وجهة اسم الله الباطن الا بالحقيقة الانسانية ، والحقيقة الانسانية لا تقدر على اظهار كمالاتها في هذا العالم الا بالهيكل البشري ، والهيكل البشري لا يتمتع بالحقيقة الانسانية والروحية والحياتية الا بالاعتدال الحكمي ، فلذلك قال الله تعالى : (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) ، والتقويم هو التعديل أي جعله في اعتدال لا أحسن منه ، فكل من ظهرت فيه تلك الكمالات على اتم وجه فهو أرقى من غيره ، ولا أحد ظهرت فيه تلك الكمالات ظهوراً كاملا الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، كما انها لم تظهر تلك الكمالات على وجه اكمل وأتم الا في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلذلك كان خاتم الانبياء والمرسلين .

ولما كانت الحقيقة الانسانية من كل نبي تطلب بذاتها كمالا خاصاً من تلك الكمالات امتازت كل حقيقة من حقائق الانبياء عليهم الصلاة والسلام بكمال خاص أي انها مع اتصافها بتلك الكمالات كلها امتازت بواحدة امتيازاً جعلها مختصاً بذلك الكمال حتى صارت مفضلة له على سائر الحقائق الانسانية الكاملة مما عدا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، من هنا نقل إن الولي الفلاني على قدم النبي الفلاني ، فعلم من ذلك ان الكمالات الانسانية هي بالاصالة للانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وبالامداد أي الوراثة

للمؤمنين الكاملين ، وهم الأولياء الذين قال الله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) .

ثم ان لكل نبي ولايتين : ولاية عامة وولاية خاصة ، فالولاية العامة اتصافه وقيامه بتلك الكمالات ، والولاية الخاصة هو كمال تحقق النبي الذي امر به ، ونبينا صلى الله عليه وسلم له ثلاث ولايات : ١ – ولاية عامة هي اتصافه بتلك الكمالات وقيامه بها أحسن قيام ، ٢ – وولاية خاصة وهي اتصافه واتيانه صلى الله عليه وسلم بالعبودية الكاملة التي تطلبها الربوبية بكمالها ، ٣ – وولاية مخصوصة به وهي كونه صلى الله عليه وسلم أول مخلوق وذاته الشريفة خاتم الأنبياء .

تشرف هذه الولاية والخاصة والعامة ومكانتها صارت ولايته العامة هي الممدة لسائر الولايات العامة ، وولايته الخاصة هي المفيضة لسائر الولايات الخاصة ، وصارت ولايته المخصوصة مركزاً للشفاعة العظمى ووراثة للمقام المحمود ومحلاً للكوثر وشرفاً للوسيلة

وحيث ان العبودية هي اشرف صفة للانسان والباب الاصلي للدخول على رضى الرحمن ، ختمت هذه الصفة على سائر صفات الكمال ، فلا صفة أكمل منها في الكمال الانساني ، وصارت ولايته الخاصة صلى الله عليه وسلم بها خاتم الولاية ، فكل من اتصف بتلك الكمالات على قدر وسعه وظهرت فيه العبودية على قدر طاقته فهو ولي محفوف بعنايته مشمول برحمته .

ولا خفاء بان هذه الأمة المحمدية من زمنه صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا ظهر فيها من اتصف بتلك الأوصاف وفاز بتوابع الألطاف ما لا يحصى عددهم من العلماء والاولياء والصالحين فمن كانت حقيقته الانسانية أشد ميلا الى سلطانها وهو الروح امدتها القوى الروحانية النورانية فتحقق بالبطون السبعة المذكورة كلها او بعضها بحسب ميلها الكلي المسمى بالاستعداد الغير المجعول ، فهذا الامداد وهذا التحقق يسمى بالفتح ، وبقدر ميل صاحبه الى الوقوف على حقائق تلك البطون ، وان شئت قل الحضرات فانه

يطلع عليه ، وهذا الاطلاع يسمى بالجفر الحقيقي نفسه ، فيتكلم بحسب الوقت واحداً بعد واحد بحسب ما يقتضيه على ... وتنزلاته ، ويلقي هذا الأمر بوجوه مختلفة بحسب مكانه ليس هنا محل بيانها .

ثم إن كل مظهر للاسم الجامع يتجلى بتلك الكمالات ويحقق تلك الشئون واطلع على ذلك الجفر ، وكان حقيقته الاسم مثلاً في الوقوف على الحقائق و... الكمالات شروط ... بسبب ما عنده من العلم الذي هو برزخ بين الظاهر والباطن كما مر ، وامتاز عن غيره في عصره بنيل القدر الكامل من الولاية الخاصة المحمدية التي هي ختم الولاية ، وكان أحق بتحمله ، وعلى ... أظهر آثار تلك الولاية الخاصة من جهة اسمه العلم من حيث الباطن ، لأن كل اسم من أسمائه تعالى له وجهان : وجهة للظاهر ووجهة للباطن ، وقد فهم غيره من الأسماء في الصحيح وجهة الظاهر ، أفاض عليه صلى الله عليه وسلم من الولاية الخاصة ... حقيقته الانسانية ومرآته الكاملة علوماً عظيمة دونها في كتب جمة ، ومن جملتها كتاب فصوص الحكم ، فإنه ذكر فيه كمالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الخاصة وأذواقهم الكاملة لأنهم مرايا تلك الولاية الخاصة المحمدية ، فكونه رضي الله عنه ختم الولاية كونه مرآة لها أي مترجماً لها يترجم ما سبقه إليه غيره من جهة التفصيل والإيضاح والتبيين باللسان وجهة الباطن من غير تأويل ولا حدس ، فولايته رضي الله عنه ورث أي التحقق والاتصاف بالكمالات لا ينقطع إلى نزول سيدنا عيسى وهي الولاية العامة والاستمداد من الولاية الخاصة المحمدية التي هي خاتم الولاية ، بعده لا ينقطع إلى خروج الامام المهدي وبه يختم .

وأما مظهريته رضي الله عنه فهي لا تورث ، وهذا الأمر ليس مخصوصاً به بل في كل ولي ، فإن الأسرار التي يحملها الولي يحملها غيره من بعده وفي بعض الأوقات يحملها الناس ، وأما مظهريته فلا تعطى لأحد لتحقق سر الأنسنة ، فإذا ظهرت تلك المظهرية حسب المظهر الثاني على الأول ثبوت الأنسنة الحقيقية .

ثم إن حد الوراثة يختلف ظهوره في الأولياء بحسب الزمن كما تختلف أحوال المراتب الظاهرة ، انظر هل الوزراء الآن مثل الوزراء السابقين ؟ على أن مقام الوزارة

هوهو أي ذلك الاحتشاء والأبهة والعمود والكلمة ، وأين هذا العقد والارتباط بالقوانين والنظم ؟ فإن الحاملين للاسرار موجودون ولكن مفقودون ومستورون .

فإذا علمت ذلك علمت ان خاتم الولاية الذي عند الجميع هو الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث ولايته الخاصة التي ترجم عنها الامام محي الدين ، لأن مقام الرسالة ليس من خصائصه الترجمة عنه ، وقد علمت معنى كون ختم الولاية يكون تابعاً من وجه ومتبوعاً من وجه وغير ذلك من الكلام الذي ظهرت بوجه الافضلية من الذوق السابق الذي تحت عنوان : « ذكرى لمطالعي فصوص الحكم » كما انه ظهر لك ايضاً ان الفصوص يتكلم عن اذواق الانبياء وكمالاتهم المستترة بلسان العلم الرباني لكن من وجهه الباطن ، وان كل مرتبة وذوق مندمج في كل فص ضمن تلك العبارات التي اوردها للتفصيل والايضاح ، وان سامع الفصوص معنى انه سمعه من الرسول أي يرى ان ذلك الكلام مما عدا التفصيل هو كلام الرسول لكن من وراء حجاب ، وان لا ينكر على الامام محي الدين شيئاً مما ذكره ولا يتوهم ما سمعه من الكلمات ، لان هذا الحلول جاء من المعنى الذي فهمه هو على انه ليس بمقصود للامام ولا هو مراد الشارع عليه السلام ، وان يتمنى ان الوقوف على العلم الرباني أي المعبر به للاسرار اسم الله العليم ان كان من وجهة الظهر او من وجهة الباطن يتوقف على تحصيل العدالة الكملة المترتبة ان شاء بالمجاهدات وان شاء بمحو الارادات حتى يموت ويحيى ثلاث مرات كما اوضحت الكلام على ذلك مفصلاً في « الموارد الكمالية في الترجمة عن الآيات القرآنية » وان لا يتعب نفسه لحل فهم كلام الامام بالفكر والنظر ، ولا يلتفت من قال بانه يفتح على العبد في فهم كلامه رضي الله عنه وان كان غير مفتوح عليه الفتح الرباني ، فهذا بعيد جداً بل محال ، وهو من كلام أهل الامل بلسان الكسل ، فمن لم يصعد الى السطح لا يرى ما وراء الجدار ، ولكن اذا ابتدأ في الصعود فانه شاهد شيئاً فشيئاً ، واما من يقف في اسفل الدار ويتحقق في التعدي فهو ممن تعدى على الله الاعمى فلا يرى شيئاً سوى صور خيالاته والسلام

تذييل

واعلم ان العلم لا ينفع صاحبه الا اذا كان متحققاً به ، انظر علم العقائد وعلم الفقه هل ينفع العالم بهما اذا لم يعتقد ما علم ويعمل بما فهم ، وهذا غاية التحقق به لأهله ، وكذلك علم الحقائق لا ينتفع بها من عرفها ما لم يتحقق بها ، والتحقق بها علمه بها بذاته ، فانها حينئذ لا تفارقه بعد الموت ، واذا لم يتحقق بها تبقى في مخيلته الى وقت ما ثم تضمحل ولا سيما عند هبوب العواصف المزعجة حين طلوع الروح ، فانه ينسى كل شيء الا الذي كان علمه بذاته فهو من رأس مال روحه يبقى معه حيث كان ، واما ظهورها على ألسنة العلماء بالله واقلامهم فهو لأمرين :

احدهما : سريان سر حب المعرفة فيهم .

والثاني : اشفاقاً بطلبة ذلك العلم ، وهم اهل السلوك الحقيقي الذين قطعوا مراتب آيات الآفاق وشرعوا بالسير في مراتب آيات الأنفس لا غير . انتهى .

ذكرى لمطالعي فصوص الحكم

للعلامه مصطفى كمال الشريف

لا خفاء أن الذين وجهوا همتهم الى شرح فصوص الشيخ الأكبر محيي الدين ما وجهوها الا من اجل بعض العبارات التي تهول على سامعها اذا كان واحدة متوجهة الى معلوماته المكتسبة من الكتب الشرعية وحدودها في كتاب فصوص الحكم كأمر ابرز الاسمية التي ذكرها، وقضية المتعين وأمر الاستعداد من حيث اولاته ومسألة فرعون انه مات طاهرا مطهرا ومن شرع على أمر الاستعداد في مسألة تأثير الجعل، فتلك اغراض كفر وفسوق وتجاوز الحد والذي دافع عن الشيخ، منهم من كان عالما بالمقصود ولكن لم يساعده حال زمانه على بيانه، فوقف ووجهه وجهة حوت الحسنى ولم يوضح، ومنهم من كان غير عالم بالمقصود لانه ليس من اهل هذه الشهود ولكن له ايمان صحيح وظن حسن في الشيخ شرحه، فهذا شرح على قاعدة احد في الانصاف، ولكن أوقع السامع في إشكال لا يدفع الا بالتسليم والاقرار، ولما كان هذا البرهان ساعدني الوقوف على اسرار ما في الجنان من كل ما فيه مع اهل العلم، في المدونة في الكلام بمثل هذا المقام، احببت ان أزيل الاشكال واصرح بما سكت عنه الأفاضل، واوضح حقيقة الحال، والله يتولى هدى الاحباب في الظواهر والالباب .

نعلم أولا : ان الشيخ الأكبر محيي الدين قد جعله الله على مظهرا لاسمه العليم، وامره من حيث باطنه ان يتكلم عن العلم من وجهة الباطن فقط، لأن الكلام في العلم من جهة الظاهر قام به الأئمة المجتهدون فلم يبق من حاجة الى الكلام فيه، وقولي من وجهة الباطن لأن كل اسم من الاسماء الالهية له وجهتان : وجهة الظاهر ووجهة الباطن، ولكل بطن بطن الى سبعة أبطن، فهو يتكلم في ذوق آخر عن تلك البطون .

وقولي : مظهراً لاسمه العليم، اي ان الله سبحانه وتعالى علمه العلم الذي أمد به الانبياء والرسل عليهم السلام على قدر استعدادهم، والاستعداد كان اعظم من غيره في هذا

... بملك ، موضع الحق في الكلمة الشيثية ، يعني الحقيقة هي هذه ، أي ان مظهر هذا العلم ... وصاحب ... يعني ... في الأكبر ، أي بدء الوجود الى ان ... ، ... الأكبر ... هذا العلم ولكن كانوا مكلفين ... التصرف ... حتى كان اشد ... للكون في وقته ، فلذلك ... فيه ... كما ... وهو الذي ظهر هذا الحير لوجود ... اهل الاذواق والشهود ، لان الوقت ... عن الكتمان ، والاستعداد قوي في الانسان ، أي ان ادراك الحقائق ... مرغوبا ومطلوبا ... حكم لطائف المزاج بسبب قربه ، وما صارت العقول ... تلك الامور التي كان ادراكها قبلا منحصرا في بعض الافراد من ذوي العقول ... والعلوم ... الا من هذا النسب، فاذا علمت ذلك انتبه لما يلقى اليك •

اعلم ان معنى الرؤيا في اصطلاح ... من وجهة ... هو شهود الصور العلمية بالروح بالاسرار مع القلب ، أي ان الحق سبحانه وتعالى ... روح عبده نزولا الى محل ... يسمى الخيال ... على صور مخصوصة ، ويعلم منها المقصود ، فهذا ... الاسرار مع القلب لان ... موضع العلم والا ... كل ولي ... تلك الصور ... على سبيل الاجمال أو اجمال الاحمال ، واما ... المرتبة أي ... ومن ... لانها لا تختم هذه المرتبة الا ... على التفصيل ، ومن قال ان الختمية لا تورث فقد اراد انه لا ... الولاية الخاصة الختمية الآتي ذكرها بعد ذلك اوى الختم بالتفصيل ... ، لانه لا ... اسرار تلك الولاية الخاصة ومظهر لاسمه تعالى العليم من حيث ... ، وهذه المرتبة أي الختمية لها وجهتان : وجهة للولاية العامة ووجهة للولاية الخاصة •

والولاية العامة عند ورثة هذا ... الولاية الخاصة تسمى بمرتبة الاحدية الواحدية المحمدية ... لا تحلى الا في الذات الاحمدية ، أي الرسول عليه الصلاة والسلام من حيث ولايته المخصوصة به ، وهو صلى الله عليه وسلم له ثلاث ولايات : ولاية عامة وولاية خاصة وولاية مخصوصة بين

محصورة فيه متحلية به متحققة به لا سكون ولا قرار ولا انتهاء لها ، وكل نبي له ولايتان: ولاية عامة وولاية خاصة ، فالولاية العامة هي التي تظهر في أمته ، ومددها من الولاية العامة المحمدية من بطن ولاية ذلك النبي الخاصة ، وولاية ذلك النبي الخاصة ، وهي التي لا تظهر في امته تستمد من ولايته صلى الله عليه وسلم الخاصة ، فهذه الولاية الخاصة تسمى خاتم الولاية ، ففي هذا التجلي أي محل شهود الروح للصور العلمية يكون الشاهد في نفس الأمر صاحب تلك الولاية الخاصة ، يعني الرسول صلى الله عليه وسلم ، وان كانت الروح التي شاهدت هي روح الولي ، لأن الولي لما تحقق بتلك الولاية أي لما صارت روحه قابلة لأن تكون مجلى لذلك التجلي الخاص اضمحلت في محتدها ، وهو روح الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكانت هي عين روحه ، لكن كنسبة القطرة الى البحر ، فلذا قال صاحب الختمية : رأيت فيه يريد بذلك ما ذكرت فالرائي هو الرسول والمترجم هو الختم .

والسر في كون المترجم غير الرائي لأن الرائي ليس من شأن مقامه في حال وجوده في الدنيا قائماً بحكم الرسالة العامة أن يترجم عن حال خاصة لا ينتفع منها الا الخاصة ، كما انه ليس من شأن كماله ان لا يأمر من يترجم عنها في وقتها ، ولما كان كل مقام لا يحلو الكلام فيه الا بلسانه ، والمقام مقام وجهه الباطن تكلم الشيخ رضي الله عنه بذلك اللسان ، فلذلك لم ينكر عليه احد من اهل العرفان له عينان ، اي عين يرى بها الوجهة الظاهرة وعين يرى بها الوجهة الباطنة .

فبناء على ما ذكر ينبغي لمطالع الفصوص ان لا يسمع الا من الرسول ، فاذا كانت له طاقة على ذلك على انه لم يؤلف الا لمن كان كذلك فليصنع ، والا فليلتفت الى ما هو أهل له وليشتغل بما خلق له فيربح ، واما اذا اجهد نفسه ليفهم معنى كلامه على ما هو عليه اعتماداً على حسن ظنه بنفسه واستناداً لما اخذه من الاصطلاحات فانه لم يزدد عن المعنى المقصود الا بعداً ، لأن المعنى المقصود لم يقصد الا لاهل الاذواق والشهود كما مر ، ليفهموا اسرار تلك الأذواق ويدركوا حقائق ذلك الشهود ، واما من لم يذق ولم يشهد فمن أين له ان يفهم العبارة فضلا عن الاشارة ؟ فهذا يخبط خبط عشواء ويقع في تيه ظلمة الاهواء ، يمنعه عن الرقي في مرتبته التي هو فيها .

والحاصل ان السالك لا ينبغي له ان يتبع كل خصوص الا بعد ان شرح الله عليه الصدر الذي ذكره في اخر السابع من المظاهر الكمالية عند قوله تعالى : (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) ، فبعد ذلك اذا صنعه ينتفع به شيئاً فشيئاً ، لان الخصوص يحكم على الذوق السير من حيث النفس من جهة الاصل ، وهو السير الرابع ، وهذا السير ما ذكره في المظاهر الا اشارة فقط ، لان المظاهر تكفلت بيان السير الى المرتبة الثانية أي من حيث النفس من جهة الغير بعد قطع مراتب السير من جهة الآفات اصلا وظلاً .

واذا كان الامر كما ذكر ، أي اذا كان المتكلم في باطن الامر هو الرسول فما مراده صلى الله عليه وسلم من كون خاتم الولاية كون تابعاً من وجهه ومتبوعاً من وجه ، فالمراد ظاهر لان النبوة باطنها الولاية وظاهرها الاحكام الشرعية ، فالظاهر تابع في باطن الامر لها لان المدد منها ، وهي متبوعة به ، لانها الاصل ، فاتباع الاحكام الشرعية والقيام بها هي الولاية أي صورتها الظاهرة ، والولاية هي سر اسم الله الهادي المهيمن على القلوب والارواح والظاهر فوق الاشباح ، والمتجلي في الاسرار لاهل القرب والفلاح .

فالنبي صلى الله عليه وسلم ظاهره تابع لما شرع عليه ويوحى اليه من الاحكام وباطنه مهيمن عليه بعض المنن الاعلام ، فهذا هو معنى كون خاتم الولاية متبوعاً لخاتم النبوة ، لا ان الرسول عليه الصلاة والسلام تابع لمحيي الدين ، ومن هذا نفهم معنى الرؤيا ايضاً زيادة على ما مر ، أي ان الرسول يقول بلسان ولايته العامة انه اللبنة الفضة وبلسان ولايته الخاصة انه اللبنة الذهب .

واما مسألة تأبير النخل في التكلم هنا عن ذوق غير الذوق الذي سمعته عن بعض الاكابر لانه ما تكلم الا على قدر همة السامع فاعلم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما وقع نظره الكريم على اناس القائمين بتأبير النخل ، كان ملتفتاً الى ولايته صلى الله عليه وسلم المخصوصة ، اي المحصورة فيه السابق ذكرها ، فهذه الولاية حيطتها الاسم الرحيم من حيث جمعيته الكلية المحيطة بالاسماء الشرعية والمأثورة ، فمن مقتضاها الدلالة والهداية الى ما فيه راحة الجمعية الكلية الانسانية لكن بطريق الاشارة لا بصريح العبارة ، فادى صلى الله عليه وسلم حقها بقوله : « لو تركتموها لصلحت » ولو كان ملتفتاً الى ولايته الخاصة الختمية لقال غير ذلك على انه لا يقول ، لأن مقام الرسالة يأباه ، فان مقام الرسالة

لا يتكلم الا من الولاية العامة التي فيها الخاص والعام ويقوم بها الجسم من غير حرج ولا كبير مجاهدة ولا عظيم تعب ، واما غيره فحكمه الولاية الخاصة فهو مفوض منه صلى الله عليه وسلم الى المشايخ الكاملين كسيدي عبد القادر الجيلاني واخوانه ، وهؤلاء اذا ارادوا ان يأمروا او ينهوا من تحت المرتبة ينظرون اولا الى استعداد الشخص والى المرتبة التي هو فيها من الاحوال والاسرار ثم يأمرونه بما يليق به وبما يطيق فيأخذه ويسمع منه ولا يفعلون غير ذلك البتة •

واذا كان نوابه صلى الله عليه وسلم كذلك ، فهل يأتي به بالعرض والقصد اذا اراد ان يتكلم من تلك المرتبة ان يتكلم بها مع الذين ليس من طوقهم فهمها والقيام بها ؟ هل لا كان يعلم ان استعدادهم لا يتحمل ذلك وهي من امته بلاشك ؟ ، فعلى هذا كيف يصح ان يقال انه صلى الله عليه وسلم اراد اعلاء همتهم الى درجة التوكل من درجة الربط بالاسباب ؟ فهذا التأويل ما صدر من الذي صدر منه الا على حسب مقام السائل كما ذكرنا آنفا ، ويؤيد ما ذكرنا جوابه صلى الله عليه وسلم لهم بعد ذلك بقوله : انتم اعلم بأمور دنياكم ، لانه لو كان مراده اعلاء همتهم على ان هذا المراد لا يصح اسناده له صلى الله عليه وسلم ، لانه لا يريد الا بعد ان يعلم منهم القدرة على ذلك لأوضح الامر وصرح بقوله ربي يثمر وتوكلوا واعتمدوا على الله تعالى ، ووبخهم بعد ذلك واستعطفهم عما فعلوه ولم يتركهم الى آخر الموسم حتى يقولوا انها قد تلفت ، فهذا الحث كله يقتضي مقام الرسالة ويؤثر اوامره ونواهيه ، ولأعلمهم عن مقصوده وبذل جهده في حصول نتيجته كعادته صلى الله عليه وسلم ، لانه اكتفى بقوله : انتم اعلم بأمور دنياكم ، فالرسول صلى الله عليه وسلم ما فعل ذلك الكلام الا وهو يحق المشهد لا غير واراد ان ينبه على طريق الاستشهاد بين النبوة جهل بعض الامور هو من مقام الولاية العامة تحقيق العبودية التي امتاز بها صلى الله عليه وسلم ، فهو يريد ان يشير على نفسه في تلك المرتبة ، اي مرتبة الولاية العامة انه يجهل اموراً كثيرة واسعة وانها واقعة لمرتبة جمعها ، وهو ان الرسول عبد يوحى اليه ، يعلم اشياء ويجهل اشياء ، يعلم ما يتكفل بصلاح امته دنيا وأخرى ، ويجهل كثيرا من الامور الدنيوية الدنياوية ، وهذا لا يقدح بمقام الرسالة ، لان الذي يكل شيء علمه هو الله تعالى ، والعبد الرسول لا يعلم شيئاً الا باعلام الحق ، واذا اراد ان يعلم شيئاً آخر فيسوقه الى اسبابه ، فهذا هو حقيقة

او قس عليه مسألة الأسارى ورأي سيدنا عمر رضي الله عنه وغير ذلك .

وقد قال الشيخ في فرعون وقول الشيخ إنه مات طاهراً مطهراً فهذا من البطن الثاني الذي تكلم فيه في فص الموسوي ؛ وحاصل قول الشيخ رضي الله عنه تكلم في الفصوص على حد ما عينه له النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الحد هو أذواق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من حيث مقام جمعهم ، وهي المرتبة المتوسطة بين ولايتهم العامة وولايتهم الخاصة ، فلذلك تكلم على تلك الأذواق إلا بقدر الحد الذي حدده له صلى الله عليه وسلم فما يجوزه أصلا ، وعدد الأذواق سبعة وعشرون في كل فص لا يفهم في أي عبارة هي إلا الواقف على أسرار تلك الأذواق وأما ما عدا ذلك من الكلام الذي فيه تمهيد وتحصيل فهو من توسعه رضي الله عنه للإيضاح والتفهيم والاستدلال ، وتدريج مقصوده في قالب العقليات .

فقول الشيخ عن فرعون المتوفى المذكور هو من هذا الباب الذي ينفتح مصراعه الواحد الى البطن الثاني كما أشرنا إليه ، وليس المقصود من موته طاهراً مطهراً موته على الإيمان الذي يحبه ويرتضيه في ظاهر الشرع ، سواء كان الشرع الموسوي او الشرع المحمدي ، لأن الشريعة واحدة في هذا الأصل ، كما أنه ليس المراد من فرعون النفس او غير ذلك بل فرعون نفسه أي ذاته ، ولكن يراد من الموت باصطلاح البطن الثاني السكون ومن الطهارة التبرؤ أي سكنت نفس فرعون تبرئه من دعوى الألوهية لأنها كانت متحركة هائجة بنفوسها الشيطانية ، فلما رأت عجزها وتحققت ضعفها بردت وهمدت وتبرأت من دعواها بحكم ما ترتب عليها بناء لانتهاء أحكام العصيان ، أي أن شموخ النفس لا ينتهي عنه نزول القهر عليها ، فالقهر ما نزل إلا على الشموخ ، فإذا زال القهر لأنه لم يبق له محل يتعلق به ، والأسماء الإلهية لا تظهر أحكامها إلا ما دام في المحل قبول ثبت الحكم واستحقاق له ، وما رأى الشيخ نفسه أنه تكلم بهذا اللسان قدمه الى صورة أحكامه بعض قواعد الشرع بتدريج مقصوده ، وقال في آخر البحث ان أمره مفوض الى الله لنظر ما قاله في فصوص الحكم من شقائه ، وإن ما جاء في الفتوحات المكية من الأبحاث في فرعون فإن له معنى وتوجيهاً آخر ليس هذا محله — انتهى — .

الملحق الثاني

ويحتوي على :

١ ـ تراجم الاساتذة الخمسة الذين شرحوا رسالة التوحيد للشيخ أرسلان الدمشقي ·

٢ ـ تراجم علمائنا المعاصرين الذين عرضت عليهم مقدمات الكتاب عن حقائق علم التوحيد والتصوف والايمان وترجمة المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني ·

٣ ـ تراجم الرجال الذين ورد ذكرهم في الكتاب ·

٤ ـ فهرس الموضوعات ·

تراجم الاعلام الخمسة الذين شرحوا رسالة الشيخ أرسلان

عبد الغني النابلسي

عبد الغني النابلسي (١٠٥٠ – ١١٤٣ هـ – ١٦٤١ – ١٧٣١ م) هو عبد الغني بن اسمعيل بن النابلسي ، شاعر عالم بالدين والادب ، مكثر من التصنيف متصوف ، ولد في دمشق ورحل الى بغداد وعاد الى سورية ، وتنقل بين فلسطين ولبنان ، ثم سافر الى مصر والحجاز ، وبعدها استقر في دمشق حتى وفاته ، له نحو مئة مصنف مذكورة في كتب التراجم – عن كتاب « الدرر » و « الاعلام » .

زكريا الانصاري

زكريا الانصاري (٨٢٣ – ٩٢٦ هـ – ١٤٢٠ – ١٥٢٠ م) ابو يحيى زكريا بن محمد بن محمد بن زكريا الانصاري السنيكي المصري ، شيخ الاسلام ، قاض مفسر من حفاظ الحديث ، ولد في سنيكة (بشرقية مصر) وتعلم في القاهرة وكف بصره سنة ٩٠٦ ، نشأ فقيراً معدماً ، وقد قيل انه كان يجوع في الجامع فيخرج بالليل يلتقط قشور البطيخ فيغسلها ويأكلها ، ولما ظهر فضله تتابعت اليه الهدايا والعطايا ، بحيث كان له قبل دخوله في منصب القضاء كل يوم نحو ثلاثة آلاف درهم ، فجمع نفائس الكتب وأفاد القارئين عليه علماً ومالاً ، وولاه السلطان قايتباي الجركسي (٨٢٦ – ٩٠١) قضاء القضاة ، فلم يقبله الا بعد مراجعة وإلحاح ، ولما ولي رأى من السلطان عدولاً عن الحق في بعض اعماله ، فكتب اليه يزجره عن الظلم ، فعزله السلطان وعاد الى اشتغاله في العلم حتى وفاته – عن : « الكواكب السائرة » للغزي – مخطوط – .

علي بن صدقة الشافعي

علاء الدين بن صدقي الشافعي أو علي بن صدقة المانقوسي الحلبي ثم المصري الشافعي «علاء الدين» (٠٠٠–٩٧٥ هـ – ٠٠٠ – ١٥٦٧ م) ، عالم صوفي فاضل، يبدو من

شرحه رسالة الشيخ أرسلان انه كان من اصحاب الوهب اللدني الرفيع في الشعر وقد عثرت على بعض شعره كتبه عن مقام الخليل ابراهيم عليه السلام في برزة التي تقع في ضواحي دمشق فقال :

لا تمل عن رياض برزة يوماً ... فهواها شفاء كل عليل
قل لمسري عنها وكم مستسري ... عن رياض فيها مقام الخليل

ومن تصانيفه « اسرار الصلوات » و « القربة الى رب العالمين » و « المنتخب في الوعظ والخطب » و « الكوكب الوهاج في شرح المنهاج » للنووي و « شرح رسالة الشيخ أرسلان » و « ... عن السعادي » و « الصبح المكنون » و « هدية المؤمنين » .

علي بن علوان الحموي

علي بن علوان الحموي (٠٠ – ٩٣٦ هـ و ٠٠ – ١٥٣٠ م) ، علي بن عطية ابن الحسن بن محمد بن الحداد الهيتي ثم الحموي ، الملقب بعلوان : صوفي فاضل ، واشهر أهل عصره في البلاد الشامية علماً وعملاً وارشاداً ، له كلام في العظات والارشاد ، ونظم وتصانيف كثيرة .

وذكر ولده الشيخ محمد شمس الدين كثيراً من كراماته في كتابه المسمى « تحفة الحبيب » وقال ابن ميمون عنه : تمسكوا بهذا الرجل ، فوالله ليسخرن له ملوك الأرض اعتقاداً وانقياداً وكأني اراهم على بابه يزورونه وحباً واعتقاداً وتبركاً ، وليملأن الله ذكره شرقاً وغرباً ، وليسكنن الله الملوك حبه ، وكان كما قال ... عن : « دور الحبيب » (مخطوط) و « كرامات الاولياء » .

مصطفى كمال الشريف

مصطفى كمال الشريف (١٢٦٣ هـ – ١٣١٧ هـ) هو مصطفى بن المرحوم محمد افندي الشريف ، درس في دمشق حسب الاصول ، واجيز في العلوم الالهية والشرعية على عدد من العلماء الأعلام امثال الشيخ احمد عابدين ابن اخ الشيخ محمد عابدين صاحب « حاشية الدر المختار » والشيخ عبد الله الحلبي والشيخ عبد الرحمن الخربوتي

والشيخ عبد الغني السعدي والشيخ [illegible] المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني وغيرهم ، رحمهم الله .

وقد [illegible] ترجمته [illegible] الواسعة بين المعاصرين ونذكر الآن من مؤلفاته المطبوعة: « الينبوع [illegible] » و « المظاهر الكمالية » ثلاثة اجزاء في الفلسفة الدينية والتصوف و « [illegible] في علم التصوف » ويحتوي على شطر التائية الكبرى لابن الفارض وبعض قصائده و « [illegible] في شطر البردة » و « الدرة البيضاء في قصة الإسراء » و « المنحة الإلهية في مولد سيد الخليقة » و « احسن المساعي في المسلك العصامي » و « الإيمان الكامل »(١) كما أن له ديوان شعر ، أما غير المطبوع فمنها : « الأذواق الكشفية في الشريعة والحقيقة والتصوف [illegible] » وقد نشر في هذا الكتاب بعضها ، ومنها : « شرح الرسالة الأرسلانية » و « المواهب الإلهية » و « مدخل الى فصوص الحكم » و « ذكرى [illegible] على نصوص الحكم » ، كما أن له بحوثا وجولات في مواضيع مختلفة ومنها : « الفهم عن الله » و « [illegible] » و « العبادة والعبودية والعبودة » و « الإرادة الجزئية والاختيار والكسب » و « الفهم عن الله » و « وحدة الوجود » وما اليها من الأبحاث ، وشرع رحمه الله في تأليف تفسير كبير سماه « الموارد الكمالية في الترجمة عن الآيات القرآنية » ولكن الأجل عاجله قبل ان يتمه كما جرى بالنسبة شرح الرسالة الأرسلانية .

وقد توفي عام ١٣١٧ بعد ان عاش اربعا وخمسين سنة أي نفس المدة التي عاشها الإمام الشافعي احد الأئمة الأربعة ، ودفن في مقبرة ابي بكر [illegible] الذي يقع في امتداد شارع ابي رمانة = طريق الحواكير = .

---

(١) الف العلامه الاستاذ مصطفى كمال الشريف كتاب الايمان الكامل لما كان في الاستانه سنه ١٢٩٤ هـ باللغة التركيه وقد ترجمه الى العربية نجله المرحوم الاستاذ محمد مختار الشريف والد الصديق العزيز والرجل المؤمن الصادق الاستاذ كمال الشريف . وهو الذي أسهم مشكورا في جعل بعض مخطوطات جده قيد الطبع في هذا الكتاب .

تراجم العلماء المعاصرين الذين اطلعوا على مقدمات هذا الكتاب

وترجمة المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني

قلت في الصفحة « ٨ » من هذا الكتاب إني عرضت المقدمات التي كتبتها عن حقائق علم التوحيد والتصوف والاحسان على ستة عشر عالماً من علماء الاجلاء ، واذكر هنا انني عرضتها ايضاً على الفقيد الكبير الاستاذ عبد الوهاب الحافظ الملقب بـ « دبس وزيت » لذلك اثبت تراجمهم مع ترجمة المحدث الاكبر الاستاذ الشيخ بدر الدين الحسني الذي أوصى في حياته بالعمل على نشر شرح الرسالة الرسلانية ، والاستاذ محمود ياسين بعبارة من اساتذة الفقيد الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت والاستاذ الشيخ سعيد البرهاني ، ومما يجدر الاشارة اليه ان من ابرز تلامذته الاحياء الاساتذة الشيوخ كمال القصار ، عبد الرزاق الحفار ، ياسين عرفة .

وفيما يلي اسماء الاساتذة مرتبة على الحروف الهجائية

تأكيداً لما سبق في الصفحة ٧٢ أوائد ترجمة وجيزة عن شيوخنا واساتذتنا المعاصرين الذين اطلعوا على مسودات كتابي . مضافة اليها ترجمة بعض من ورد ذكرهم من الاساتذة والشيوخ المعاصرين ممن انتقلوا الى رحمه الله تعالى وهم :

المحدث الاكبر الاستاذ الشيخ بدر الدين الحسني . العارف بالله تعالى الشيخ احمد الحارون الحجار العسلي . البركة المحدث الشيخ محمد الهاشمي . العلامة المحقق الشيخ ابن سودة والمحدث الشيخ محمود ياسين .

احمد الحارون الحجار العسلي (١)

احمد الحارون الحجار العسلي (١٣١٥ – ١٣٨٢ هـ ؛ ١٩٠٠ – ١٩٦٢ م) ولد في دمشق تحت مسجد [illegible] من أبوين ينتسب أولهما لأبي [illegible] الحسيني وينتسب ثانيهما لبني شيبة .

التحق بالكتاب [illegible] وهو [illegible] من العمر [illegible] عشرة [illegible] ثم [illegible] في [illegible] وحرص على تلاوة القرآن [illegible] وقد [illegible] ، واتصل مع العلماء [illegible] والشيوخ أمين الكريتي ، أمين [illegible] ، عبد المحسن [illegible] الأيوبي ، عبد المحسن الاسطواني ، ابراهيم الغلاييني ، ثم [illegible] على المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين

---

(١) يمكن لكل من يشاء الاطلاع على ترجمة جامعة واوسع عن العارف بالله تعالى الشيخ احمد الحارون الحجار العسلي ان يقرأها في الكتاب الذي نشرنا مطبعة العلم تحت عنوان : « امام السالكين وشيخ المجاهدين الشيخ ارسلان الدمشقي » .

الحسني والمحدث السيد محمد جعفر الكتاني، والمرشد الشيخ محمد الهاشمي، والشيخ امين سويد والشيخ محمود ابي الشامات وغيرهم •

ثم اتصل بمفتي المرحوم الشيخ محمد شكري الاسطواني والمرحوم الشيخ عزيز الخجي والمفتي المرحوم الشيخ عطا الله الكسم والعارف بالله الشيخ امين الزملكاني وغيرهم، وانصرف لدراسة الكتب الدينية والكونية، وبعد ذلك شرع بالتأليف والجمع، وقد الف عددا كبيرا من الكتب في التصوف والتفسير والاخلاق والعلوم الكونية، وهي الآن مخطوطة بمقدار صفحاتها التي يرجو من الله ان تنشر في القريب العاجل، ليستفيد الناس منها ولما في نصوصها من معلومات كونية ودينية رفيعة وهبية وكسبية •

احمد الحلبي

احمد الحلبي (١٩٢٢ م) تعلم القرآن الكريم في حداثة سنه في مدرسة الريحانية، وقرأ بعض علوم التوحيد والتصوف على المرشد الكامل الاستاذ الشيخ محمد الهاشمي، ومما قرأه: خمرة الحان ورنة الالحان شرح رسالة الشيخ أرسلان » في التوحيد، وقد لازمه منذ ان كان في الخامسة عشرة من عمره وحتى وفاته بعد ان اذن له في تدريس علوم التوحيد والتصوف، وقد كان يدرس علم في قرية التل ثم في مسجد سوق العتيق بدمشق، كما درس مدة في شرقي الاردن باذن من الشيخ محمد الهاشمي •

احمد الشامي

احمد الشامي (١٣١٧ هـ ١٩٠٤ م) ولد في دوما، وبعد ان تلقى العلوم الاولية درس على العالم الجليل المرحوم الشيخ محمود السيد وعلى السادة الاجلاء العلماء مصطفى الشطي مفتي دوما ومحمد الهاشمي ويوسف العباس وعلي الدقر وعبد الوهاب دبس وزيت وسعيد البرهاني •

ومن جملة [illegible] عام ١٩٥٠ [illegible] حتى الآن ٣٦٧ جدولاً في [illegible] في مسجد [illegible] ، واليه يرجع الكثيرون من بلاد الشام للحصول على الفتاوى •

امين سويد

امين سويد (١٢٧٣ – ١٣٥٥ هـ ؛ ١٨٥٥ – ١٩٣٦ م) ولد في اسرة دمشقية تعاطى اهلها التجارة والفلاحة ، وقد انصرف منذ صغره الى العلم واخذ يتردد على علماء عصره سواء أكان في الشام او في مصر ، وقد دخل الجامع الازهر وقضى خمس سنوات عاد بعدها لدمشق واخذ يلقي دروساً في الفقه واصوله مبتدئاً على صورة حملة محمد الأعطار ، وقد كلفته الحكومة العثمانية بتدريس الفقه الحنفي في جامع درويش باشا بدمشق ، ومنحته بعض الرتب العلمية العالية ، واتخذ من غرفته في دار الحديث بدمشق مقراً له •

قام الامام الشيخ امين سويد برحلة الى تركيا والهند وبخارى واليمن والجنوب العربي والمغرب العربي وغيرها ، وقد اسهم مع المدافعه محمد علي زينل علي رضا في تأسيس مدارس الفلاح في الهند والحجاز ، واختارته الحكومة العثمانية خلال الحرب الاولى للتدريس في الكلية الصلاحية بالقدس ، وظل كذلك حتى اعلانها بالاحتلال الانكليزي لفلسطين ، وعندها عاد لدمشق واختارته الحكومة العربية في عام ١٩١٨ ، عضواً في الشعبة الاولى للترجمة والتأليف ، ثم اصبح مدرساً لاصول الفقه في معهد الحقوق العربي ، وفي ابان الثورة السورية عام ١٩٢٥ ترك دمشق الى حيفا وقضى اشهراً ثم ذهب الى جرش في شرقي الاردن ، ومنها انتقل الى الخليل وكلف بالتدريس في دار المعلمين في مدينة القدس ، وسافر للتدريس في مكة ثم في بومباي ، وعاد للتدريس والوعظ في مسجد زيد بن ثابت الانصاري •

عينته الحكومة العربية بعد جلاء الاتراك عضواً في الشعبة الاولى للترجمة والتأليف التي انشئت لوضع المصطلحات العربية للكلمات التركية وذلك في عام ١٩١٨ ،

ثم تحولت الجمعية الى [illegible] ، واعقب ذلك [illegible] المجمع العلمي العربي ، وكان العلامة سليم من مؤسسيه الاولين ، ثم [illegible] في [illegible] ثم [illegible] في عام ١٩٢٥ كما [illegible] الى [illegible] [illegible] في [illegible] الى [illegible] .

درس في التوحيد والفرائض وعلوم الحديث والسيرة والاصول والتصوف وكتب فيها ، ولدى نجله الاستاذ محمد [illegible] سليم البخاري عدة [illegible] مخطوطات احداها [illegible] على قواعد [illegible] والاصول [illegible] المخطوطة [illegible] تحتوي على [illegible] [illegible] القدس من اقدم العصور ، غير ان مخطوطته قد فقدت .

المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني

بدر الدين الحسني (١٢٦٧ – ١٣٥٤ هـ و ١٨٥٠ – ١٩٣٥ م) ولد من ابوين تقيين في دمشق ، ووالده العلامة الكبير الامام الشيخ يوسف بن العلامة الشيخ بدر الدين المراكشي الحسني ، وينتهي نسبه [illegible] الى الشيخ عبد العزيز الدباغ استاذ الشيخ الجزولي ثم الى سيدنا الحسن السبط رضي الله عنهم ، وقد هاجر والده من مراكش الى مصر وهناك التحق بالدراسة في الازهر الشريف ، ثم اخذ يدرس ويؤلف حتى بلغت مؤلفاته [illegible] [illegible] ، [illegible] في [illegible] وكان له [illegible] احدهم الشيخ احمد [illegible] والد [illegible] يوسف [illegible] الحسني احد كبار موظفي المصالح العقارية بدمشق وكان من مشايخ الطريقة النقشبندية ، اما نجله الاخر فهو المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني ، [illegible] عرف بالعلم والتقوى والفضل في دمشق ، [illegible] [illegible] الشهير [illegible] ، واتسعت [illegible] بعد وفاة [illegible] حفظ القرآن في الكتاب [illegible] في دار الحديث واخذ يحفظ المتون في [illegible] حتى بلغ محفوظه [illegible] حوالي العشرين الف بيت من متون العلوم ، كما حفظ كتب السنة [illegible] صحيحي البخاري ومسلم باسانيدهم وموطأ الامام مالك ومسند الامام احمد وسنن الترمذي وابي داوود والنسائي وابن ماجة ، وباشر بالتأليف حيث بلغت [illegible] الاربعين [illegible] وهو في سن العشرين من عمره .

وكان [illegible] في [illegible] بالجامع [illegible] [illegible] ، وفي يوم [illegible] جمعة من كل [illegible] [illegible] في [illegible]
اشهر واقتصر فيه على حديث صغير واحد في البخاري يتلوه اول الدرس ، ثم يشرح [illegible] [illegible] ذكر [illegible] [illegible] فلا يخرج من [illegible] ، وكان [illegible] [illegible] على [illegible]
عدد من كبار علمائنا .

زوج المحدث الأكبر [illegible] الشيخ محي الدين [illegible] [illegible] عام ١٩١٧ ، وقد [illegible] زوج [illegible] دائرة الفتوى في دمشق ، و[illegible] رئيس الجمهورية
الاسبق .

وقد [illegible] علماء البلاد العربية والاسلامية ، في [illegible] المحدث الأكبر [illegible] [illegible] الفريدة المعدودة [illegible] ٢ ربيع الأول ١٣٥٤ هـ ، حزيران ١٩٣٥ م .

محمد بهجة البيطار

محمد بهجة [illegible] (١٣١١ هـ = ١٨٩٤ م) [illegible] من عائلة عريقة في العلم ، [illegible] الجزائر ، وقد هاجر جده الاعلى الى دمشق واستوطن فيها
منذ اكثر من مائتي عام .

درس في المدرسة [illegible] [illegible] العربية في المدرسة

العزازية ابتدائية ، وفي سنة ١٣٣٦ تلقى الدراسة العلمية من عربية ودينية وعقلية على يد والده الشيخ بهاء حسن وعلى علامة الشام جده الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي وعلى محدث الديار الشيخ بدر الدين الحسني ثم على العلامة الجليل الشيخ محمد الخضر حسين التونسي شيخ الأزهر الشريف .

انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م وبعد توحيد مجمعي دمشق والقاهرة في ٢٦ حزيران سنة ١٩٦٠ م اعتبر أعضاء المجمعين العربيين أعضاء في المجمع الجديد ، كما انتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي في ٢ حزيران ١٩٥٤ م وقام بالتدريس في عدد من الثانويات والكليات والجامعات في المملكة العربية السعودية ولبنان وفي الجمهورية العربية السورية .

أسهم في وضع الأسس العامة من أجل الأمة الحرة وأبرزها دفع العدوان الأجنبي ، وقام بعدد من الرحلات الى البلاد العربية والأجنبية من شرقية وغربية .

ألف عدداً من الكتب والرسائل ومنها « نقد عين الميزان » و « نظرة في الصحيفة الزكية » و « [illegible] الصفراء والبيضاء » وأكمل تفسير الإمام محمد رشيد رضا لسورة يوسف عليه السلام وخرج أحاديث « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث » للقاسمي ونشر « مسائل الإمام أحمد لتلميذه الإمام أبي داود السجستاني » كما نشر مقالات كثيرة في صحف ومجلات الشام والسعودية ومصر والعراق .

خطب في مسجد واشنطن خلال رحلته الى الولايات المتحدة الأميركية ، كما زار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٥٠ م واجتمع بالجمعيات الإسلامية وبمفتي العام المرحوم بابا خان ، وذاكر في كل البلدان في شؤون الدين الإسلامي وفي ضرورة تطبيق التعاليم الإسلامية العامة الضامنة لسعادة الدارين .

حسن حبنكة

حسن حبنكة (١٣٢٨ هـ / ١٩١٢ م) ولد في حي الميدان ودرس على شيوخه

من علماء الاجلاء الائمة الاساتذة من شيوخه ... شيخ ... الاسلام ... ي ومحدث
الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ محمود العطار والشيخ سعيد الملبسي الكردي
صهر بديع الزمان الكردي والشيخ عطا الكسم والشيخ احمد العطار والشيخ علي الدقر
والشيخ محمود ... وبدأ الوعظ والارشاد والتدريس عام ١٩٢٥ في مسجد
محمد والمرادي ... الكبير ... وغيرها ، وتخرج على يديه عدد
من العلماء احدهم المدرسون حاليا في المساجد ، أسس مدرسة التوجيه الاسلامي الثانوية
الشرعية وشرح ... وقد ... كما انشأ المولد
النبوي الشريف وكتب في مواضيع دينية وارشادية عديدة .

زين العابدين التونسي

زين العابدين التونسي (١٣٠٦ هـ : ١٨٨٨ م) ولد في تونس ووالده الاستاذ الشيخ الحسين بن علي بن عمر شيخ الطريقة الخلوتية في تونس والجزائر وقد توفي عام ١٣٠٨ هـ ١٨٩٠ م اي بعد سنتين من ولادة الاستاذ الشيخ زين العابدين ، وقد بدأ الدراسة في تونس في مدرسة صغيرة ثم في مسجد الزيتونة وقرأ على عدد من العلماء الاجلاء ومنهم سماحة الشيخ محمد الخضر حسين والعلامة الشيخ طاهر بن عاشور والعلامة المرحوم الشيخ محمد النخلي والعلامة المرحوم الشيخ محمد بن القاضي وغيرهم ، وقد درس عليهم كحلقات في الازهر الشريف ثم حصل على شهادة «التطويع» ذات السبع سنوات ودرس في مسجد الزيتونة ، وهاجرت العائلة لدمشق عام ١٩١٢ وعين صاحب الترجمة استاذاً في مدارس عديدة من ابتدائية وثانوية وحصل على شهادة كلية الآداب العليا في جامعة دمشق ثم تقاعد عام ١٩٤٩ ، وله الآن حلقات درس ووعظ وارشاد دورية في داره ودور للائمة في الميدان وانحاء دمشق وفي مسجد منجك وسيدي صهيب الرومي ، وله مؤلفات عديدة منها «المعجم المدرسي» في اللغة و «المنجم المدرسي» في النحو والصرف و «دروس في الوعظ والارشاد» - جزءان - كما انه له رسائل صغيرة في مواضيع مختلفة ، اما كتبه التي لم تطبع فمنها «المعجم في مفردات

العرب » و « الاربعون [illegible] » [illegible] « الاربعون النووية »

سعيد الحمزاوي

محمد سعيد الحمزاوي نقيب السادة الاشراف (١٣١٣ هـ - و ١٨٩٥ م) ، وهو من اسرة شريفة دمشقية ، [illegible] الحمزاوي ، درس [illegible] على علماء دمشق وغيرهم بعد ان حصل [illegible] من شيوخه .

كانت له مساهمة كبيرة في الاعمال الوطنية والخيرية في تأسيس عدد شركات اقتصادية مساهمة ، كما اشتغل بعضوية ورئاسة عدد من مجالس الرسمية .

والاسرة الحمزاوية من عرق الاسر المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد نشأت نقابة الاشراف في هذه الاسرة الكريمة ، واول من تولاها جد الاسرة الاعلى السيد اسماعيل الذي كان [illegible] من حران العراق عام ٣٣٠ هـ الخليفة المقتدر بالله بنقابة الاشراف في الشام كما ذكر ابن عساكر في تاريخه الكبير ، وانتقل من حران الى دمشق الشام التي كانت وطن هذه الاسرة منذ ذلك العهد وحتى يومنا هذا ، وفي بيت السيد اسماعيل الحمزاوي [illegible] شريف [illegible] حتى اصبح بيت في النسب ولا بيت في حران [illegible] وبقي [illegible] الى هذه الحادثة وتاريخها اشار بيت القصيدة في منظومة جد الشعراء الاقدسي المحفوظة في دار [illegible] ، وهي رفعة [illegible] على [illegible] ، وفي كل بيت منها اسم جد من اجداد هذه الاسرة وقد قال في مطلعها :

ابن الشريف هو اسماعيل [illegible] حتى [illegible]

وتولى نقابة الاشراف اولاده [illegible] من بعده ، نقيب بعد نقيب حتى عام ١٢٦٠ كما نصت على ذلك كتب التاريخ [illegible] ابن عساكر [illegible] في [illegible] والواقدي

وأمدهم [illegible] وأمثالهم [illegible] في [illegible] المستشرقين وغيرهم .

وقد [illegible] في [illegible] في شعبان ١٣٦١ هـ و آب ١٩٤٢ م .
[illegible] ومقالات أدبية واجتماعية و[illegible]
نشرت ونشر في الصحف والمجلات من إسلامية وعربية ، كما كان يتولى الخطب في
[illegible] دينية واجتماعية وأسرية .

وقد أهدى [illegible] سنة ١٩٥٦ ثلاثة [illegible] مخطوط [illegible] للمكتبة
الظاهرية في دمشق ، وفي عام ١٩٦٣ [illegible] أوصى ٥٨ قطعة من المخطوطات
النادرة ، [illegible] الاستقلال [illegible] من الدرجة الأولى
تقدير [illegible] هداه للمكتبة
الظاهرية .

محمد سعيد البرهاني

محمد سعيد البرهاني (١٣١١ – ١٣٨٦ هـ / ١٨٩٤ – ١٩٦٧ م) ولد [illegible]
والده وأجداده [illegible] القرآن
في [illegible] الكتاتيب ثم [illegible] والده [illegible] مكتب الإعدادي الملكي في
دمشق [illegible]
[illegible] الإلزامية [illegible] ثم التحق بكلية الضباط
للجيش العربي في ٤ كانون الثاني سنة ١٩١٩ وتخرج [illegible] وفي
عام ١٩٢٠ [illegible] الفرنسيون [illegible] الجيش
العربي المرابط في ميسلون [illegible] ميسلون [illegible] بسلك
التعليم .

قرأ على [illegible] على الشيخ عبد [illegible] الكتاني [illegible] والمحدث الأكبر الشيخ
بدر الدين الحسني ومفتي الشام الشيخ عطا الله الكسم كما قرأ على الشيخ المقرئ

محمد المغربي والشيخ محمود العطار والشيخ محمود ياسين ، وفي سنة ١٣٥١ هـ انتقل والده الى رحمة الله وجلس مكانه لدروس ... في جامع سوق ... والشيخ الحمصي الذي جدد ، والشيخ محمد ابو الخير الميداني الذي ... في الحج ، واخذ الطريقة النقشبندية عن الامام الشيخ يحيى المغربي ، كما تعرف ... على شيخ محمد الهاشمي التلمساني ، وفي عام ١٩٢٥ دخل معتقلاً وتعرض ... كما كان يلقي دروساً في الاموي ، والشيخ مرشداً في ... الشيخ الهاشمي ... عنه في آخر الاحيان ثم خلفه ليكون اماماً وشيخاً للطريقة الشاذلية ... وبعد وفاته منذ سنة ١٣٨١ هـ ... من بعده ... الاستاذ هشام البرهاني ليكون شيخاً ومرشداً للطريقة الشاذلية .

... وتعليق على الكتب والرسائل التي ... في مكتبته والتي تصل الى ٤٠٠ كتاب عربي ... ومن بينها مخطوط مجموعة تحوي بعض اسماء رجال الحديث ... في عشرة اجزائه من البحث ، ... « النووي شارح مسلم في خمسة ... في عشرة اجزائه ، ... مجموعة ... في ... » وضعها داخل كتاب ... الامير على ... « ... من المنطق » وضعها داخل كتاب حاشية على « ... » ، ومجموعة ... وحوادث ... عدد ... ٢٧٥ من ... ودعوات ... ودعاء ... « ... » و « الحج » و « العمرة » و ... « ... » و « الوصية ... » و ... « ... » و « ... في اعمال الحج والعمرة » و « الوصية ... » و « ... » لشيخ محمد ... « ... » و « ... الصادقين وسبل ... والعمل » و ... « ... » و « ... ثوابها للاموات » و « ... » للشيخ الاكبر و « شرح ... » للشيخ الاكبر وغيرهم ، وهناك مصحف وضع على هامشه ... في كل آية في حوالي اثنى عشر تفسيراً كانت تضمها مكتبته .

وفي يوم الاربعاء ١٥ شوال سنة ١٣٨٦ هـ و ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٦٧ م توفي الى رحمة الله وانتقل الى دار الخلد .

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (صفر ١٣٥٠ هـ) ولد في جزيرة ابن عمر، ونشأ في [illegible] والده الشيخ محمد رمضان البوطي حيث تلقى العلوم العربية المختلفة والمنطق والفلسفة، ثم درس الفقه والأصول، وكان آخر ما درسه على والده من كتب [illegible] جمع الجوامع، وفي خلال تلك الفترة التحق بمعهد التوجيه الإسلامي.

نال الشهادة الثانوية وسافر إلى مصر عام ١٣٧٣ هـ والتحق بالأزهر وحاز على شهادته في عام ١٣٧٦ هـ، والتحق بكلية اللغة العربية وحصل على دبلوم في التربية من الأزهر عام ١٣٧٧ وتابع دراسته بقسم الدراسات العليا وفاز بالدكتوراة في أصول التشريع الإسلامي عام ١٣٨٥.

بدأ التدريس في ثانويات حمص عام ١٣٧٨ ثم في دار المعلمين بدمشق، وعين معيدا في كلية الشريعة، وبعد ثلاث سنوات أنهى دراسة الدكتوراة كما سبق وعين مدرساً في كلية الشريعة والآداب.

ومن مؤلفاته «ضوابط المصلحة» و«فقه السيرة» و«كبرى اليقينيات الكونية» و«المذهب الاقتصادي بين الإسلام والشيوعية» و«تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث» وترجمة كتاب «ممو زين» وهو عبارة عن ترجمة قصة عاطفية كتبها شعراً الشيخ أحمد الخاني، وآخر كتاب له تحت الطبع: «من الفكر والقلب».

صلاح الدين الزعيم

صلاح الدين الزعيم (١٣٠٠ هـ) ولد في بيروت ووالده الأستاذ الشيخ محمد رضا الزعيم الذي كان أحد رجال الإفتاء الكبار في العهد العثماني وله ترجمة واسعة في كتاب «أعلام النبلاء» للطباخ، وتنقل والده لدمشق وبدأ الدراسة على يده في طرابلس

وعلى شيوخ ابراهيم السلقيني ومحمد [illegible] في حلب ومحمد [illegible] الأكرم الشيخ بدر الدين الحسني في دمشق والشيخ محمد [illegible] درس في [illegible] واوروبة وسورية ولبنان وكانت له جولات في الارشاد والتعليم [illegible] وعمل مدرساً عاماً في دائرة الفتوى في الجمهورية العربية السورية [illegible] في جامع [illegible] كما كان يدرس في عدد من مساجد دمشق .

كتب مقالات كثيرة في مجلة [illegible] التي [illegible] الشيخ [illegible] الاسكندراني والشيخ محمود [illegible] كما كتب في مجلة التمدن الاسلامي ، وفي مجلة « العرفان » [illegible] في صيدا [illegible] في [illegible] والحجاب [illegible] في [illegible] محمد سعيد فيها .

عبد الرزاق الحلبي

عبد الرزاق الحلبي (١٩٢٥ م) [illegible] في [illegible] علم [illegible] الشيخ [illegible] ، وقرأ القرآن [illegible] على الشيخ [illegible] محمد سعيد الحلواني [illegible] على الشيخ [illegible] وهو [illegible] في حلقات جمعية الشيخ [illegible] ١٩٥٦ وحتى الآن [illegible] في [illegible] جامع [illegible] .

عبد الوهاب الحافظ

الملقب بـ « دبس وزيت »

عبد الوهاب الحافظ (١٣١١ – ١٣٨٩ هـ و ١٨٩٢ – ١٩٦٩ م) هو الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ عبد الرحيم الحافظ الملقب بـ « دبس وزيت » ، ينتهي نسبه الى الولي الكبير سيدي عبد القادر الجيلاني [illegible] ولد في حي [illegible] احد احياء دمشق .

كانت دراسته الاولى على يد والده الشيخ عبد الرحيم [illegible] فحفظ القرآن ولم يبلغ سن الحلم ، ثم اعاد قراءته على الشيخ محمد سليم الحلواني شيخ القراء ،

واتصل [illegible] الشيخ [illegible] وعرف على الشيخ عبد الله [illegible] قراءته عليه أخصب مرحلة قضاها في طلب العلم ، حيث قرأ عليه جميع انواع العلوم ، وكان رحمه الله ابرز تلاميذه واسرعهم حفظاً واكثرهم نجابة حتى سمي خليفته .

وقد [illegible] الشيخ [illegible] والشيخ محمود [illegible] وحضر دروس [illegible] الحمصي ، ومن العلماء الذين التقى بهم وتعرف عليهم [illegible] الشيخ [illegible] والشيخ عيسى الكردي والشيخ عبد الرحمن [illegible] وأخذ عن الشيخ عبد القادر الاسكندراني والشيخ صالح الحمصي .

عرف عن المرحوم [illegible] وكان له مكتبة معروفة حتى [illegible] علمه [illegible] وغزارة علمه ، اذ كان إماماً في الفقه الحنفي [illegible] حتى [illegible] حنيفة الصغير ، وكان [illegible] في [illegible] حياته بأبي يوسف الذي نسبة تلميذ ابي حنيفة .

عرف [illegible] واحب ان ينقطع للعلم .

عرف رحمه الله بزهده وورعه [illegible] الحلال ، كما عرف بمواظبته على [illegible] رحمه الله بر بالفقراء والمساكين [illegible] في مختلف العلوم الدينية [illegible] وتعليقات على [illegible] في العاشر من رمضان ١٣٨٩، [illegible] دمشق [illegible] علماء [illegible] في موكب مشهود ، بكى الجميع فيه ذلك الرجل الذي كان مثالاً للعالم العامل .

محمد الحامد

محمد الحامد (١٩١٠ - ١٩٦٩ م) ولد في حماه وتوفي والده وهو صغير السن، فتعهده المرحوم اخوه الشاعر بدر الدين الحامد، ووجهه في طريق العلم والمعرفة، وبعد ان اجتاز مرحلة التعليم الابتدائي التحق بمعهد الشرعي، ثم انتسب الى دار العلوم الشرعية، ثم رحل الى حلب وانتسب للمدرسة الخسروية الشرعية التي كان يديرها عدد من العلماء الاعلام، ومنهم الاستاذ الشيخ احمد الزرقا الفقيه الجليل والشيخ احمد الكردي مفتي الحنفية في حلب والشيخ عيسى البيانوني والشيخ ابراهيم السلقيني والشيخ محمد الناشد والشيخ راغب الطباخ والشيخ احمد الشماع وغيرهم، وبعد انهاء الدراسة فيها عاد لحماه والتزم الدراسة العلمية، ثم التحق بكلية الشريعة في الازهر الشريف ونال شهاداتها العالية وانتسب قسم التخصص في القضاء الشرعي ونال شهادته العلمية مع الاجازة في القضاء ولكنه لم يشأ ان يكون قاضياً واختار التدريس في وزارة التربية والتعليم كما كان يدرس ويخطب في جامع السلطان الذي تسلم الخطابة والتدريس فيه، وذلك الى جانب ما كان ينهله من دراسات خاصة على يد الكتب الوفيرة من قديم المصنفات وجديدها .

ويقول المجدد المصلح الشيخ محمد الحامد في ترجمته التي قدمها لمجلة « الحضارة الاسلامية » قبل وفاته انه تأثر بكثير من اساتذته وشيوخه الذين كان لهم الفضل عليه كفضيلة خاله الشيخ محمد سعيد الجابي والشيخ محمد توفيق الصباغ وشيخه الاستاذ محمد سعيد النعساني مفتي حماه وعم والده ووجه الاستاذ الحجة شمس علماء حماه الشيخ احمد المراد والعارف بالله الشيخ محمد ابو النصر الحمصي النقشبندي الذي اخذ عنه الطريقة كما تأثر بعلماء دمشق ومنهم المرشد المربي الاستاذ الشيخ ابراهيم الغلاييني .

اما انتاجه العلمي فغزير وقد طبع منه : « نظرات في كتاب اشتراكية الاسلام » و « حكم الاسلام في الغناء » و « رحمة الاسلام للنساء » و « آدم لم يؤمر باطناً بالاكل من الشجرة » و « القول في المسكرات وتحريمها من الناحية الفقهية » و « التدارك المعتبر لبعض ما في كتاب القضاء والقدر » و « بدعة زيادة السورات في المساجد ليالي رمضان

وغيرها » و « نكاح المتعة حرام » و « [illegible] على الباطل » ، وهو كتاب ضخم يحوي بين دفتيه مجموعة [illegible] ومجموعة أسئلة فقهية [illegible] علمية مجوبة [illegible] ، وهناك مخطوطات [illegible] ردود على البابيين .

وقد انتقل العلم الفاضل الى جوار ربه في [illegible] السابع عشر من صفر الخير ١٣٨٩ = ٥ أيار ١٩٦٩ ، و[illegible] في [illegible] في موكب حافل مشهود ، شارك فيه مختلف المدن السورية بعلمائها ورجالها .

الدكتور محمد خير العرفسوسي

لم نستطع الحصول على ترجمة الدكتور محمد خير العرفسوسي ، وذلك بسبب سفره للتدريس في الرياض منتدبا من قبل هيئة الأمم المتحدة « اليونسكو » وكل ما حصلنا عليه من المعلومات أنه [illegible] الأولية والاعدادية والثانوية والعالية في المدارس والمعاهد والجامعات في سورية [illegible] شهادة الدكتوراة في العلوم التربوية من جامعة جنيف ، وبعدها عاد الى دمشق وعين مدرسا في كلية التربية ، وله عدد من المؤلفات منها : « التيسير في علم الحساب [illegible] » و « ابن خلدون حياته ومقدمته » وعدد من الأبحاث والدراسات التربوية والاجتماعية .

محمد علي المراد

محمد علي المراد (١٩١٨ -) سليل عائلة من [illegible] حماة ، تميز أسلافها بالزهد والورع والتصوف ، ومنهم والده السيد محمد سليم المراد ، درس أولا في مدرسة ابتدائية ، وقرأ على عمه [illegible] الشيخ احمد المراد وعلى الشيخ زكي الدندشي والعلامة المرحوم السيد محمد الحامد ، كما تلقى العلوم في الأزهر وحاز على شهادة التدريس منه في عام ١٩٤٨ بعد ان [illegible] شهادة الاعدادية في الاعدادية الشرعية بحماه .

بدأ التدريس في حلب في المدارس الثانوية وانتقل للتدريس في ثانويات حماه ،

كان يلقي دروسه في الوعظ والإرشاد في مسجد سيدنا أبي الفداء ، ويعتبر تلميذه الأول للمجدد المصلح الأستاذ محمد الحامد .

محمود ياسين

محمود بن أحمد ياسين (١٣٠٤ – ١٣٦٧ هـ و ١٨٨٧ – ١٩٤٨ م) فقيه محدث مشارك في بعض العلوم ومن أبرز علماء اللغة والأدب ، ولد بدمشق وأخذ العلم وأخذ عن المحدث الأكبر بدر الدين الحسني وعن الشيخ الأستاذ محمد جعفر الكتاني والأستاذ صالح شريف التونسي وأحمد الجزري ومحمد عبد الله الكسم ومحمد كامل القصاب وعبد القادر الإسكندراني وسليم البخاري ومحمد سليم الحلواني ومصطفى المنصوري ودرّس في مساجد دمشق ومدارسها وجمعية العلماء والمدرسة الشرعية وأنشأ مدرسة التهذيب الإسلامي ووظف في المحاكم الشرعية وساهم في تأسيس جمعية الهداية الإسلامية وجمعية ... ورئاسة تحرير مجلة الهداية الإسلامية وتولى رئاسة ... مدة عشرين عاماً ... وساهم في تأسيس مجلة « الحقائق » بدمشق وتوفي في دمشق سنة ... في ٤ ذي الحجة ودفن بمقبرة الدحداح .

ومن آثاره ... في الحديث والعربية ... ورسائل في الفقه ... عن ... ومحاضرات من عيون اللغة والأدب والشعر واللغة ، وكان ينشر مقالات في المجلات المصرية والسورية .

تخرج عليه عدداً كبيراً من التلامذة ... لهم أثر مذكور في حياة العلم والأدب والإصلاح الديني ، ومن أبرزهم ابن أخته الدكتور شكري فيصل عضو المجمع العلمي العربي وصاحب الآثار الأدبية والعلمية والأستاذ في جامعة دمشق والجامعات العربية ، وهو يدرس حالياً في جامعة الجزائر .

ومن تلامذته ... وهو الأستاذ مأمون ... المدرس في ... البلاد العربية ، ويدرس حالياً في ثانوية جودة الهاشمي في دمشق .

مكي الكتاني

مكي الكتاني (١٣١٩ هـ ، ١٨٩٧ م) ولد السيد مكي الكتاني في فاس في المغرب عربي من عائلة شرف وعلم ، ووالده المحدث الأشهر السيد محمد عبد الله بن جعفر الكتاني الذي هاجر الى مدينة المنورة مع عائلته عام ١٣٢٥ هـ ثم انتقل الى دمشق .

بدأ دراسته على يد عدد من العلماء وأولهم والده ومنهم : الشيوخ عبد القادر الشمي الطرابلسي وتوفيق الأيوبي وحسن البدالاوي المغربي واحمد الشمعة . كما درس في دمشق على يد الشيخ المحدث الأكبر الفقيد الشيخ بدر الدين الحسني والامام امين سويد ، وبدأ بالتدريس في داره بالصالحية بعد ان اجازه الشيخ امين سويد ثم في عدد من مساجد دمشق ومنها المسجد الاموي .

أسهم في الجهاد ضد فرنسا في سورية كما كان شأن عائلته في المغرب العربي ، واسس « رابطة شباب دمشق » ثم « رابطة العلماء » التي ما تزال يرأسها كما انه ساهم في عدد من الجمعيات ومنها جمعية الهداية الاسلامية والجمعية الغراء وجمعية انصار المغرب العربي وتحريره وجمعية توسيع مسجد الشيخ الأكبر ، وهو عضو في المؤتمر الاسلامي العربي الذي كانت له يد في انشائه وله رحلات عديدة في مؤتمرات العالم الاسلامي .

ملا رمضان البوطي

الملا محمد رمضان البوطي (١٣١٢ هـ) ولد في صاحبة من ضواحي جزيرة ابن عمرو ، وتتلمذ على يد عدد من كبار العلماء ومنهم المرحوم الشيخ محمد سعيد سيدا شيخ الطريقة النقشبندية وكان يدرسه المعقولات والمنقولات وفي عام ١٩٥٤ م اقام في حي الاكراد في دمشق ودرس على يد عدد من الأعلام ومنهم المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ محمود العطار والشيخ علي الدقر والشيخ ابراهيم الغلاييني ، ثم بدأ بالدعوة والارشاد في مسجد الرفاعي وفي داره وفي غيرهما .

ألف ونشر عدداً من الكتب ومنها كتاب « نور الاسلام في امراض القلب وادويتها وآفات اللسان وما وجب على الانسان »وعني بنشر الكتب الكردية لتعليم العقيدةالاسلامية ومنها كتاب « نهج الانام » للملا خليل شوقي الاسعيردي في التصوف والعقيدة والاخلاق وكتاب في العقيدة للاديب المشهور الشيخ احمد الخاني وكتاب «الربيع الجديد» ـ نوبهار ـ والقاموس الكردي العربي للشيخ احمد الخاني اعظم شاعر في الادب الكردي و « المولد الكردي » للشيخ ملا يوسف الكردي •

جدار اثري لجامع الشيخ أرسلان وعليه لوحة مديرية الآثار العامة ويبنى بجانبه الجامع الجديد

أرسلان بن يعقوب الدمشقي

الى اليمين : الضريح الأثري للشيخ أرسلان الدمشقي وعليه قبة خضراء ، والى يساره المسجد القديم ، والى جنوبه الشرقي مسجد خالد بن الوليد الاثري

أرسلان بن يعقوب الدمشقي (۰۰۰۰ ـ ٥٤١) أرسلان بن يعقوب بن عبد الله عبد الرحمن الجعبري الدمشقي ، وكلمة أرسلان معناها « الأسد » بالتركية ، ولد في قلعة جعبر على الفرات الاوسط ، ومذهبه شافعي ، ويتصل نسبه بالصحابي جابر بن عبد الله الانصاري •

وتقع قلعة جعبر بجانب قلعة نجم في ناحية صرين التابعة لعين العرب ، وكانت من ثغور المسلمين الداخلة بينهم وبين الروم ، لهذا فان الشيخ أرسلان ما كاد يشب عن الطوق حتى اسهم في المعارك التي جرت فيها في عصر عماد الدين زنكي الملقب بالمنصور صاحب الموصل ووالد نور الدين محمود بن زنكي •

وقد هاجر من جعبر الى دمشق وعمل في نشر الخشب وكان يقسم اجرته أثلاثاً : ثلثاً لنفقته وثلثاً لكسوته وثلثاً يتصدق به •

وتلقى الشيخ أرسلان المعرفة على يد شيخه ابي عامر المؤدب في مسجد صغير داخل

باب توما ثم انتقل الى مسجد آخر في المنطقة نفسها ، وبعدها أقام في مسجد خالد بن الوليد بجانب ضريحه الحالي ، وهو اول مسجد أسس في دمشق بعد فتح خالـد بن الوليد لها ، وكان مع استاذه يعيشان جنباً الى جنب •

وكان للشيخ أرسلان اتجاه خاص في عرض فكرة التوحيد ، اذ يعتبر من اوائل المتحدثين فيه خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وذلك من قبل ان تحظى امتنا بسلطان العارفين الشيخ الاكبر ، ونظرة لرسالته التي شرحها الشراح في هذا الكتاب وفي الكتاب الذي نرجو ان يصدر قريباً ويحمل بقية الشروح ، تعطي فكرة حية عن تلك المدرسة التي أسسها الشيخ أرسلان ، وجمع فيها بـين التوحيـد والتـدريس في الكتائب السبعة التي اقامها في المنطقة ، وبين النضال والكفاح في وجه اعداء العروبـة والاسـلام •

فقد أسس رباطاً داخل باب شرقي ، والرباط بيت الصوفية ونزلهم ، وكان المريدون يترددون الى رباطه يتعلمون فيه انواع الدراسة الكونية والدينية ، ويتدربون على الفنون الحربية للوقوف في وجه الصليبين الذين كانوا وصلوا الى ضواحي دمشق •

ومما يشار اليه ان امام المجاهدين الشيخ أرسـلان سمي « حامي البر والشـام » للسبب الأخير الملمع اليه ، ذلك انه قاتل في قلعة جعبر ودعي باسم « حامي البر » ، اما « حامي الشام » فقد وصف بها بسبب قتاله ودفاعه في وجه الصليبيين في عهد طغتكين حين وصلت قواتهم الى مقربة منها ، وحاولوا دخولها تآمراً مع المزدقاني احد وزراء ذلك العهد ، وقد استطاع ردهم على اعقابهم ، وهناك ترجمة واسعة في كتابي الاول عن الشيخ أرسلان يمكن الاطلاع عليها لمن أراد الاستزادة •

كان الشيخ أرسـلان الى جانب هذا عابداً خاشعاً ، وشاعراً ظريفاً من فحول الشعراء وقد اشار الى شعره الكاتب الفرنسي الاستاذ برنابه في كتابه «دليل الاراضي المقدسة» المطبوع بالفرنسية• يبدو من «رسالته في التوحيد» ومن «شذراته» التي نقلنا بعضها في الكتاب الاول عن الشيخ أرسلان ، انه كتب ونشر الشيء الكثـير ، غـير ان مخلفاته ما تزال مفقودة ، وذلك بسبب ضياعها او انها كانت ضحية فيضان وقع في المنطقة التي تبدو منخفضة عما حولها من الاراضي المجاورة •

كلمة الختام

•• وبعد فقد اكتفيت باثبات تراجم بعض الاساتذة والسادة العلماء من المعاصرين الذين اطلعوا على مقدمات هذا الكتاب . ولم اتعرض لتراجم البقية الباقية من علمائنا الأعلام الذين جاء ذكرهم في مقدماتي عن علوم التوحيد والتصوف والايمان ، أو في شروح رسالة الشيخ ارسلان في التوحيد لامكان العودة الى ترجمة بعضهم في كتابي الاول عن الشيخ أرسلان ولوجود ترجمة القسم الآخر في الكثير من كتب التراجم المطبوعة .

وإني ماض بعون الله = إن كتبت لي الحياة = في نشر بقية شروح رسالة الشيخ أرسلان الدمشقي ، وإلى اصدار كتاب عن العارف بالله تعالى الشيخ احمد الحارون الحجار العسل الذي سبق وقدمت موجزاً عن سيرته في كتابي الاول عن : « امام السالكين والمجاهدين الشيخ أرسلان الدمشقي » .

والله ارجو ان يجعلنا من النفوس التي روّاها من رحمته ، معتمدين عليه تعالى القدير فيما نقول ونكتب ونفعل ومتقيدين بما ورد في كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم ، وسيرة البررة الأخيار من آله وصحابته والسائرين على هديه ، وهو نعم المولى ونعم النصير .